



دولة ليبيا  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
الأكاديمية الليبية - فرع مصراته  
قسم الدراسات الإسلامية

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الإجازة العالية (الماجستير)

بعنوان:

"البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير (ت774هـ)"

تأليف:

أبو المحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني (ت785هـ)

من أول سورة الفرقان إلى سورة يس

دراسة وتحقيق

إعداد الطالب:

محمد عمر محمد الفقيه الشريف

رقم القيد (15037)

إشراف الأستاذ الدكتور:

الأمين عمر أبو فارس

العام الجامع (2014 - 2015) عي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا  
نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

سورة النحل، من الآية: 44

# الإهداء

إلى مروح والدي رحمه الله وغفر له، وجعل ثواب هذا العمل في ميزان حسناته

وإلى والدي أطال الله عمرها، وأنالني مرضاها

وإلى نزوجتي الفاضلة، وأولادي الأعزاء

أهدي هذا العمل

# شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

في البداية يسعدني أن أتوجه بكل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الأمين عمر أبو فارس الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وتعهدني بالنصح والتوجيه، فقد كان الأب الحنون، والأخ المعين، والصديق الوفي، فله الفضل والشناء بعد الله عز وجل.

كما أتقدم بخالص الشكر والاحترام إلى الأساتذة الفضلاء أعضاء لجنة المناقشة الذين بذلوا جهداً ووقتاً في مراجعة هذه الرسالة، وأتوجه بالشكر كذلك إلى الأكاديمية وقسم الدراسات الإسلامية بها.

كما أتقدم بالشكر والتقدير أيضاً لكل من ساعدني في هذا العمل، وهم أكثر فلهم مني كل حب وتقدير وأتمنى أن يعتبر كل زميل وصديق أن الشكر موجه إليه شخصياً.

والشكر أولاً وآخراً لله - تعالى - على عونه وتوفيقه، والحمد لله رب العالمين.

## المقدمة

إن الحمد لله وحده، نحمده، ونستهديه و نستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (1).

### أما بعد:

فإن علوم القرآن هي أهم علوم الإسلام على الإطلاق، إذ هي مفتاح دراسة القرآن الكريم وفهمه واستنباط الحكم والآكام منه، وبذلك يستطيع المسلم أن يتوصل إلى إصابة الحق والصواب في دراسته للقرآن الكريم وتفسيره؛ لأن هذا العلم يشمل علوماً كثيرة، مثل "الناسخ والمنسوخ" و"أسباب النزول" و"إعجاز القرآن"، إلى غير ذلك من المباحث.

وإن تراث كل أمة من الأمم ما هو إلا رصيدها الذي تدخره للأجيال القادمة فالأمة الإسلامية لها تراث عظيم في مختلف العلوم مدون في العديد من الكتب التي تم تحقيقها والتي لم يتم، وهذا التراث يدل على عظمة هذه الأمة وتطورها على مر العصور، فقد أهتم بهذا التراث العديد من الباحثين في أنحاء العالم وذلك للاستفادة منه، والتراث الإسلامي الذي خلفه لنا الأجداد في العديد من الكتب، ما هو إلا ذخراً لنا، يجب علينا الاهتمام به، ونفض الغبار عنه، وتقديمه في أحسن صورة للأجيال القادمة، ولا يكون ذلك إلا بالاهتمام بتحقيق المخطوطات، ودراستها، وإخراجها إخراجاً جيداً في صورة كتب يستطيع المهتم والدارس الاستفادة منها، إضافة إلى أن التحقيق يزيد من رصيد الكتب المتخصصة، ويوضح عدد من القضايا التي لا يعرف شيء عنها، ونستطيع بفضل التحقيق أن نؤكد أو ننفي بعض القضايا الشائكة وللتحقيق أهمية كبيرة وجليلة، له من الأهمية ما للفكرة والكلمة التي تنتقل من جيل

إلى جيل، فتوجه الجيل التالي وتؤثر فيه أبلغ الأثر، ولا يخفى على أحد أن الأجيال تعيش على أفكار سابقتها.

وما يوجد بين أيدينا اليوم من كتب، ومراجع حديثة، ما هي إلا ثمرة هذه المصادر التي اهتم بها بعض المحققين عندما اعتنوا بتحقيقها.

### أهمية الموضوع:

لقد حاز القرآن الكريم على اهتمام كبير من المسلمين منذ نزوله على سيد المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - حيث أقبل عليه الصحابة - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - يحفظونه ويتدارسون، ويستنبطون منه الهداية والأحكام وخلفهم العلماء من التابعين الذين نقلوا وروا عنهم الأحاديث والأقوال، في التفسير والقراءات وغيرها من علوم القرآن الكريم، وما صدر عنهم من المؤلفات، واستمر هذا الاهتمام إلى يومنا هذا من قبل العلماء وطلاب العلم والباحثين.

وقد اخترت جانب التحقيق في دراستي لما للتحقيق من أهمية بالإضافة إلى ما ذكر تتمثل في الآتي:

1. المشاركة في نفض غبار الزمن عن تراثنا الخالد، والعمل على إحيائه من جديد.
  2. الوفاء لجهود السلف وربط حاضر هذه الأمة بماضيها.
  3. تدعيم الرصيد المستعمل من كتب تفسير القرآن الكريم والمشاركة في إثراء المكتبة العربية بمصدر مهم من مصادر تفسير القرآن الكريم.
  4. معرفة طريقة أسلافنا الأقدمين في البحث والكتابة والتأليف والإفادة منها.
- وقد يسر الله لي الله الحصول على أحد هذه المخطوطات وهو كتاب:

**"البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير"**

لمؤلفه: أبي المحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني ت785هـ.

وتحقيق جزء منه وتقديمه للحصول على الدرجة العلمية العليا [الماجستير] في

تفسير القرآن وعلومه.

## أسباب اختيار الموضوع:

وأما عن اختياري لتحقيق هذا الجزء من المخطوط فإنه راجع للأسباب التالية:

1. رغبتى الجامعة في تحقيق المخطوطات.
2. تشجيع بعض الأساتذة المتخصصين في دراسة تفسير القرآن الكريم.
3. أهمية الكتاب التاريخية والشرعية.
4. تحقيق جزء من هذا المخطوط وجعله متناولاً لطلاب العلم والمساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية.
5. إن هذا الجزء من المخطوط موضوع الدراسة لم يسبق أن حُقِّقَ من قبل حسب علمي واطلاعي.

## أولاً – خطة البحث:

سبقني في تحقيق جزء من هذا المخطوط مجموعة من الطلبة ولهذا قسمت العمل إلى:

- مقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له وخطة البحث والمنهج الذي سرت عليه في هذا العمل.
- قسم دراسي: وفيه تعريف بالمؤلف والمؤلف.
- قسم التحقيق: وهو من بداية سورة الفرقان إلى نهاية سورة فاطر، وذلك بداية من اللوحة [339] إلى اللوحة [406]، فيكون عدد اللوحات المراد تحقيقها [67] لوحة.
- خاتمة: تحتوي على أهم النتائج التي توصلت إليها.

## ثانياً – عملي في التحقيق:

1. توثيق النص وربطه بالمصادر الأصلية كلما أمكن ذلك.
2. تحقيق النصوص التي نقلها المؤلف وإرجاعها إلى مصادرها، وتثبيت الفروق في الهامش.

3. السير في نهج المؤلف في تقسيم الكتاب.
4. تخريج ما في الكتاب من الآيات القرآنية وضبطها بالشكل مع مراعاة الرسم القرآني في كتابتها ووضعها بين قوسين مزهرين، هكذا ﴿﴾، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، والآثار، والأبيات الشعرية... الخ.
5. التعريف بما ورد في الكتاب من الأعلام، والكتب، والطوائف، والأماكن... الخ.
6. شرح الكلمات والعبارات الغامضة التي تحتاج إلى توضيح.
7. وضع الإشارات، وعلامات الترقيم، والأقواس، والرموز كل في مكانه.
8. إضافة عبارة (صلى الله عليه وسلم) وعبارة (رضي الله عنه) وعبارة (رحمه الله).
9. قمت بكتابة أرقام اللوحات عند نهاية كل لوحة وتقسيمها إلى (أ - ب).
10. الفهارس وتشمل:

أ / فهرس الآيات القرآنية.

ب/ فهرس الأحاديث الشريفة.

ج/ فهرس الأبيات الشعرية.

د/ فهرس الأديان والملل والنحل

ه/ فهرس الأعلام.

و/ فهرس القبائل والأمم والجماعات.

ز/ فهرس المواضع والبلدان.

ح/ فهرس الكتب الواردة في الكتاب.

ط/ فهرس المصادر والمراجع.

ك/ فهرس الموضوعات.

## القسم الأول

### أ. دراسة لحياة المؤلف

- اسمه ونسبه.
- ولادته.
- شيوخه وتلاميذه.
- مؤلفاته.
- ووفاته.

**اسمه:**

محمد بن محمد سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن إسماعيل بن الأستاذ أبي علي الدقاق الحسن بن علي بن محمد بن إسحق بن عبد الرحيم بن إسحق أو أحمد العفيف أبو المحامد بن سعيد الدين أبي محمد بن الضياء البلياني النيسابوري ثم الكازروني الشافعي<sup>(1)</sup>.

**نسبه:**

نسبة إلى كازرون مدينة بفارس نسب إليها جماعة من أهل العلم<sup>(2)</sup>. وقد وقع خطأ في اسمه في بعض المصادر<sup>(3)</sup>، فقليل: سعيد بن محمد بن مسعود، وقيل: سعد بن مسعود، محمد ابن مسعود، سعيد الدين، وسبب الخطأ يرجع إلى الخلط بينه وبين ابنه: (سعيد بن محمد بن مسعود، عفيف الدين، أبو سعد) حيث أوردت بعض المصادر بعض كتب الأب تحت اسم الابن، مما يوقع المراجع ترجمة الأب في حيرة<sup>(4)</sup>.

- 1- ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت902هـ) الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت (21/10).
- 2- ينظر الأنساب لعبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت562هـ) تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط: الأولى، 1382 هـ - 1962 م. (16/11).
- 3- ينظر الرسالة المستنطرة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لأبي عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بـ الكتاني (ت1345هـ) تح: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الناشر: دار البشائر الإسلامية الطبعة: السادسة 1421هـ-2000م. (182/1). ينظر هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت1399هـ) الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951 أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان. (161/2). ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (22/10). ينظر معجم المؤلفين لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة دمشق (ت1408هـ) الناشر: مكتبة المثني - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت. (20/12).
- 4- ينظر جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين المؤلف: عبد الحميد بن علي فقيهي الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة (55/1).

**مولده:**

ولد بكازرون<sup>(1)</sup> من بلاد فارس في ثاني عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وسبعمائة<sup>(2)</sup>.

**شيوخه:**

أجاز له العديد من أهل العلم، الذين أخذ عنهم العلم، فمنهم: الحافظ المزري<sup>(3)</sup> والعلائي<sup>(4)</sup> والبرزالي<sup>(5)</sup> وابنة الكمال<sup>(6)</sup> وابن غالي<sup>(7)</sup>

1- كازرون: هي من بلاد فارس وبإزائها السردن، وهي جبال محدقة منيعة، وليست بمدينة. ينظر معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت487هـ) الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة، 1403هـ. (4/1109).

2- ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (21/10).

3- هو: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن علي بن أبي الزهر الإمام العلامة الحافظ الكبير شيخ المحدثين، ثم الدمشقي المزري مولده في ربيع الآخر سنة 654هـ، ومن تصانيفه كتاب تهذيب الكمال والأطراف وغيرهما. ينظر طبقات الشافعية. لابن قاضي شهبة لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة دار النشر: عالم الكتب - بيروت - 1407هـ ط1، تح: د. الحافظ عبد العليم خان. (76-74/3).

4- هو: خليل بن كيكدي العلاني صلاح الدين أبو سعيد ولد سنة 694هـ، وصنف التصانيف في الفقه والأصول والحديث. ينظر الدر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (212/2-215).

5- هو: القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف البرزالي علم الدين ابن بهاء الدين الدمشقي الحافظ ولد في جمادى الأولى سنة 665هـ ومات ذاهبا إلى مكة غريبا في رابع ذي الحجة سنة 739هـ ودفن بخليص. ينظر الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ) المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد/ الهند ط2، 1392هـ/ 1972م. (4/277-279).

6- هي: زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسية المعروفة ببنت الكمال ولدت سنة 646هـ من أهل بيت المقدس شيخة عالمة بالحديث، وماتت في تاسع عشر جمادى الأولى سنة 740هـ. ينظر الدر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (248/2-249).

7- هو: محمد بن غالي بن نجم بن عبد العزيز الدمياطي، شمس الدين أبو عبد الله القاهري نائب الحسبة. مولده في سنة 650هـ. ومات ليلة الثالث من شهر ربيع الأول سنة 741هـ. ينظر الدر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (393/5).

وأبوحيان<sup>(1)</sup> والذهبي<sup>(2)</sup> والميدومي<sup>(3)</sup> وابن الخباز<sup>(4)</sup> وابن كثير<sup>(5)</sup>، وآخرين وقرأ على أبيه كتباً جمّة، ذكره العفيف الجرهني في مشيخته<sup>(6)</sup>.

### تلاميذه:

سمع منه: أحمد بن عمر بن محمد بن فخر الدين الكازروني البلياني<sup>(7)</sup>، وعبد الرحيم بن عبد الكريم بن نصر الله بن كمال الدين القرشي البكري الجباني الجرهني<sup>(8)</sup>، إبراهيم بن محمد بن مبارز بن محمد بن أبي الحرث عفيف الدين أو تقي الدين بن شمس الدين بن كافي الدين الخنجي الشيرازي<sup>(9)</sup>، وغيرهم.

1- هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي الجباني ولد في أواخر شوال سنة 654هـ، ومات بمنزله خارج باب البحر في 28 صفر سنة 745هـ. ينظر الدر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (6/58-65).

2- هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمار ابن الشيخ عبد الله التركماني الفارقي ثم الدمشقي الشافعي المقرئ المحدث، مخرج هذا المعجم. ولد سنة 673هـ. وأجاز له أبو زكريا ابن المصري، وابن أبي الخير، والقطب بن عصرون، والقاسم الأربلي، وعدة. ينظر المعجم المختص بالمحدثين لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمار الذهبي (ت748هـ) تح: د. محمد الحبيب الهيلة الناشر: مكتبة الصديق، الطائف ط1، 1408هـ-1988م. (97/1).

3- هو: محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عنان الميدومي صدر الدين أبو الفتح ولد في شعبان سنة 664هـ، ومات في شهر رمضان سنة 754هـ. ينظر الدر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (5/419).

4- هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن بركات بن سعد بن بركات الدمشقي الأنصاري العبادي من ولد عبادة بن الصامت المعروف بابن الخباز ولد في رجب سنة 667هـ، وكان مسند الأفاق في زمانه وتفرّد برواية مسلم بالسماع المتصل وكان صدوقاً مأموناً محباً للحديث وأهله ومات في ثالث شهر رمضان سنة 756هـ. ينظر الدر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (5/119-120).

5- هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصري الشيخ عماد الدين ولد سنة 701هـ صاحب تفسير القرآن العظيم وله تصانيف مفيدة مات في شعبان سنة 774هـ. ينظر الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. (1/445-446).

6- ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (10/21).

7- ينظر الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. (1/272).

8- ينظر التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: 902هـ) الناشر: الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى 1414هـ/1993م. (2/168).

9- ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (1/157-158).

## مصنفاته:

له تصانيف عديدة؛ منها ما كتب بالعربية، ومنها ما كتب بالفارسية، ثم ترجم إلى العربية، من مصنفاته باللغة العربية كتاب «شرح المشارق»، وهو كتاب «مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية» للإمام رضي الدين حسن بن محمد الصاغاني (ت 650هـ)، عدد أحاديثه 2246 حديثاً<sup>(1)</sup>، و«صفاء الصدور»، و«حصن الأتقياء من قصص الأنبياء»، وكتاب «المسلسلات» في نحو سبعة كراريس أتمها سنة (742هـ) منها نسخة بالمكتبة السلطانية بمصر بخط نسيم بن محمد بن سعيد بن مسعود الكازروني فرغ منها سنة (ت 772هـ) وهذه المسلسلات هي التي يريدها الحافظ ابن الجزري؛ حين يقول: «المسلسلات السعيدية»<sup>(2)</sup>، وله شرح لكتاب «النجم من كلام سيد العرب والعجم» لأبي العباس أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الأندلسي الإقليشي (ت 550هـ) رتبّه على عشرة أبواب، وجعل الباب العاشر مختصاً بأدعية مأثورة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في مجلد<sup>(3)</sup>.

ومن مصنفاته بالفارسية كتاب «مناسك الحج»، و«المنتقى من سير مولد النبي المصطفى»<sup>(4)</sup>، و«المنتقى في السير»، رتبّه على أربعة أقسام وخاتمة، أوله: الحمد لله الذي خلق نور محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل الأشياء. القسم الأول فيما كان من أول خلق نوره إلى زمان ولادته وفيه ثمانية أبواب، الثاني فيما كان من أول ولادته إلى نبوته، وفيه تسعة أبواب، الثالث، فيما كان من نبوته مدة إقامته بمكة المكرمة، وفيه تسعة أبواب، الرابع: فيما كان في سني هجرته، وفيه أحد عشر

1- ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: 1067هـ) الناشر: مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية) تاريخ النشر: 1941م. (1689/2).

2- ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1851/2).

3- ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1930/2).

4- ينظر هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (161/2).

باباً، والخاتمة في أنواع شتى، والكل يعود إلى تعظيم النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد عربّه ولده المحدث المسند عفيف الدين، وترجمة الأصل للمولى عبد العزيز بن قره جلبي زاده (ت1068هـ)<sup>(1)</sup>.

### وفاته:

توفي - رحمه الله - في أواخر جمادى الآخرة سنة 758هـ<sup>(2)</sup>.

1- ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1851/2).

2- ينظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. (7/6).

## ب: دراسة للمؤلف

- اسم الكتاب.
- نسبته للمؤلف.
- سبب تأليف الكتاب.
- منهجه في هذا الكتاب.

**اسم الكتاب:**

نصَّ المؤلف على تسمية الكتاب في المقدمة فقال: "وسميته البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير".

**نسبة الكتاب للمؤلف:**

لم أف على نسبة هذا الكتاب لمؤلفه إلا في مقدمة الكتاب، حين ذكر اسمه في مقدمة الكتاب "أبو المحامد عفيف بن سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود الكازروني"، وبعد ذلك قال: "وسميته البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير" وهذا دليل كافي على نسبة الكتاب للمؤلف الكازروني.

**سبب تأليف الكتاب:**

أشار المؤلف إلى سبب تأليف الكتاب في المقدمة، بطلب من إخوانه في العلم والدين فقال: "فاقترح عليّ بعض إخواني في طريق العلم والدين وخلاني من أهل المعاني واليقين، أن ألخص منه مقاصده، وأميّز لبه من مبانيه، وأبيّن لهم ما هو المراد من مقاطعه ومعانيه"، فأجابهم بقوله: "فلما لم يكن لي بدٌّ من تلقيهم بالإجابة والله الكريم ولي الإصابة". ومن هذا القول نفهم أن المؤلف ألف الكتاب بطلب من أخلائه فقام بتلخيص تفسير ابن كثير، وسماه (البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير).

**منهجه في كتابه:**

فتفسيره - وهو موضوع تحقيقنا - المسمى "البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير" يُعدُّ من مختصرات تفسير ابن كثير، ومما امتاز به هذا التفسير سهولة عبارته، وإيجاز صياغته؛ فقارئه لا يحتاج إلى كثير عناء لتحصيل المعنى المراد وهو أيضاً ليس بالطويل الممل، ولا بالوجيز المخلّ، بل كان طريقاً وسطاً.

وقد صدر المؤلف كتابه بمقدمة مهمة ضمّنها كثيراً من الأمور ذات الصلة بالقرآن الكريم وتفسيره، واعتمد في ذلك على كلام شيخه ابن كثير - رحمه الله - في مقدمته التفسيرية.

أما عن منهج المؤلف في كتابه فيمكن حصره في النقاط التالية:

- 1- ذكر اسم السورة ومكان نزولها.
- 2- اعتماده في تفسير القرآن الكريم على التفسير بالمأثور؛ فهو أولاً يفسر الآية بآية أخرى، ثم بعد ذلك يشرع في سرد الأحاديث المتعلقة بالآية المراد تفسيرها بدون أسانيد، إنما يذكرها بإسنادها لكتب الحديث، كأن يقول " وفي المسند<sup>(1)</sup> أو في الصحيح<sup>(2)</sup> - وأحياناً يذكر الصحيح وينسب له الحديث وهو غير موجود في الصحيحين<sup>(3)</sup>، فقد يرد به الصحيح من القول - أو يقول رواه مسلم أو غيره من رواة الحديث<sup>(4)</sup>، ثم يذكر أقوال الصحابة والتابعين، مختصرةً كأن يقول: "قال ابن عباس وغير واحد<sup>(5)</sup>، أو يقول: "قال ابن عباس وبعضهم أو أتباعه"<sup>(6)</sup>، أو يقول: "وغيره"<sup>(7)</sup>، فهذا نوع من الاختصار.
- 3- ومن منهجه امتناعه عن تفسير المتشابه بل نراه يكتفي بالإشارة إليه إن سبق تفسيره واختياره الألفاظ الصحيحة وهو مما امتاز به<sup>(8)</sup>.
- 4- ذكر الخلاف في القراءات والاستشهاد بها في التفسير<sup>(9)</sup>.
- 5- الاستشهاد في التفسير بالأبيات الشعرية والأمثال<sup>(10)</sup>.

1- ينظر: ص 23 من الرسالة.

2- ينظر: ص 52 من الرسالة.

3- ينظر: ص 330 من الرسالة.

4- ينظر: ص 23 من الرسالة.

5- ينظر: ص 70-83 من الرسالة.

6- ينظر: ص 54 من الرسالة.

7- ينظر: ص 55 من الرسالة.

8- ينظر: ص 64-76 من الرسالة.

9- ينظر: ص 80-387 من الرسالة.

10- ينظر: ص 22 من الرسالة.

6- التنبيه إلى ما في التفاسير من منكرات المرويات الإسرائيلية؛ وإن أباح الشارع الرواية عنهم، في قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم).

7- يمتاز بنقل أقوال أهل العلم و العلماء في مسائل الأحكام، موثقةً بالأدلة<sup>(1)</sup>.

\* \* \*

---

1- ينظر: ص339.

## وصف المخطوط

اعتمدت في تحقيق هذا العمل على نسخة واحدة، وهي نسخة مصورة عن مخطوط مكتبة إسطنبول، وتقع في مجلد واحد، مصنفة تحت رقم إهداء عام: (384)، وعدد لوحاته (582)، وفي كل لوحة صفحتان، مقاس كل صفحة 12سم عرضاً، و19سم طولاً.

### المؤلف:

أبي المحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني ت785هـ.

### نوع الخط:

خط مشرقي بخط النسخ المائل للثلث أحياناً.

### الناسخ:

محمد بن الشيخ إبراهيم بن محمود الحافظ الجولمي الجهرمي.

### تاريخ النسخ:

نسخت في واحد وعشرون خلت من ثاني جمادي سنة ثمان وعشرون وتسعمئة.

### عدد الأسطر في كل صفحة:

ثلاثون سطراً.

### عدد اللوحات المراد تحقيقها:

سبعة وستون لوحة، من اللوحة رقم [339] إلى اللوحة [406].

### حالة المخطوط:

جيدة.

وقد أرفقت هذا الوصف بعدة صور من المخطوط.

## القسم الثاني

### تحقيق الجزء المختار من المخطوط

وهو من سورة الفرقان إلى نهاية سورة فاطر  
وذلك بداية من اللوحة [339] إلى اللوحة  
[407]، فيكون عدد اللوحات [67] لوحة

## تفسير سورة الفرقان

[وهي مكية]<sup>(1)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾

حمد الله نفسه الكريمة على ما نزله على رسوله - صلى الله عليه وسلم -  
من القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (2)  
و﴿تَبَارَكَ﴾ تفاعل من البركة (3) المستقرة الدائمة، ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ نزل فعل من  
الكثرة و التكثر كما قال:

﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ (4)؛ لأن الكتاب  
المتقدمة نزلت جملة واحدة، والقرآن نزل منجماً مفزاً متصلاً آيات بعد آيات  
وأحكام بعد أحكام، وسور بعد سور، وهذا أبلغ وأشدُّ اعتناءً بمن أنزل عليه كما  
قال: في أثناء السورة، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ الآية؛ ولهذا  
سماه هاهنا الفرقان؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، والهدى والظلال والغبي والرشد.  
وقوله: ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ صفة مدح وثناء؛ لأنه أضافه إلى عبوديته، كما وصفه  
بها في ليلة الإسراء، فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (5)، وذلك أشرف أحواله.

1- في الأصل: [مكية وهي].

2- سورة الكهف، الآية 1.

3- مادة: [ب ر ك]: بَرَكَ البعير من باب دخل، أي استناخ و أْبْرَكَهُ صاحبه فبرك وهو قليل، والأكثر أناخه فاستناخ، و البركة كالحوض والجمع البركُ قيل سميت بذلك لإقامة الماء فيها وكل شيء ثبت وأقام فقد بَرَكَ و البركة النماء والزيادة و التَّبْرِيكُ الدعاء بالبركة. مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. تح: محمود خاطر. الناشر مكتبة لبنان ناشرون سنة النشر 1415 - 1995. بيروت. (20/1).

4- سورة النساء، من الآية 136.

5- سورة الإسراء، من الآية 1.

وقوله: ﴿يَكُونُ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ أي: إذا خصه بهذا الكتاب العظيم المفصل المحكم الذي جعله قرآناً عظيماً، إنما خصه ليخصه بالرسالة، إلى من يستظل بالخضراء ويسقل بالغبراء<sup>(1)</sup>.

كما قال صلى الله عليه وسلم: (بعث إلى الأحمر والأسود)<sup>(2)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: الذي جعله نذيراً للعالمين هو مالك السموات والأرض، من غير أن يكون له ولدٌ، ولم يكن له شريكٌ في الملك نزه نفسه عن الولد وعن الشريك، ثم أخبر: أنه خلق كل شيء فقدره تقديراً، أي: أن كل شيء سواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء، وربّه ومملكه وإلهه فقدره تقديراً من الأجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾<sup>(٣)</sup>.

أخبر تعالى: عن جهل المشركين الذين عبدوا الأصنام دون الله، الذي هو خالق كل شيء، واتخذوا آلهة لا يقدرّون على خلق جناح بعوضة، بل هم مخلوقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، أي: دفع ضرر ولا جر نفع، ولا يملكون موتاً ولا حياةً أي: إماتة ولا إحياء ولا نشوراً، أي: بعثاً بعد الموت يعني ليس لهم من

1- الغبرة بالضم: لونه، أي الغبار يغبر للهم ونحوه. وقد غبر غبوراً وغبرة وغبر اغبراً وأغبر اغباراً. والأغبر: الذئب، لونه، كالأعثر، بالمثلثة. والغبراء: الأرض، لغبرة لونها، أو لما فيها من الغبار. ينظر: تاج العروس، للمرئضى الزبيدي من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي تح: مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية (13/ 190).

2- المسند الصحيح المختصر، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، رقم الحديث (521). (370/1)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت، مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة ط1 1421 هـ - 2001 م. رقم الحديث (2742). (4/ 471-472).

3- سورة الأعراف، من الآية 158.

ذلك شيء، بل مرجع ذلك كله إلى الله، فهو الذي يحي ويميت ويعيد الخلائق يوم القيامة، أولهم و آخرهم، فهو الله الذي لا إله غيره، ولا رب سواه.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾  
 ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ .

أخبر تعالى: عن سخافة عقول الجهلاء من الكفار، في قولهم عن القرآن هو الإفك (1) ﴿افْتَرَاهُ﴾، يعنون: النبي - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ﴾ أي: واستعان على جمعه بقوم آخرين، قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ أي: فقد افتروا قولاً باطلاً يعلمون بطلانه ويعرفون كذب أنفسهم فيما زعموا.

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا ﴾ يعنون: كتب الأولين استنسخها ﴿فَهِيَ تُمَلَّى﴾ أي: تقرأ عليه ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا يُخْلَقُونَ﴾ أي: في أول النهار وآخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده، إلى أن بعثه الله - تعالى - على نحو سن أربعين سنة وهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه وبره وأمانته ونزاهته، من الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة حتى إنهم لم يكونوا لم يسمونه إلا الأمين، لما يعلمون من صدقه وبره، فلما أكرمه الله بما أكرمه به نصبوا له العداوة ورموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عامل براءته منها فقال تعالى: في جوابهم ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: قل يا محمد أنزل القرآن المشتمل على أخبار المؤمنين والآخرين إخباراً حقاً صدقاً ماضياً ومستقبلاً، الله الذي يعلم الغيب في السموات والأرض ويعلم السرائر، كما يعلم الظواهر.

1- (أفك) الإفك الكذب والأفك كالأفك أفك يأفك وأفك إفكاً وأفوكاً وأفكاً وأفكاً وأفكاً، قال رؤبة: لا يأخذ التافك والتحرّي فينا ولا قول العدي ذو الأثر التهذيب أفك يأفك وأفك يأفك إذا كذب، ويقال أفك كذب وأفك الناس كذبهم. ينظر: لسان العرب، مادة أفك، (390/10).

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ دعاء لهم إلى الإنابة والتوبة، وإخبار بأن رحمته واسعة وحلمه عظيم، وأن من تاب إليه تاب عليه، فهو لاء مع كفرهم وعنادهم يدعوهم إلى التوبة والإقلاع عما هم فيه إلى الإسلام والهدى، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ إلى قوله: ﴿رَحِيمٌ﴾ (1).

قال الحسن البصري (2) رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والرحمة (3).

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفَخَ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

أخبر تعالى: عن تعنت الكفار، وعنادهم وتكذيبهم للحق بلا حجة، ولا دليل منهم وإنما تعللوا بقولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ يعنون: يأكل كما نأكل

1- سورة المائدة، الآيتين: 73 - 74.

2- هو: الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري، الإمام التابعي الفقيه الزاهد. من تصانيفه: تفسير القرآن ورسالة إلى عبد الرحيم بن أنس في الترغيب بمجاورة مكة المكرمة، ورسالة في فضل مكة، وكتاب الإخلاص توفي بالبصرة سنة 110 هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان- ط1، 1419 هـ- 1998 م (57/1).

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت - ط1 1419 هـ. (86/6).

ويحتاج إليه كما نحتاج إليه، ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ أي: يتردد فيها وإليها للتكسب والتجارة ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أي: هلاً أنزل ملك من عند الله يكون له شاهداً على صدق ما يدعيه وهذا كما قال فرعون: ﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ (1) قال هؤلاء: على السواء تشابهت قلوبهم؛ ولهذا قالوا: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ أي: علم كنز يكون ينفق منه ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: يسير معه حيث سار، وهذا كله سهل على الله، ولكن له الحكمة في ترك ذلك، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ أي: مخدوعاً وقيل مصروفاً عن الحق (2).

قال الله: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ﴾ أي: جاءوا [بما] (3) يقذفونك به ويكذبون به عليك، من قولهم ساحرٌ مجنونٌ كاذبٌ شاعرٌ وكلها أقوال باطلة يعلم ذلك كل من كان له أدنى فهم؛ ولهذا قال: ﴿فَضْلُوا﴾ أي: عن طريق الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ وذلك كل من خرج عن الحق، فإنه ضالٌ حيثما توجه لأن الحق واحد ومنهج متحد يصدق بعضه بعضاً.

ثم أخبر نبيه - صلى الله عليه وسلم - أنه إن شاء لأعطاه خيراً مما يقولون في الدنيا، وأفضل بقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ أي: في الدنيا، وقريش يسمون كل بيت من حجارة قصراً سواء كان صغيراً أو كبيراً.

1- سورة الزخرف، من الآية 53.

2- ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4 1417 هـ - 1997 م (73/6).

3- في الأصل (بماذا) والسياق يقتضي هذا.

قال مجاهد<sup>(1)</sup>، وخثيمة<sup>(2)</sup> رحمهما الله: قيل: للنبي - صلى الله عليه وسلم - إن شئت أن نعطيك خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم يعط نبياً قبلك، ولا يعطى أحداً من بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله، فقال: أحسبونها لي في الآخرة فأنزل الله هذه الآية<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ إنما يقول هؤلاء هذا تكديباً وعناداً؛ لأنهم يبطلون ذلك تنصراً واسترشاداً بل تكذيبهم بالحشر يحملهم على هذه الأقوال ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي: أرصدنا ﴿لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ أي: عذاباً أليماً لا يطاق في نار جهنم. قال ابن جبير<sup>(4)</sup> رحمه الله: السعير وادٍ من قيح جهنم<sup>(5)</sup>.

وقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ أي: جهنم ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾ في المحشر، قيل: من مسيرة مئة سنة<sup>(6)</sup>.

1- هو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي القرشي المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي أحد أئمة التابعين والمفسرين، وهو من أخص أصحاب ابن عباس - رضي الله عنهما - كان أعلم أهل زمانه بالتفسير، حتى قيل: إنه لم يكن أحد يُريدُ بالعلم وجه الله إلا مجاهد، وعطاء، وطاوس. توفي سنة 103هـ. ينظر: تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ط1، 1326هـ. (42/10).

2- هو: خثيمة بن عبد الرحمن بن يزيد بن مالك بن عبد الله بن الذؤيب بن سلمة بن عمرو بن ذهل بن مران بن جعفي بن سعد العشيرة. مات بعد الجماجم. ينظر: الطبقات، لخليفة بن خياط أبو عمر الليثي العصفري دار طيبة - الرياض - ط2، 1402 - 1982 تح: د. أكرم ضياء العمري (157/1).

3- جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة 310هـ. دار الكتب العلمية - بيروت ط3، 1420 هـ - 1999م. (369/9).

4- هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولا هم أبو محمد ويقال أبو عبد الله الكوفي. روى عن: ابن عباس وابن الزبير وجماعه. وعنه: أبناء عبد الملك وعبد الله ويعلى بن حكيم ويعلى بن مسلم وآخرون. قتل في شعبان سنة خمس وتسعين وهو ابن "49" سنة. ينظر: تهذيب التهذيب للعسقلاني (4/11-14).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (88/6).

6- ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (74/6).

﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ أي: غليان صدر من الغضب وصوتاً من الاحتراق وهذا من قبيل: متقلداً سيفاً ورمحاً<sup>(1)</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(2)</sup>: أن العبد ليجر إلى النار، فتشهق إليه شهقة البغلة إلى الشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف<sup>(3)</sup>.

وقال عبيد بن عمر<sup>(4)</sup> رحمه الله: إن جهنم تزفر زفرة لا تبقي ملك ولا نبي إلا خراً ترعد فرائصه حتى إن إبراهيم -عليه السلام- ليخر على ركبته ويقول يا رب لا أسألك اليوم إلا نفسي<sup>(5)</sup>.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْقُؤُومِنَهَا مَكَانًا ضِيقًا﴾ أي: مثل الزج في الرمح من ضيقه. وعن يحيى بن أسيد<sup>(6)</sup> رحمه الله - مرفوعاً - قال: والذي نفسي بيده لتستكروهن في النار كما يستكروه الود في الحائط.

1- البيت من الكامل وصدرة (ورأيت زوجك في الوغى) وهو للحارث المخزومي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة ط4، 1418 هـ - 1997 م، (236/1).

2- هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، بحر العلوم، الإمام الحبر، الفقيه المحدث المفسر ترجمان القرآن، دعا له الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالفقه، والدين، وعلم التأويل. توفي سنة ثمان وستين للهجرة بالطائف وله إحدى وسبعون سنة. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت463هـ) تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ط1، 1412 هـ - 1992 م. (933/3).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (88/6).

4- هو: عبيد بن عمر بن أحمد بن محمد أبو القاسم القيسي البغدادي نزيل قرطبة، وهو المشهور بعبيد الفقيه أخذ عن الإصطخري وسمع من أبي القاسم البغوي والطحاوي وابن صاعد وغيرهم، وكان صاحب الأندلس الملقب بالمستنصر يجله ويعظمه كثيراً، توفي بقرطبة في ذي الحجة سنة ستين وثلاثمائة. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت771هـ) تح: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط2، 1413 هـ (343/3).

5- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (88/6-89).

6- هو يحيى بن أبي أسيد. سمع أبا فراس. روى عنه: عمرو بن الحارث، وحيوة بن شريح. ينظر: التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن - طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان. (261/8).

وقوله: ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ أي: مصفدين قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال وقيل: أي: مع الشياطين في السلاسل<sup>(1)</sup>.

﴿دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ أي: بالويل والحسرة والخيبة.

﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقال لهم لا تدعوا اليوم وياً واحداً و أدعوا وياً كثيراً، والثبور الهلاك والويل الخسار<sup>(2)</sup>. وعن أنس - رضي الله عنه - <sup>(3)</sup> أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه، وذريته من بعده وهو ينادي يا ثبورا يا ثبورا وينادون واثبورهم، حتى يقفوا على النار، فيقول يا ثبورا ويقولون يا ثبورهم فيقال لهم: ﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾. رواه أحمد<sup>(4)</sup>، وابن جرير<sup>(5)</sup><sup>(6)</sup>.

1- ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (75/6).

2- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الكتب العلمية - لبنان. (380).

3- هو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة ولد 10 قبل الهجرة، وتوفي 93هـ صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخادمه. روى عنه رجال الحديث 2286 حديثاً. مولده بالمدينة وأسلم صغيراً وخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تح: عادل أحمد الرفاعي الناشر دار إحياء التراث العربي. 1417هـ - 1996م، بيروت/ لبنان. (294/1).

4- هو: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله ابن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ابن مصعب بن علي الشيباني المروزي ثم البغدادي، أبو عبد الله. ولد ببغداد في ربيع الأول سنة 144 هـ، وله مصنفات منها المسند. توفي ضحوة يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة 241 هـ، ودفن ببغداد. ينظر: طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، تح: محمد حامد الفقي الناشر: دار المعرفة - بيروت. (8-4/1).

5- هو: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير وكانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين، بأمل طبرستان، وتوفي يوم السبت آخر النهار، ودفن يوم الأحد في داره في السادس والعشرين من شوال سنة 310 ببغداد، رحمه الله تعالى. ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (201/2).

6- مسند أحمد رقم الحديث (12560) (29/20). تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري. (371/9)

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾﴾.

أي: قل يا محمد - صلى الله عليه وسلم - أهذا الذي وصفنا من حال هؤلاء الأشقياء خير، أم جنة الخلد التي وعدنا الله للمتقين من عباده، وجعلها لهم جزاءً على ما أطاعوه في الدنيا لهم فيها ما يشاءون من الملاذ مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد وهم في ذلك خالدون أبداً متتعمون سرمداً، وهذا من وعد الله الذي تفضل به عليهم وأحسن به إليهم؛ ولهذا قال: ﴿كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ أي: لا بد أن يقع كما قيل: أي: وعداً واجباً<sup>(1)</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنه: سلوا الذي واعدكم ينجزه لكم<sup>(2)</sup>.

وقال القرظي<sup>(3)</sup> رحمه الله: إن الملائكة تسأل لهم ذلك<sup>(4)</sup>. ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ

جَنَّةٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾<sup>(5)</sup>.

وقال أبو حازم<sup>(6)</sup> رحمه الله: إذا كان يوم القيامة قال المؤمنون: ربنا علمنا

لك الذي أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا فذلك قوله: ﴿وَعْدًا مَسْئُولًا﴾<sup>(7)</sup>.

وهذا المقام في هذه السورة من ذكر النار، ثم التنبيه على أحوال أهل الجنة،

كما ذكر تعالى: في سورة "الصافات" حال أهل الجنة، وما فيها من النظرة والحبور

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (90/6).

2- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (380).

3- هو: محمد بن كعب القرظي: حليف الأنصار. تابعي مشهور. وولد محمد بن كعب في آخر خلافة علي سنة أربعين، وكانت وفاته سنة ثمان ومائة. وقيل بعد ذلك حتى قيل إنه مات سنة عشرين ومائة. ينظر:

الإستعاب في معرفة الأصحاب (429/1).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (90/6).

5- سورة غافر، من الآية 8.

6- هو: سلمان أبو حازم الأشجعي الكوفي، مولى عزة الأشجعية. روى عن: الحسن بن علي بن أبي طالب وأخيه الحسين بن علي بن أبي طالب، وغيرهم. روى عنه: إسرائيل أبو موسى، وبشير أبو إسماعيل

وآخرون. مات في خلافة عمر بن عبد العزيز. ينظر: تذهيب التهذيب (41/2)

7- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (90/6).

ثم قال: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ لِّأُمَّةٍ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ إلى قوله: ﴿يَهْرَعُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧) ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (١٨) ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (١٩).

أخبر تعالى: عما يقع يوم القيامة من تفرير الكفار في عبادتهم غير الله من الملائكة وغيرهم بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

قال مجاهد رحمه الله: هو عيسى - عليه السلام - وعزيز والملائكة<sup>(2)</sup>.

﴿فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ أي: فيقول الرب تعالى: لمعبوديتهم أنتم دعوتهم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية<sup>(3)</sup>؛ ولهذا أخبر عما يجيبون يوم القيامة بقوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾.

قرأ الأكثرون: ﴿تَتَّخِذَ﴾ بفتح النون<sup>(4)</sup>، أي: ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحداً سواك لا نحن ولا هم، فنحن ما دعوناهم إلى ذلك بل هم فعلوا ذلك من عند أنفسهم نحن برآء منهم ومن عبادتهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الآية<sup>(5)</sup>.

1- سورة الصافات، الآيات 62-70.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (90/6).

3- سورة المائدة، من الآية 116.

4- ينظر: النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى:

833هـ) - تح: علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ)، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتب

العلمية] (333/2).

5- سورة سبأ، من الآية 40.

وقرأ آخرون: ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: بضم النون وفتح الخاء<sup>(1)</sup>، أي: ما ينبغي لأحد أن يعبدنا فإننا عبيدٌ لك فقراءٌ إليك والقرب بين المعنيين ظاهر.

﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ﴾، حتى طال عليهم العمر، أي: ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: أي: هلكي<sup>(2)</sup>.

وقيل: أي: لا خير فيهم<sup>(3)</sup>.

وقال ابن الزبيري: حين أسلم.

يا رسول المليك إن لساني راتقٌ ما فتقتُ إذ أنا بور  
إذ أجاري الشيطان في سنن الغيِّ ومَنْ مَالٍ مِثْلُهُ مَثْبُور<sup>(4)</sup>

قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ أي: فقد كذبكم الذين عبدتم فيما زعمتم أنهم لكم أولياء أنكم اتخذتموهم قرباناً يقربونكم إليه زلفى.

وقوله: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ أي: لا يقدر على صرف العذاب عنهم انتصاراً لأنفسهم، ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ﴾ أي: يشرك بالله، ﴿نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ<sup>ط</sup> وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ<sup>ط</sup> وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا<sup>ط</sup>﴾.

1- وهي قراءة زيد بن ثابت، وأبي الدرداء وأبي رجاء وزيد بن علي وجعفر الصادق وإبراهيم النخعي وحفص بن عبيد و مكحول. ينظر: النشر في القراءات العشر (333/2).

2- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس. (381).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (91/6).

4- البيت من الخفيف وهو لعبد الله بن الزبيري السهمي القرشي، ينظر: تاج العروس، للمرطضى الزبيدي (254/10).

أخبر تعالى: عن جميع من بعثه من الرسل، أنهم كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، أي: للكسب والتجارة، وليس ذلك منافٍ لحالهم ومنصبهم فإن الله جعل لهم من الأقوال الفاضلة والأعمال الكاملة، والسمات الحسنة والأدلة الباهرة ما يستدل به كل ذي لب سليم على صدق ما جاءوا به من الله، تعالى.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾<sup>١</sup> أي: اختبرنا وبلونا بعضكم ببعض، لنعلم الطائع من العاصي؛ ولهذا قال: ﴿أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾<sup>٢</sup> أي: بمن يستحق أن يوحى إليه كما قال الله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾<sup>٣</sup> (1).

قال ابن اسحاق<sup>(2)</sup> رحمه الله: في هذه الآية يقول الله: لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي لا يخالفون لفعت ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بهم وأسلمكم بهم<sup>(3)</sup>، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله: إني مبتليكم ومبتل بك). رواه مسلم<sup>(4)</sup>(5). وفي المسند إنه - صلى الله عليه وسلم - قال: (لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة)<sup>(6)</sup>.

1- سورة الأنعام، من الآية 124.

2- هو: محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، أبو عبد الله المكي، سمع أبا يحيى بن مسرة، وكان آخر من حدث عنه. وروى عنه الحاكم، وعبد الرحمن بن عمر بن النحاس، ومحمد بن أحمد بن الحسن البزاز شيخ للبيهقي وأبو القاسم بن بشران، وآخرون. وله تصانيف في أخبار مكة، وتوفي سنة 353. ينظر: معجم المؤلفين لعمر بن رضا بن محمد راجب بن عبد الغني كحالة دمشق، مكتبة المثني - بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت. (40/9).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (91/6).

4- هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين النيسابوري الحافظ روى عن القعنبى وأحمد بن يونس وإسماعيل بن أبي أويس وداود بن عمرو الضبي وغيرهم. من مصنفاته: صحيح مسلم. قال محمد بن يعقوب مات لخمس بقين من رجب سنة 261هـ. ينظر: تهذيب التهذيب (10/126-127).

5- صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار رقم الحديث (2865) (2197/4).

6- مسند أبي يعلى: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثني بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي تح: حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث - دمشق - ط1، 1984-1404. (8-318).

وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم: (خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً فاختار أن يكون عبداً رسولاً)<sup>(1)</sup>.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾.

أخبر تعالى: عن تعنت الكفار في كفرهم وعنادهم، في قولهم: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: بالرسالة كما نزل على الأنبياء، كما أخبر عنهم في آية أخرى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾<sup>(2)</sup>، ويحتمل أن يكون مرادهم هاهنا ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فنراهم عياناً فيخبرونا أن محمداً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كقولهم: ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾<sup>(3)</sup>.

وسبق تفسيره في سورة "سبحان"<sup>(4)</sup>؛ ولهذا قالوا: ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾.

وقوله: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا﴾ أي: تعظموا في أنفسهم بهذه المقالة، ﴿وَعَتَوْا عُتْوًا﴾ أي: طغوا طغياناً وعلواً في القول، والعتو أشد الكفر، وأفحش الظلم وذلك طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ﴾ أي: هم لا يرون الملائكة في يوم خيرٍ لهم بل يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذٍ لهم، وذلك يصدق على وقت الاحتضار، حين تبشرهم الملائكة بالنار، وغضب الجبار، فنقول الملائكة: للكافر عند خروج روحه أخرجي أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث، أخرجي إلى

1- لم أفد عليه في الصحيح وهو في مسند أحمد. رقم الحديث (7160) (76/12-77).

2- سورة الأنعام، من الآية 124.

3- سورة الإسراء، من الآية 92.

4- سورة الإسراء. ينظر: اللوحة رقم 259-ب/ من المخطوط.

سَمُومٌ وَحَمِيمٌ وَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ، فَتَأْبَى الْخُرُوجَ، وَتَتَفَرَّقُ فِي الْبَدَنِ فَيَضْرِبُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (1).

وقيل: بل المراد بقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾، يوم القيامة (2).

ولا منافاة بينهما فإن الملائكة في هذين اليومين تتجلى للمؤمنين وللكافرين فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان، وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران فلا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴿ أَي: تقول الملائكة للكفار حرامٌ محرمٌ عليكم الفلاح اليوم وأصل الحجر المنع، والضمير في قوله: يقولون للملائكة. قاله الأكثرون واختاره ابن جرير (3).

وقال ابن جريج (4) رحمه الله: ذلك من كلام المشركين ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ يقولون ﴿حَجْرًا مَحْجُورًا﴾، أي: يتعذون من الملائكة وذلك أن العرب كانوا إذا نزل بأحدهم نازلة أو شده يقول حجراً محجوراً وهذا بعيد، والجمهور على خلافه (5). وعن مجاهد - رحمه الله - أنه قال: معناه: عوداً معاذاً، وهذا قريب من قول ابن جريج وقيل: عوداً معاذاً يقوله: الملائكة (6).

وقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ هذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه، من خير وشر، لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ضنوا أنها منجاة لهم شيء، وذلك لفقدان الشرط الشرعي وهو

1- سورة الأنفال، من الآية 50.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (93/6).

3- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (378/9).

4- هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولا هم المكي، ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل مات سنة خمسين ومائة، أو بعدها وقد جاوز السبعين وقيل: جاوز المائة، ولم يثبت. وقد أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب. لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تح: محمد عوامة الناشر: دار الرشيد - سوريا - ط1، 1406 - 1986. (219).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (93/6).

6- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (93/6).

الإخلاص، ومتابعة الشرع؛ ولهذا قال: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ومعنى: قدمنا عمدنا وآتيناه.

وقال علي رضي الله عنه<sup>(1)</sup> ﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، إشعاع الشمس إذا دخل الكوة. وعن ابن عباس - رضي الله عنه - وكثير مثله وعنه قال: هو الماء المهراق، وقيل: وهج الدواب وقيل: الورق اليابس من الشجر إذا أذرتة الريح وقيل: الرماد<sup>(2)</sup>.

وحاصل ذلك أن مضمون الآية، أنهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها شيء وفي الواقع ليس بشيء وشبهت بالشيء الحقيق المتفرق، الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ الآية<sup>(3)</sup> وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ الآية<sup>(4)</sup>.

وقوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أي: يوم القيامة ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾<sup>(5)</sup>، وذلك لأن أهل الجنة يصيرون إلى الدرجات العاليات، فهم في مقام أمين حسن المنظر طيب المقام ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾<sup>(6)</sup> وأهل النار يصيرون إلى الدركات السافلات وأنواع العذاب والعقوبات ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾<sup>(7)</sup> أي: بنس المنزل

1- هو: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي. ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أول الناس إسلاماً في قول كثير من العلماء وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، وقيل: أربع سنين، وتسعة أشهر، وستة أيام، وقيل: ثلاثة أيام. توفي علي، وهو ابن سبع وخمسين سنة، وقيل: توفي ابن ثمان وخمسين سنة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، للجزري (87/4 - 102).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (94/6).

3- سورة إبراهيم، من الآية 18.

4- سورة النور، من الآية 39.

5- سورة الحشر، الآية 20.

6- سورة الفرقان، الآية 76.

7- سورة الفرقان، الآية 66.

منظراً وبئس المقيل مقاماً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أي: موضع قَائِلَةٍ<sup>(1)</sup>، ومأوى ومنزلاً يعني: أن أهل الجنة لا يربهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القيلولة، حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه<sup>(2)</sup>: لا ينتصف النهار حتى يقبل هؤلاء وهؤلاء، ثم قرأ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾<sup>(3)</sup>.

أي: بما عملوا من الأعمال المثقلة نالوا ما نالوا وصاروا إلى ما إليه صاروا بخلاف أهل النار، فإنه ليس لهم عمل واحد يقتضي لهم دخول الجنة والنجاة من النار، فنبه بحال السعداء على حال الأشقياء، وأنه لا خير عندهم بالكلية.

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالنِّعَمِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾<sup>(٢٥)</sup> الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَلِّتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾.

أخبر تعالى: عن هول يوم القيامة، وما كان فيه من الأمور العظيمة كانشقاق السماء وتفطرها و انفجارها بالغمام، ونزول ملائكة السموات يومئذ فيحطون بالخالق في مقام المحشر، ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء.

قال مجاهد رحمه الله: وهذا كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلْمٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾<sup>(4)</sup>.

1- ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (79/6).

2- هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن الهذلي، من السابقين الأولين، شهد بدرًا والمشاهد كلها، أسلم بعد اثنتين وعشرين نفساً. وكان عبد الله صاحب سواد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يعني سره وصاحب وساده يعني فراشه، وصاحب سواكه، ونعليه، وظهره، وهذا يكون في السفر. توفي سنة 32 هـ. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، للجزري (523/1).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (95/6).

4- سورة البقرة، من الآية 210.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يجمع الله الخلق يوم القيامة في صعيد واحد الجن والإنس والهوام والسباع والطيور وجميع الخلق فتتشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من الجن والإنس ومن جميع الخلق فيحيطون بهم ثم تتشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن الجن والإنس ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم والجن والإنس وجميع الخلق، ثم تتشق السماء الثالثة فينزل أهلها وهم أكثر من السماء الثانية والسماء الدنيا وجميع الخلق فيحيطون بهم، ثم كذلك كل سماء حتى تتشق السماء السابعة، وهم أكثر ممن نزل قبلهم من أهل السموات السبع والجن والإنس وجميع الخلق لهم قرون ككعب القنا، وهم تحت العرش لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتقدیس لله تعالى ما بين أخصم قدم أحدهم إلى كعبه مسيرة خمسمئة عام وما بين كعبه وركبته مسيرة خمسمئة عام وما بين ركبته إلى أرببته وهو فخره خمسمئة عام وما بين أرببته إلى ترقوته مسيرة خمسمئة عام وما بين ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمئة عام وما فوق ذلك خمسمئة عام. هكذا رواه ابن أبي الحاتم (1)(2).

وقوله: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ أي: شديداً صعباً لأنه يوم عدل وقضاء وفصل.

فهذا حال الكافرين في ذلك اليوم، فأما المؤمنون، فكما قال الله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (3).

1- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2682/8).

2- هو: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران أبو محمد التميمي الحنظلي رحل مع أبيه صغيراً وبنفسه كبيراً، سمع من: أباه وابن وارة وأبا زرعة وغيرهم. سمع منه: الحسين بن علي حسينك التميمي وآخرون. من مصنفاته: تفسير في أربع مجلدات عامته آثار مسندة وكتاب الجرح والتعديل المشهور في عدة مجلدات وكتاب الرد على الجهمية وكتاب العلل وكتاب مناقب الشافعي. ت723هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (3/324-328)

3- سورة الأنبياء، الآية 103.

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - (1) قال: قيل يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي [نفسى] (2) بيده أنه لخفف على المؤمن حتى تكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا) (3).

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَعْزُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ أخبر تعالى: عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به من عند الله من الحق المبين الذي لاشك فيه وسلك طريقاً أخرى غير سبيل الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعهم الندم وعض عليه حسرةً وأسفاً وسواء كان سبب نزولها عقبة بن أبي معيط (4)، أو غيره من الأشقياء (5) فإنها عامة في كل ظالم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ إلى قوله: ﴿كَبِيرًا﴾ (6)، فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم، ويعض على يديه قائلاً: ﴿يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ﴾ أي: في الدنيا ﴿مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ أي: ليتني اتبعت محمداً - صلى الله عليه وسلم - واتخذت معه

1- هو: أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأجر - وهو خذرة - ابن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخدري. وكان من الحفاظ لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المكثرين ومن العلماء الفضلاء العقلاء. ومات سنة أربع وسبعين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، للجزري (142/5).

2- في الأصل [والذي بيده] وهذه زيادة يقتضيها السياق.

3- مسند الإمام أحمد. رقم الحديث (11717) (246/18).

4- هو: عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وعقبة هذا عدو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واختلف في قاتله فقيل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ضرب عنقه وعنق النضر بن الحارث وقيل قاتل عقبة هو عاصم بن ثابت الأنصاري. ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. الناشر: دار إحياء التراث - بيروت - عام النشر: 1420هـ - 2000م. (60/20).

5- ينظر: أسباب نزول القرآن لأبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري الشافعي تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام - ط2، 1412هـ - 1992م. (333/1).

6- سورة الأحزاب، الآيات 66-68.

سبيلاً إلى الهدى ﴿يَوْتِلَقِي لَيْتِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ يعني: الذي صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال، أمية بن خلف<sup>(1)</sup> وأقرانه ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ أي: بعد بلوغه إليّ ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ أي: يخذله عن الحق ويصرفه عنه ويستعمله في الباطل ويدعوه إليه.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾<sup>(٣٠)</sup> ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾<sup>(٣١)</sup>.

أخبر تعالى: عن رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: يا ربي إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً، وذلك أن المشركين لا يصغون للقرآن، ولا يسمعون، بل كانوا إذا ينلني عليهم القرآن أكثروا اللغظ والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه، فهذا من هجرانه، كما أن ترك تعلمه وحفظه من هجرانه أيضاً، وكذلك ترك الإيمان به وتصديقه، وترك العمل به من امتثال أوامره ونواهيه من هجرانه.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كما حصل للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في قومه من الذين هجروا القرآن، كذلك كان في الأمم الماضية؛ لأن الله جعل لكل نبي عدواً من المجرمين، يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم؛ لهذا قال: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ أي: لمن اتبع رسوله - صلى الله عليه وسلم - وآمن بكتابه وصدقته واتبعه، فإن الله هاديه وناصره في الدارين وإنما قال: ﴿هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾؛ لأن المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن، لئلا يهتدي أحدٌ به، وليضل طريقهم طريقة القرآن.

1- هو: أمية بن خلف بن وهب، من بني لؤي؛ أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم، أدرك الإسلام ولم يسلم. وهو الذي عذب بلالاً الحبشي - رضي الله عنه - في بداءة ظهور الإسلام. أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر فراه بلال فصاح بالناس يجرضهم على قتله، فقتلوه. ينظر: الكامل لابن الأثير (48/2) والأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين ط 15 - أيار / مايو 2002م. (22/2).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۗ ﴾ (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُكَّارٌ مَّا كَانُوا أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ .

أخبر تعالى: عن كثرة إعراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعنيههم حيث قالوا لولا نزل عليه هذا الكتاب الذي أوحى إليه جملة واحدة، كما نزلت الكتب قبله وكالتوراة والإنجيل و الزبور، فأجابهم تعالى: عن ذلك إنما نزل منجماً في ثلاثٍ وعشرين سنةً بحسب الوقائع والحوادث، وما يحتاج إليه من أحكام ليثبت قلبك وقلوب المؤمنين به.

﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ أي: بيناه تبييناً وفسرناه تفسيراً، ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي: بحجةٍ وشبهةٍ، ﴿ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ (٣٣) أي: لا يقولون قولاً معارضون به الحق إلاً أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأوضح وأفصح من مقالهم، ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ أي: بياناً وتفصيلاً.

وقيل: ألا نزل جبريل من الله بجوابهم، وفي هذا اعتناء بشرف الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث كان يأتيه الوحي بالقرآن صباحاً ومساءً وليلاً ونهاراً، فكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن كإنزال كتاب مما قبله من الكتب المتقدمة، فهذا المقام أعلى وأجل من مقام سائر الأنبياء - عليه السلام - فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله ومحمد - صلى الله عليه وسلم - أعظم وأفضل نبي أرسله الله، وقد جمع الله للقرآن الصفتين معاً ففي الملاء الأعلى أنزل جملةً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك إلى الأرض منجماً بحسب الوقائع والحوادث<sup>(1)</sup>.

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (99/6).

قال ابن عباس رضي الله عنه: (أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة). رواه النسائي (1)(2).

ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال: ﴿الَّذِينَ﴾ أي: هم ﴿الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ﴿٣٣﴾ فيساقون ويجرون إلى جهنم، ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: مكانةً ومنزلةً ويقال منزلاً ومصيراً ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي: أخطأ طريقاً.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا﴾ ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْءًا فَأَكَلَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ شُورًا ﴿٤٠﴾.

هذا وعيد من الله لمن كذب رسوله من مشركي قريش، وسائر مخالفيه وتحذير لهم من عقابه فيما أحل بالأمم الماضية المكذبة لرسوله، فبدأ بذكر موسى - عليه السلام - وأنه بعثه وجعل معه أخاه هارون ﴿وَزِيْرًا﴾ أي: نبياً مؤازراً ومؤيداً وناصراً، فكذبهما فرعون وجنوده، فدمر الله عليهم أي: أهلكتهم اهلاكاً كما فعل بأمثالهم وكذلك فعل بقوم نوح - عليه السلام - حين كذبوا نوحاً ومن كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل، إذ لا فرق بين أحدٍ من رسله إذ لو فرض أن الله يبعث إليهم كل رسول فإنهم كانوا يكذبونه؛ ولهذا قال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ ولم يبعث

1- هو: أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان أبو عبد الرحمن النسائي. وكان إماماً من أئمة هذا الشأن سمع بخراسان من قتيبة بن سعيد وعلي بن خشرم وغيرهم وبالكوفة من أبي كريب محمد بن العلاء وغيره. مات يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة ودفن بيت المقدس. ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (698/2). تهذيب التهذيب (36/1).

2- السنن الكبرى، باب: قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً} [الفرقان: 62]. رقم الحديث (11308)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تح: حسن عبد المنعم شلبي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط1، 1421هـ - 2001م. (205/10).

إليهم إلا نوح -عليه السلام- فقط، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى ويحذرهم نعمته، فما آمن معه إلا قليل ولهذا أغرقهم الله جميعاً ولم يبق منهم ومن سائر بني آدم سوى أصحاب السفينة فقط.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ أي: عبرة يعتبرون بها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَاطِعًا لِّلْمَاءِ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكُرَةً﴾<sup>(1)</sup>، أي: وأبقينا لكم من السفن ما تركبون في لجج البحار، لتذكروا نعمة الله عليكم في إنجائكم من الغرق.

وقوله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾ أسبق من قصتهما في مواضع منها سورة "الأعراف"<sup>(2)</sup> ما يغني عن إعادته، وأما أصحاب الرس، قال ابن عباس: هم أهل قرية من قرى ثمود<sup>(3)</sup>.

وقيل: فلج من قرى اليمامة، وهم أصحاب ياسين<sup>(4)</sup>.  
وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أيضاً: رس بئر بأذربيجان<sup>(5)(6)</sup>.  
وقال عكرمة رضي الله عنه<sup>(7)</sup>: الرس هو رسو فيها بينهم أي: دفنوه بها<sup>(8)</sup>.

1- سورة الحاقة، الآيتين 11-12.

2- ينظر: اللوحة رقم /165- أ/ من المخطوط.

3- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (390/9).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (101/6).

5- أذربيجان: ناحية واسعة بين قهستان وإيران. بها مدن كثيرة وقرى وجبال وأنهار كثيرة. ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر - بيروت. (285-284/1).

6- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (101/6).

7- هو: عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي. أسلم بعد الفتح بقليل، وكان شديداً للعداوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجاهلية، وكان فارساً مشهوراً، ولما فتح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة هرب منها ولحق باليمن، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما سار إلى مكة أمر بقتل عكرمة ونفر معه. واستشهد بأجنادين. وقيل: يوم اليرموك، وقيل: يوم الصفرة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، للجزري (570-567/3).

8- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (101/6).

اختار ابن جرير: أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة "البروج" (1) والله أعلم (2).

وقوله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: وأممًا من أضعاف من ذكر إهلاكهم كثرة ولهذا قال: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ لِمِثْلِهِ لَمِثْلًا﴾ أي: بينا لهم الحجج وأوضحنا لهم الأدلة وأزحنا عنهم الأعدار ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْنِيرًا﴾ أي: أهلكنا إهلاكاً كقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ (3)، والقرن هو الأمة من الناس، وأظهر الأقوال أن القرن هم الأمة المتعاصرون في الزمن الواحد، فإذا أذهبوا وخلفهم جيل آخر فهم قرن، كما ثبت في الصحيحين، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) الحديث (4).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا مَطَرًا سَوِيًّا﴾ يعني: قرية قوم لوط وهي سدوم ومعاملتها التي أهلكها الله بالقلب وبالمطر الحجارة من سجيل؛ ولهذا قال: ﴿أَفَكَلَّمْ يَكُونُوا يَكُونُوهَا﴾ أي: فيعتبروا بما حل بأهلها من العذاب والنكال، بسبب تكذيبهم بالرسول وبمخالفتهم أوامر الله.

وقوله: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ أي: المارين بها من الكفار لا يعتبرون لأنهم لا يرجون نشوراً، أي: معاداً يوم القيامة.

﴿وَإِذْ أَرَأَوْكَ إِذْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذَاءَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ إِنَّ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾

1- سورة البروج، الآية 4 ﴿قِيلَ اصْحَبْ الْأَخْدُودَ﴾.

2- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (390/9).

3- سورة الإسراء، من الآية 17.

4- صحيح البخاري، كتاب الشهادات باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد رقم الحديث (2651) (171/3).

صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين

يلونهم رقم الحديث (2535) (1964/4).

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾.

أخبر تعالى: عن استهزاء المشركين بالرسول - صلى الله عليه وسلم - إذا رأوه، كما قال: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ ﴿٣٣﴾ أي: الذين كفروا ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ﴾ أي: ما يتخذونك إلا هزوا ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ أي: يقولون على سبيل التنقص والازدراء كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية (1).

وقوله: ﴿إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ يعنون: أنه كاد أن يلهيهم عن عبادة أصنامهم لولا أن صبروا واستمروا على عبادتها، قال تعالى: متوعداً لهم ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرُونَ الْعَذَابَ مَن أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي: من أخطأ طريقاً، ثم قال تعالى: لنبيه - صلى الله عليه وسلم - منبهاً له أن من كتب الله عليه الشقاوة والإضلال فإنه لا يهديه أحد إلا الله، ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ﴾ أي: مهما استحسنت من شيء وراه حسناً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا نَدَّبَ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ (2)؛ ولهذا قال: ها هنا ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً، فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني، وترك الأول (3).

ثم قال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ ما يقول: سماع طالب للإفهام ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ أي: ما يعاينون من الحجج والأدلة والإعلام ﴿إِنْ هُمْ﴾ أي: ما هم ﴿إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ لأن البهائم تهتدي لمشاربها ومراعيها، وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له، وهم يشركون به مع قيام الحجّة عليهم، وإرسال الرسل إليهم.

1- سورة الأنبياء، من الآية 41.

2- سورة فاطر، من الآية 8.

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (103/6).

﴿الَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

من هاهنا شرع تعالى في بيان الأدلة الدالة على وجوده، وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة، فقال: ﴿الَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾. قال ابن عباس - رضي الله عنه - وكثيرون: هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس (1).

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: دائماً لا يزول، كما قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (2).

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي: لولا أن الشمس تطلع عليه لما عُرف فإن الضد لا يعرف إلا بضده، وقوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ أي: الظل، وقيل: الشمس ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أي: سهلاً خفيفاً سريعاً، حتى لا يبقى في الأرض ظل إلا تحت سقف أو شجرة، وقيل: أي: قليلاً قليلاً (3).

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: يلبس الوجود ويغشاها، كما قال: ﴿وَالَّيْلَ إِذَا يَغْشَى﴾ (4).

﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أي: قطعاً للحركة لراحة الأبدان، فإن الأعضاء والجوارح تكل من كثرة الحركة في الانتشار بالنهار في المعاش، فإذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات فاستراحت، فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معاً، ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ أي: ينتشر الناس فيه لمعاشهم ومكاسبهم وأسبابهم.

1- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (383).

2- سورة القصص، من الآية 71.

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (103/6).

4- سورة الليل، الآية 1.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًّا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾.

هذا أيضاً من قدرته التامة، وهو أنه - تعالى - يرسل الرياح مبشرات، أي: بمجيء السحاب، والرياح أنواع في صفات كثيرة من التسخير: فمنها ما يثير السحاب، ومنها ما يحمله، ومنها ما يسوقه، ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشراً ومنها ما يكون قبل ذلك يقيم الأرض، ومنها ما يلحق السحاب ليمطر؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ أي: آلة يتطهر بها، كالسحور وما جرى مجراه على الأصح.

وقيل: هو فعول بمعنى فاعل وأنه مبني للمبالغة والتعدي فعلى كل منهما اشكالات من حيث اللغة والحكم ليس هنا موضع بسطها والله أعلم<sup>(1)</sup>.  
قال ابن المسيب<sup>(2)</sup> رحمه الله: أنزل الله ماءً طهوراً لا ينجسه شيء.  
قال عكرمة رضي الله عنه: ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة. وقال غيره: في البر برّ وفي البحر در<sup>(3)</sup>.  
وقوله: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ أي: أرضاً قد طال انتظارها للغيث، فهي هامة لا نبات فيها ولا شيء.

1- ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تح: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ط1- 1412 هـ (526/1).

2- هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي روى عن: أبي بكر مرسلًا وعن عمر وعثمان وعلي وأبي هريرة وجماعة. ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر - رضي الله عنه - حكى أبو بكر بن أبي خيثمة عن ابن معين أنه مات سنة مائة. ينظر: تهذيب التهذيب (84/4-86).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (104/6).

فلما جاءها الماء انبتت واكتست رباها أنواع الأزاهير والألوان، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ الآية (1).

وقوله: ﴿وَسُقِّيهِمْ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأَنْاسِيًّا كَثِيرًا﴾ أي: وليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي يحتاجون إليه عامة الحاجة لشربهم و زروعهم وثمارهم.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: أمطرنا هذه الأرض دون هذه وسقنا السحاب تمر على الأرض وجاوزها إلى الأرض الأخرى، فأمطرتها وكفتها فجعلتها غدقاً والتي وراءها لم ينزل منها قطرة من ماء، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة.

قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم: ليس عام بأكثر مطر من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء، ثم قرأ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية (2).

وقوله: ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ أي: ليذكروا بإحياء الله الأرض الميتة، أنه قادر على إحياء الأموات والعظام الرفات أو ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ من منع القطر، إنما أصابه ذلك بذنب أصابه فليقلع عما هو فيه.

وقوله: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

قال عكرمة رحمه الله: يعني: الذين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا، وهذا قاله: عكرمة رضي الله عنه (3).

كما صح في الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لأصحابه على إثر سماء أصابتهم من الليل أتذرون ماذا قال ربكم: قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال أمطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فهو كافر بي

1- سورة الحج، من الآية 5.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (105/6). تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (383).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (116/6).

مؤمن بالكوكب). رواه مسلم (1).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾.

أي: نذيراً يندرهم ويدعوهم إلى الله، ولكننا خصصناك يا محمد - صلى الله عليه وسلم- بالبعث إلى جميع أهل الأرض، وأمرناك أن تبلغ الناس هذا القرآن، كما في الصحيحين: (بعثت إلى الأحمر والأسود و أنصافهما، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة)<sup>(2)</sup>؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن جهاداً كبيراً، أي: غليظاً شديداً.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ أي: خلق الماعين الحلو والملح فالحلو كالأنهار والعيون والآبار هذا هو البحر الحلو العذب الفرات الزلال، قاله: ابن جريج، واختاره ابن جرير<sup>(3)(4)</sup>.

وهو المعنى لاشك فيه فإنه هو السَّارِحُ بين الناس فرقه - تعالى - بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهاراً وعيوناً في كل الأرض بحسب حاجتهم ومصالحتهم.

وقوله: ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي: شديد الملوحة مرٌّ لا يستطاع شربه، كالبهار المعروفة في المشارق والمغارب، وما شاكلها من البحار الساكنة التي لا تجري ولكن تتموج وتضطرب بحسب الأزمان والرياح، وفي أكثرها مد وجزر ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض، فإذا شرع الشهر في النقصان جزرت حتى ترجع إلى حدها الأول فإذا استهل هلال الشهر الآخر شرعت في المد إلى الليلة الرابعة

1- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء رقم الحديث (71)(83/1).

2- صحيح البخاري، كتاب التيمم باب: وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا، فَأَمَسَوا بِيُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: 6]، رقم الحديث (335)(74/1). صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، رقم الحديث (521). (370/1).

3- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (399/9).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (106/6).

عشر، ثم شرع في النقص إلى آخره، فأجرى الله ﷻ العادة بذلك، وكل هذه البحار الساكنة خلقها الله مالحة الماء لئلا يحصل بسببها نتن الهواء، فيفسد الوجود بذلك ولئلا تجري الأرض بما يموت فيها من الحيوان، لما كان ماؤها مالحة، كان هواءها صحيحاً وميتها طيبة؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وقد سئل عن ماء البحر أنتوضا به (هو الطهور ماؤه الحل ميتته). رواه أهل السنن (1).

وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا﴾ أي: بين المالح والعذب ﴿بَرْزَخًا﴾ أي: حاجزاً وهو اليابس من الأرض ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي: مانعاً أن يصل أحدهما إلى الآخر.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ أي: خلق الإنسان من نطفة ضعيفة فسواه وعدله، وجعله كامل الخلقة ذكراً وأنثى، كما يشاء ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي: ذا نسب وصهر.

قيل: النسب ما لا يجوز نكاحه والصهر الخلطة التي تشبه القرابة، فهو في ابتداء أمره ولد نسيب، ثم يتزوج فيصير صهراً، ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات، وكل ذلك من ماء مهين؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (2).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ (٥٥) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَا سَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾

أخبر تعالى: عن جهل المشركين في عبادتهم الأصنام، التي لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً، بلا دليل ولا حجة أدتهم إليه، بل لمجرد الآراء والأهواء، فهم يصلون

1- سنن ابن ماجه، باب: الوضوء بماء البحر. رقم الحديث (386). (136/1). سنن أبي داود، باب: الوضوء

بماء البحر. رقم الحديث (83). (21/1).

2- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (106/6).

لهم ويقالون في سبيلهم ويعادون الله ورسوله والمؤمنون فيهم؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ أي: عوناً في سبيل الشيطان على حزب الله، وحزب الله هم الغالبون.

وقال مجاهد رحمه الله: يظاهر الكافر الشيطان على معصية الله ويعينه وقال ابن جبير: أي عوناً للشيطان على ربه بالعداوة والشرك<sup>(1)</sup>.

ثم قال تعالى: لرسوله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين، مبشراً بالجنة لمن أطاع الله، ونذيراً بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: على هذا البلاغ، وهذا الإنذار من أجره أطلبها من أموالكم، وإنما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله، لمن شاء منكم أن يستقيم، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ هذا استثناء منقطع<sup>(2)</sup> أي: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه طريقاً ومسلماً ومنهجاً يقتدي منها بما جئت به فعل ذلك.

ثم قال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ أي: في أمورك كلها كن متوكلاً على الحي الذي لا يموت أبداً رب كل شيء، وهو الذي يتوكل عليه ويفزع إليه فإنه كافيك وناصرك، وعن شهر بن حوشب<sup>(3)</sup> قال: (لقى سلمان - رضي الله عنه -<sup>(4)</sup> رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بعض فجاج المدينة فسجد له

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (107/6).

2- ينظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (405/1).

3- هو: شهر بن حوشب أبو عبد الله، قرأ القرآن على ابن عباس، وروى عن: العبادلة ابن عمر وابن عباس وغيرهم، وروى عنه: قتادة ومعاوية بن قرة وغيرهم، وتوفي سنة مائة وقيل: سنة إحدى عشرة وقيل: سنة اثنتي عشرة ومائة. ينظر: الوافي بالوفيات (112/16-113).

4- هو: سلمان الفارسي أبو عبد الله، ويعرف بسلمان الخير، مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسئل عن نسبه فقال: أنا سلمان بن الإسلام. أصله من فارس، وتوفي سنة خمس وثلاثين، في آخر خلافة عثمان وقيل: أول سنة ست وثلاثين، وقيل: توفي في خلافة عمر، والأول أكثر. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، للجزري (265/2-269).

فقال: لا تسجد لي يا سليمان واسجد للحي الذي لا يموت). رواه ابن أبي الحاتم (1).

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي: اقرن بين حمده وتسبيحه؛ ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " سبحانك اللهم ربنا وبحمدك" (2).

أي: اخلص له العبادة والتوكل، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ (3).  
وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ بُدُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ أي: بعلمه التام الذي لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة.

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: هو الحي الذي لا يموت وهو خالق كل شيء وربّه وملكه الذي خلق بقدرته السموات السبع في ارتفاعها واتساعها، والأرضين السبع في غلظتها وكثافتها ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ أي: يدبر الأمر ويقضي الحق، وهو خير الفاصلين.

وقوله: ﴿فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾ أي: استعلم عنه من هو خير به عالم به فاتبعه واقتد به، وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - فما قاله: فهو حق وما أخبر به: فهو صدق.

قال مجاهد رحمه الله: أي: ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك (4).

ثم قال: منكرًا على المشركين الذين يسجدون لغير الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ أي: لا نعرف الرحمن وكانوا ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن أنكروا ذلك يوم الحديبية حالة كتابة المصالحة (5)، وقالوا: لا نعرف الرحمن

1- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2713/8).

2- صحيح البخاري، كتاب الأذان. باب: الدعاء في الركوع. رقم الحديث (794) (158/1). صحيح مسلم كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود. رقم الحديث (484) (350/1).

3- سورة هود، من الآية 123.

4- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (109/6)

5- ينظر: السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تح: طه عبدالرؤف سعد. الناشر دار الجيل، 1411هـ، بيروت، (284/4).

وقالوا: ها هنا ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ أي: لا نعرفه ولا نقر به (1).

﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أي: لمجرد قولك ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ أي: عن الدين والإيمان فأما المؤمنون فإنهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم، ويفردونه بالإلوهية ويسجدون له واتفقوا على أن هذه السجدة مشروعة لقارئها ومستمعها كما هو مقرر في موضعه (2).

﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (٦١) وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴿٦٢﴾.

مجدد الله نفسه وعظماها على جميل ما خلق في السماء من البروج، وهي الكواكب العظام في قول مجاهد - رحمه الله - وأقرانه (3).

وقيل: هي قصور في السماء للحرس يروى هذا عن علي وابن عباس - رضي الله عنهما - و موافقيه (4).

والأول أظهر، اللهم إلا أن يكون الكواكب العظام هي قصور للحرس فيجتمع القولان كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾ (5)؛ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ وهي الشمس النيرة التي هي كالسراج في الوجود، كما

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (109/6).

2- في القرآن الكريم أربع عشرة آية فيها السجود: في الأعراف، والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، والحج وفيها سجدتان في بعض المذاهب، وفي الفرقان، والنمل، والسجدة {الم تنزيل} و{ص} وفصلت والنجم والانشقاق، وقرأ، وزاد بعضهم آخر الحجر، والسجود عند الجمهور بقراءة آيات السجدة مسنون وواجب عند الحنفية. ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت دار السلاسل - الكويت. ط1، مطابع دار الصفوة - مصر. ط2، طبع الوزارة. (260-259/13).  
واتفق الفقهاء على أن القارئ يسجد للتلاوة عند قراءة أو سماع آية السجدة، أما إذا تكررت قراءتها فإن المالكية والحنابلة على أن القارئ يسجد كلما مرت به آية سجدة ولو كررها، لتعدد السبب، وهو الأصح عند الشافعية. ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (203/1).

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (109/6).

4- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس. (385). تفسير القرآن العظيم لابن كثير (109/6).

5- سورة الملك، من الآية: 5.

قال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾<sup>(1)</sup>. ﴿وَقَمَرًا مِّنِيرًا﴾ أي: مضيئاً مشرقاً بنور آخر غير نور الشمس.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف كل منهما الآخر متعاقبان إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا جاء هذا ذهب هذا، أي: كما قال: ﴿يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا﴾ الآية<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿لَمَنَ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أي: جعلهما متعاقبان توقيتاً لعبادة عباده له، فمن فاتته عمل بالليل استدركه بالنهار وما فاتته بالنهار استدركه بالليل. وفي الصحيح: (أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل)<sup>(3)</sup>.

﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ قال مجاهد: أي: شكر نعمة ربه عليه فيهما<sup>(4)</sup>.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(٦٣)</sup>  
 وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا<sup>(٦٤)</sup> وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا<sup>(٦٥)</sup> إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا<sup>(٦٦)</sup> وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا  
 وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا<sup>(٦٧)</sup>.

وصف الله عباده المؤمنين بقوله: يمشون في الأرض هوناً أي بسكينة ووقار من غير جرية ولا استكبار، كما قال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾<sup>(5)</sup>، فليس المراد أنهم يمشون كالمرضى بتضعف تصنعاً ورياء، فقد كان سيد ولد آدم إذا مشى كأنما ينحط

1- سورة النبأ، من الآية 12.

2- سورة الأعراف من الآية 54.

3- صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة. رقم الحديث (2113/4) (2759).

4- ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (93/6).

5- سورة لقمان، الآية 18.

من صبَّب، وكأنما الأرض تطوى له<sup>(1)</sup>.

بل المراد بالسكينة والوقار، كما قال الحسن في هذه الآية: إن المؤمنين قوم ذلُّ نلت- والله- منهم الأسماع والأبصار والجوارح حتى تحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض، وإنهم لأصحاء، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ أي: إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيء لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيراً. قال مجاهد رحمه الله: أي: سداداً من القول، وقال ابن جبير رحمه الله: ردوا معروفاً من القول، وقال الحسن رحمه الله: لو جهل عليهم جاهل حلموا ولم يجهلوا<sup>(3)</sup>.

كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حِلماً<sup>(4)</sup>.  
وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ أي: في عبادته وطاعته كما قال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ يَهْتَمُونَ بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَعْفِفُونَ﴾<sup>(5)</sup>، وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾<sup>(6)</sup>؛ ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: ملازماً دائماً، كما قال الشاعر:  
إن يعذب يكن غراماً  
وإن يعط جزيلاً فإنه لا يبالي<sup>(7)</sup>

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (110/6).

2- سورة فاطر، من الآية 34.

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (111/6).

4- ينظر: أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - وآدابه. لأبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، تح: صالح بن محمد الونيان. دار المسلم للنشر والتوزيع. ط1، 1998. (475/1).

5- سورة الذاريات، الآيات 17-18.

6- سورة الزمر، من الآية 9.

7- البيت من الخفيف، لميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، وهو في ديوانه (187/1).

ولهذا قال الحسن - رحمه الله - في هذه الآية: كل شيء يصيب ابن آدم يزول عنه وليس بغرام وإنما الغرام مادامت السموات والأرض (1).

وقوله: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: بئس المنزل منظرًا، وبئس السبيل مقامًا. وعن عبد الله بن الحرث - رضي الله عنه - (2) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن في النار حيّات كأمثال البخت تلسع إحداهن اللسعة يجد حموتها أربعين خريفًا وإن في النار عقارب كأمثال البغال المركفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفًا). رواه أحمد (3).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - (4) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل النار إلا شقي، قيل: يا رسول الله ومن الشقي؟ قال: من لم يعمل لله بطاعة ولم يترك له معصية). رواه ابن ماجه (5)(6).

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (111/6-112).

2- هو: عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم يروي عن: عمر وعثمان وعلي وأبي بن كعب والعباس وجماعة، قال العجلي: مدني تابعي ثقة وشهد الجابية روى عنه: ابنه إسحاق وعبد الله وأبو التياح يزيد بن حميد والزهرري وآخرون. مات بعمان سنة أربع أو ثلاث وثمانين. ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تح: بشار عواد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ط 1400 - 1980. (396/14-399).

3- مسند أحمد. رقم الحديث (17712) (29/251).

4- هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة، كان أحفظ الصحابة للحديث، ويقال: كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عبد الله وكناه أبا هريرة، حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين فقليل: بلغ عدد أصحابه ثمانمئة، توفي بالمدينة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، للجزري (457/3).

5- هو: محمد بن يزيد الربيعي مولا هم أبو عبد الله بن ماجه القزويني الحافظ. روى عنه: علي بن سعيد بن عبد الله الغداني وإبراهيم بن دينار الجرشي الهمداني وآخرون. قال الخليلي: ثقة كبير متفق عليه محتج به له معرفة بالحديث وحفظ وله مصنفات في السنن والتفسير والتاريخ مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين. ينظر: تهذيب التهذيب (530/9-532).

6- سنن ابن ماجه، رقم الحديث (4298) (2/1436).

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ أي: ليسوا مبذرين في انفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء عن أهلهم فيقصرّون في حقهم، فلا يكفّوهم بل عدلاً خياراً وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا ذلك ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾، كما قال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية (1).

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - (2) عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (من فقه الرجل رفقه في معيشته) (3).

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما عال من اقتصد). رواه أحمد (4).

وعن حذيفة - رضي الله عنه - (5) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أحسن القصد في الغنى وأحسن القصد في الفقر وأحسن القصد في العبادة). رواه الحافظ البزاز (6)(7).

1- سورة الإسراء، من الآية 29.

2- هو: أبو الدرداء اسمه عويمر بن عامر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً، أخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين سلمان الفارسي وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "عويمر حكيم أمتي". ولي أبو الدرداء قضاء دمشق في خلافة عثمان، وتوفي قبل أن يقتل عثمان بسنتين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، للجزري (94/6).

3- مسند أحمد، رقم الحديث (21695) (26/36).

4- مسند أحمد، رقم الحديث (4269) (7/302).

5- هو: حذيفة بن أسيد، ويقال: بن أمية بن أسيد أبو سريحة الغفاري شهد الحديبية، وقيل: أنه بايع تحت الشجرة وروى: عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن أبي بكر وعلي - رضي الله عنهم - وأبي ذر، وعنه أبو الطفيل والشعبي ومعبد بن خالد وهلال بن أبي حصين وغيرهم، وقال عثمان بن أبي زرة عن أبي سلمان المؤذن: توفي أبو سريحة فصرى عليه زيد بن أرقم. قلت: وقال ابن حبان مات سنة "42". أسد الغابة في معرفة الصحابة، للجزري (703/1).

6- هو: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزاز الحافظ، صاحب المسند المشهور قال الدارقطني: ثقة يخطئ وينكل في حفظه، توفي بالرملة في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائتين. ينظر: الوافي بالوفيات (176/7).

7- مسند البزاز، رقم الحديث (2946) (7/349).

قيل: ما جاوزت به أمر الله فهو سرف<sup>(1)</sup>.

كما قيل: (السرف: النفقة في معصية الله). رواه ابن ماجه<sup>(2)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْبُؤُا إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾.

في الصحيحين روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: (سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي: الذنب أكبر عند الله، قال: إن تدعو الله نداً وهو خلقك قال: ثم أي، قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال: ثم أي، قال: أن تزاني حليلة جارك)<sup>(3)</sup>.

فأنزل الله تصديقها، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ الآية.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له). رواه ابن أبي الدنيا<sup>(4)</sup><sup>(5)</sup>.

قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

- 1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (113/6).
- 2- سنن ابن ماجه بلفظ (إِنَّ مِنَ السَّرْفِ، أَنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ). باب: من الإسراف، أن تأكل كل ما اشتهيت. رقم الحديث (3352). (2/1112).
- 3- صحيح البخاري، كتاب الديات. باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: 93] رقم الحديث (6861) (2/9). صحيح مسلم، كتاب الإيمان. باب: كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده رقم الحديث (86) (91/1).
- 4- هو: ابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان أبو بكر ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي الزاهد الشافعي، كان يؤدب أولاد الخلفاء ولد سنة 208هـ. وتوفي سنة 281هـ. من تصانيفه: أخبار القبور أخبار قریش، الفرج بعد الشدة قضاء الحوائج، وغيرها. ينظر: تقريب التهذيب (321/2).
- 5- الورع، عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي البغدادي، الدار السلفية - الكويت ط1، 1408 - 1988. تح: أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود، رقم الحديث (137) (94/1).

قال عكرمة - رحمه الله - وغيره: أثم أودية في جهنم يعذب فيها الزناة<sup>(1)</sup>.  
وقال قتادة<sup>(2)</sup> رحمه الله: أي: نكالا<sup>(3)</sup>. وقال السدي<sup>(4)</sup> رحمه الله: أي:  
الجزاء<sup>(5)</sup>.

وهذا أشبه بظاهر الآية؛ ولهذا بشره بما بعده مبدلاً منه وهو قوله: ﴿يُضَعَفُ  
لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: يكرر ويغلظ عليه، ﴿وَيَحْدُ فِيهِ مَهَانًا﴾ أي: حقيراً دليلاً.  
وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ أي: جزاؤه على ما فعل من هذه الصفات  
القيمة ما ذكر إلا من تاب في الدنيا إلى الله من جميع ذلك، فإن الله يتوب عليه وفي  
ذلك دلالة على صحة توبة العامل وذلك مقرر، كما في حديث الذي قتل مئة رجل  
ثم تاب وقبل منه وغير ذلك من الأحاديث<sup>(6)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (114/6).

2- هو: قتادة بن إدريس الحسني صاحب مكة، امتدت أيامه وربما جار وظلم وعسف، وأخذ المدينة على يد  
ابنه حسن، فقتل حسن صاحبها عمه، ثم خنق أباه قتادة هذا، ثم قتل عمه الآخر، ولقتادة شعر جيد، وعمّر  
تسعين سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز  
الذهبي، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، ط 3 1405  
هـ / 1985 م. (160 / 22).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (114/6).

4- هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب السدي، أبو محمد، حجازي الأصل سكن الكوفة، ومات بها  
سنة 127 هـ. روى عنه ابن أبي نجیح، وسعيد بن خالد القرشي، قال أبو زرعة: ثقة، صنف تفسير  
القرآن الكريم، وسمي السدي لأنه كان يقعد في سدة باب مسجد الكوفة، يبيع بها المقانح، وقيل: لأنه كان  
يجلس في المدينة في موضع يقال له السد. ينظر: طبقات المفسرين، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي:  
مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، تح: علي محمد عمر. (25/1).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (115/6).

6- نص الحديث: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَذُلَّ عَلَى  
رَأْسِهِ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَذَلَّ بِهَا مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ  
أَهْلِ الْأَرْضِ فَذُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحْوُلُ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ بَهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى  
أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ، فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ  
وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا  
قَطُّ، فَأَنَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ

وقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ أي: معناه قولان.

**أحدهما:** أنهم بدلوا مكان عمل السيئات عمل الحسنات كما قال ابن عباس رضي الله عنه: هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات فحولهم الله عن ذلك إلى حسنات فأبدلهم مكان السيئات الحسنات.

قال الحسن رحمه الله: أبدلهم بالعمل السيئ العمل الصالح وبالشرك اخلاصاً وبالفجور احساناً واسلاماً<sup>(1)</sup>.

**والثاني:** أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذاك إلا أنه كلما يذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار. فيوم القيامة وإن وجده مكتوباً عليه لكنه لا يضره وينقلب حسنةً في صحيفته، كما روى أبو در<sup>(2)</sup>، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إني لا أعرف آخر أهل النار خروجاً من النار و آخر أهل الجنة دخولاً إلى الجنة يؤثى برجل، فيقول: نحوا كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها قال: فيقال له: عملت يوم كذا كذا وكذا وعملت يوم كذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئاً فيقال: إن لك بكل سيئة حسنة، فيقول: يا رب عملت أشياء لا أراها هاهنا قال: فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بدت نواجذه). انفراد به مسلم<sup>(3)</sup>.

لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبِضْتَهُ مَلَأْنِيكَ الرَّحْمَةَ). أخرجه مسلم، كتاب التوبة باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم الحديث (2766)(4/2118).

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/115).

2- هو: أبو ذر الغفاري اختلف في اسمه اختلافا كثيرا، فقيل: جندب بن جنادة، وهو أكثر وأصح ما قيل فيه. وكان أبو ذر من كبار الصحابة وفضلائهم، قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة وكان خامسا، ثم انصرف إلى بلاد قومه وأقام بها، حتى قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة. وتوفي أبو ذر بالريذة سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، للجزري (6/96).

3- صحيح مسلم، كتاب الإيمان. باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها. رقم الحديث (190) (1/177).

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - (1) قال: (يدخل الجنة أهل الجنة على أربعة أصناف المتقين ثم الشاكرين، ثم الخائفين، ثم أصحاب اليمين قيل: لما سمو أصحاب اليمين، قال: لأنهم عملوا الحسنات والسيئات فأعطوا كتبهم بيمينهم، فقرؤوا سيئاتهم حرفاً حرفاً وقالوا ربنا هذه سيئاتنا، فأين حسناتنا فمنذ ذلك محى الله السيئات، وجعلها حسنات فمنذ ذلك قالوا: هاؤم اقرءوا كتابيه) فهم أكثر أهل الجنة. رواه ابن حاتم (2).

وعن مكحول (3) - رحمه الله - قال: (جاء شيخ كبير هرم قد سقطت حاجباه على عينيه فقال: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجل غدر وفجر لم يدع حاجة ولا داجة إلا اقتطفها بيمينه لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم، فهل له من توبة فقال: النبي - صلى الله عليه وسلم - أسلمت؟ فقال أما أنا فأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فقال: النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن الله غافر ما كنت كذلك ومبدل سيئاتك حسنات فقال: يا رسول الله وغدراتي و فجراتي قال: و غدراتك و فجراتك فولى الرجل يكبر ويهمل). رواه ابن أبي حاتم (4).

ثم أخبر تعالى: عن عموم رحمته بعباده وإنه من تاب إليه منهم تاب عليه من كل ذنب كان جليلاً أو حقيراً فقال: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾

1- هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ثم الجشمي، مات في طاعون عمواس بالشام. وقيل: إنه مات قبل أبيه معاذ، فعلى هذا يكون معاذ آخرهم، وهو الصحيح. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، للجزري (187/5).

2- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تح: أسعد محمد الطيب. مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ط3 - 1419 هـ. (2735/8).

3- هو: مكحول بن عبد الله أبو عبد الله الشامي الفقيه، ثقة كثير الإرسال عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن عدد من الصحابة. مات سنة ثلاث عشرة ومائة. ينظر: تقريب التهذيب (347).

4- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2735-2736).

أي: فإن الله يقبل توبته، كما قال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(1)</sup>، وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ الآية<sup>(2)</sup>.  
 ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾<sup>(٧٢)</sup> وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا<sup>(٧٣)</sup> وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا<sup>(٧٤)</sup>﴾.

هذه أيضاً من صفات عباده المؤمنين، أنهم ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

قيل: هو الشرك. وقيل: الكذب والفسق واللغو والباطل<sup>(3)</sup>.

وقال محمد بن الحنفية<sup>(4)</sup> رحمه الله: هو اللغو والغناء. وقيل: مجالس الغناء والفحش وقال: كثيرون هي أعياد المشركين. وقيل: شهادة الزور وهي الكذب على غيره متعمداً<sup>(5)</sup>.

كما ثبت في الصحيحين: عن أبي بكرة - رضي الله عنه -<sup>(6)</sup> قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا انبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً قلنا: بلى يا رسول الله قال: الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور مزال يكررها حتى قلنا ليته

1- سورة النساء، الآية 110.

2- سورة التوبة، من الآية 104.

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (118/6).

4- هو: ابن الحنفية محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أبو القاسم ابن الحنفية واسمها خولة بنت جعفر من سبي اليمامة. ولد في صدر خلافة عمر بن الخطاب ورأى عمر، وروى: عن أبيه وعثمان وعمار وأبي هريرة وغيرهم، وروى: عنه الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب (212).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (118/6).

6- هو: أبو بكرة واسمه: نفيح بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غير بن عوف بن ثقيف الثقفي. وهو ممن نزل يوم الطائف إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حصن الطائف في بكرة، فأسلم، وكني أبا بكرة وأعتقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معدود في مواليه. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، للجزري (35/6).

سكت<sup>(1)</sup>، والأظهر أن المراد أي: لا يحضرونه؛ ولهذا قال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغَوِّ مَرُّوا كِرَامًا﴾ أي: لا يحضرون الزور، وإذا اتفق مرورهم به مروا ولم يدينسوا منه بشيء.

رُوي أن ابن مسعود - رضي الله عنه - مر بلهو فلم يقف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد أصبح ابن مسعود وأمسي كريماً)<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾. أي: لم يصبوا عن الحق، ولم يعموا فيه، والله قوم عقلوا عن الله وانتفعوا بما سمعوا من كتابه. قاله: قتادة<sup>(3)</sup>.

وسئل الشعبي<sup>(4)</sup> - رحمه الله - عن الرجل يرى القوم سجدوا أيسجد معهم؟ فتلا هذه الآية، يعني: أنه لا يسجد معهم؛ لأنه لم يتدبر آية السجدة ولا ينبغي للمؤمن أن يكون إمعة<sup>(5)</sup>، بل يكون على بصيرة في أمره ويقين واضح بيّن، وهذه من صفات المؤمنين ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية<sup>(6)</sup><sup>(7)</sup>، بخلاف الكافر فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يتغير عما كان عليه، بل يبقى مستمراً على كفره وطغيانه وجهله وظلاله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ

1- صحيح البخاري، كتاب الشهادات. باب: ما قيل في شهادة الزور. رقم الحديث (2654)(172/3). وصحيح

مسلم، كتاب الإيمان. باب: بيان الكبائر وأكبرها. رقم الحديث (87)(91/1).

2- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2739/8).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (119/6).

4- هو: عامر بن شراحبيل بن عبد بن ذي كبار. ويقال: هو عامر بن عبد الله، مولده في إمرة عمر بن الخطاب، لست سنين خلت منها، حدث عن: علقمة، والأسود، والحارث الأعور، وغيرهم، وروى عنه خلق. توفي سنة 104 هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (79/1).

5- مادة (أمع) الإمعة والإمع بكسر الهمزة وتشديد الميم الذي لا رأي له ولا عزم فهو يتابع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شيء والهاء فيه للمبالغة. ينظر: لسان العرب لابن منظور (3/8).

6- سورة الأنفال، من الآية 2.

7- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (119/6).

زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَى رِجْسِهِمْ﴾<sup>(1)</sup>، ومعنى: ﴿لَمْ يَخْرُؤْ﴾ لم يقعوا ولم يسقطوا أي: لم يسمعوا ولم يصبروا ولم يفقهوا حقاً.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا﴾ يعني: الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم و ذرياتهم ما يطيعون ويعبده وحده لا شريك له.

قال ابن عباس رضي الله عنه: يعنون من يعمل بالطاعة، فتقرُّ به أعينهم في الدنيا والآخرة<sup>(2)</sup>، يعني: يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام.

وقوله: ﴿وَأَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. قال ابن عباس- رضي الله عنهما - وأتباعه: أي: أئمة يُقتدى بنا في الخير<sup>(3)</sup>، وقيل: هداة مهدين دعاة إلى الخير فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم و ذرياتهم وأن يكون هداهم متعدٍ إلى غيرهم بالنفع، وذلك أكثر ثواباً وأحسن مآباً ولهذا ورد في صحيح مسلم، عن أبي هريرة- رضي الله عنه -قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به وولد صالح يدعو له)<sup>(4)</sup>.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا الْجَنَّةَ وَالسَّلَامَ﴾<sup>(٧٥)</sup> خَلِيدِينَ  
فِيهَا حَسَنَاتٌ مِّسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبُؤُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ  
لِزَامًا ﴿٧٧﴾.

لما ذكر- تعالى- من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر قال: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المتصفون بهذه ﴿يُجْزَوْنَ﴾ أي: يوم القيامة الغرفة، وهي الجنة.

1- سورة التوبة، الآية: 124- 125.

2- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (386).

3- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (386).

4- صحيح مسلم، كتاب الوصية. باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته. رقم الحديث (1631) (1255/3).

قال أبو جعفر الباقر (1) وغيره: سميت بذلك لارتفاعها (2).

﴿بِمَاصِرُؤًا﴾ أي: على القيام بذلك ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ أي: يُبْتَدَرُونَ فيها بالتحية والإكرام، ويلقون فيها التوقير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار.

وقوله: ﴿حَكِّدِينَ فِيهَا﴾ أي: مقيمين، لا يظعنون ولا يموتون، ولا يزولون عنها ولا يبعثون عنها حولا.

وقوله: ﴿حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: حسنت منظرا وطابت مقبلا ومنزلا، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾ أي: لا يبالي ولا يكثرث بكم إذا لم تعبدوه؛ فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحده ويسبحوه بكرة وأصيلا.

قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ لولا إيمانكم، فأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين، ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حببه إلى المؤمنين.

وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أي: أيها الكافرون ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِرِزَامًا﴾ أي: فسوف يكذبكم لزاماً لكم، يعني: مقتضيا لهلاككم وعذابكم في الدارين ويدخل في ذلك يوم بدر كما فسره بذلك ابن مسعود - رضي الله عنه - وجماعة، وقال الحسن رحمه الله: يعني: يوم القيامة، ولا منافاة بينهما (3). والله أعلم.

1- هو: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويقال له: باقر العلم وذكر أبو عمر الزاهد المطرز صاحب ثعلب قال: إنما سمي محمدا باقرا لأنه شق العلم وفتح وأظهره وبينه. ينظر: ألقاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين. لأبي علي الحسين بن محمد الغساني وكان يكره أن يقال له الجبائي (المتوفى: 498هـ) تح: د محمد زينهم محمد عزب ومحمود نصار. دار الفضيلة - القاهرة - مصر. (45/1).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (120/6).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (121/6).

## تفسير سورة الشعراء

وهي مكية

قيل: إلا أربع آيات من آخر السورة من قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (1).  
ووقع في تفسير مالك (2) - رحمه الله - المروي عنه تسميتها: "سورة الجامعة" (3).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَمَ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثًا إِلَّا كَانُوا عَنْتَهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)﴾.  
سبق البحث عن الحروف المقطعة في أوائل السور، في أول سورة "البقرة" (4).

قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أي: هذه آيات القرآن المبين، الواضح، الذي يفصل بين الحق والباطل، والغي والرشاد.

وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ﴾ أي: مهلك نفسك مما تحرص وتحزن عليهم ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وهذه تسلية من الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - في إعراضهم عن الإيمان كما قال: ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ (5).

1- ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (102/6).

2- هو: مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. فصنف: "الموطأ". وله رسالة في "الوعظ وكتاب في المسائل وغيرها. ينظر: تهذيب التهذيب (5/10).

3- ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ويُسَمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، الإمام الحافظ/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة الأولى: 1408هـ - 1988م. (198/3).

4- ينظر: اللوحة رقم 9- أ/ من المخطوط.

5- سورة فاطر، من الآية 8.

وقال مجاهد وغير واحدٍ: لعلك قاتلٌ نفسك<sup>(1)</sup>، وذلك حين استمروا على الشرك وكذبوه فشق عليه وكان حريصاً على إيمانهم.

ثم قال الله تعالى: ﴿إِنْ شَأْنُنَا نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ أي: لو شئنا لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهراً، ولكننا لا نفعل ذلك؛ لأننا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختياري، وإنما قال: ﴿خَاضِعِينَ﴾ ولم يقل خاضعةً وهي صفة الأعناق لأن المراد أصحاب الأعناق فأقام الأعناق مقامهم لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون لأنه كناية عن جميع البدن.

وقال الأخفش<sup>(2)</sup> رحمه الله: رد الخضوع على المضمرة الذي أضاف الأعناق إليه. وقال مجاهد رحمه الله: أراد بالأعناق الرؤساء والكبراء<sup>(3)</sup>، أي: فظلت كباراً وهم خاضعين.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾<sup>(4)</sup>، فنقد قدره وقامت حجته على خلقه بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم.

ثم قال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثًا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ أي: كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس.

قال الكلبي<sup>(5)</sup> رحمه الله: كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول<sup>(6)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (122/6).

2- هو: محمد سعيد البغدادي الملقب بالأخفش: نحوي. من أهل بغداد. ولي القضاء بالسماوة، وتوفي فيها. وكان كثير المزاح والمجون في كلامه ونظمه. له (شرح ألفية السيوطي) في النحو. الأعلام للزركلي (141/6).

3- ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (106/6).

4- سورة هود الآية 118.

5- هو: محمد بن السائب بن بشر، وقيل مبشر بن عمرو أبو النضر الكلبي الكوفي صاحب التفسير وكان إماماً في التفسير وروى عنه سفيان الثوري ومحمد بن إسحاق وشهد جده بشر وبنوه السائب وعبيد وعبد الرحمن وقعة الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب توفي سنة ست وأربعين ومائة. ينظر: طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. مكتبة وهبة - القاهرة. الطبعة الأولى، 1396هـ. تح: علي محمد عمر (18-17/1).

6- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (107/6).

أي: محدث في التنزيل؛ ولهذا قال: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْرَهُونَ﴾ أي: فقد كذبوا ما جاءهم من الحق، فسيعلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين ثم نبه - تعالى - على عظمته في سلطانه الذين اجترؤوا على مخالفة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وتكذيب كتابه.

فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي: صنفٍ وضربٍ من زروع وثمار وحيوان ﴿كَرِيمٍ﴾ أي: حسن يقال: نحلةٌ كريمةٌ إذا طاب حملها وناقاةٌ كريمةٌ إذا كثرت لبنها.

قال الشعبي رحمه الله: الناس من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم (1).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ أي: دلالة على قدرة الخالق للأشياء، الذي بسط الأرض ورفع بناء السماء، ومع هذا ما آمن أكثر الناس، بل كذبوا به وبرسله وكتبه وخالفوا أمره وارتكبوا زواجره.

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: الذي عز كل شيء وقهره وغلبه، ﴿الرَّحِيمُ﴾ أي: بخلقه، فلا يعجل على من عصاه، بل ينظره ويؤجله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر إن لم يرجع ويرحمه إن تاب إليه وأناب.

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أُنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمٌ فَزَعُونَ إِلَّا يَنْفُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضْحِكُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِعَابَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 123).

مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَيَّْ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٣٢﴾.

أخبر تعالى: عما أمر به كلمه - عليه السلام - حيث ناداه من جانب الطور الأيمن وكلمه وناجاه، وأرسله إلى فرعون وملئه؛ ولهذا قال: ﴿أَنْتِ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ يَقْتُلُونَ﴾.

هذه أعدار سأل من الله إزالتها عنه، كما قال في سورة "طه": ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ (1).

وقوله: ﴿أَلَا يَنْفُونَ﴾ أي: لا يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ أي: من تكذيبهم إياي ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ أي: من العقدة التي عليه. وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ أي: بسبب ما كان من قتل القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر.

﴿قَالَ كَلَّا﴾ أي: قال الله له: لا تخف من شيء من ذلك ﴿فَأَذَهَبَا بِمَا يَنْتَنَّا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: معكما ومع أتباعكما من بني إسرائيل بالحفظ والنصرة والتأييد ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ أي: يسمع ما يجيبكم فرعون ﴿فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: كل منا رسول من الله إليك، ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: أطلقهم من إسارك وقبضتك وقهرك، فإنهم عباد الله المؤمنون وهم معك في العذاب المهين.

فلما سمع فرعون ذلك أعرض فرعون متمرداً، ونظر بعين الازدراء، فقال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِتْنًا وَوَلَدْنَاكَ الْآيَةَ، أَي: أَلست الذي ربيناها صغيراً فينا، وفي بيتنا وعلى فراشنا وغذيناها وأنعمنا عليه مدة من السنين، ثم بعد ذلك قابلت ذاك الإحسان بتلك الفعلة، أن قتلت منا رجلاً وحدثت نعمتنا عليك؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾

1- سورة طه، الآيات 25-36.

أي: الجاحدين. قاله ابن عباس- رضي الله عنه - وغيره، واختاره ابن جرير (1).

﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا﴾ أي: في تلك الحال، ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ أي: قبل أن يوحى إليّ وينعم الله عليّ بالرسالة والنبوة، وأنا من الجاهلين ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: الحال الأول انفصل وجاء أمر آخر، فقد أرسلني الله إليك فإن أطعته سلمت، وإن خالفته عطيت.

ثم قال موسى عليه السلام: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: وما أحسنت إليّ وربيتني مقابل ما أسأت إليّ بني إسرائيل، فجعلتهم عبيدا وخدماء تصرفهم في أعمالك و مشاق رعبتك، أفيفي إحسانك إليّ رجل واحد منهم بما أسأت إليّ مجموعهم؟ أي: ليس ما ذكرته شيئا بالنسبة إليّ ما فعلت بهم.

وقيل: هو إقرار من موسى -عليه السلام- بنعمته عليه حيث رباه ولم يقتله ولم يستعبده كما فعل مع بني إسرائيل (2).

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لِمَجْنُونٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

اخبر تعالى: عن تمرد فرعون وطغيانه، وجحوده في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وذلك انه كان يقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (3) ﴿فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ﴾ (4)، وكانوا يجحدون الصانع- تعالى- ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون فلما قال موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (5).

1- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (437/9).

2- ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (110/6).

3- سورة القصص، من الآية 38.

4- سورة الزخرف، من الآية 54.

5- سورة الزخرف، من الآية 46.

قال له: وَمَنْ هَذَا الَّذِي تَزْعَمُ أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ غَيْرِي هَكَذَا فَسِرْوَهُ، حَتَّى قَالَ السَّيِّدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ آيَةٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ الآية (1)(2).  
 ومن زعم أن هذا سؤال عن الماهية<sup>(3)</sup>، فقد غلط؛ فإنه لم يكن يقر بالصانع حتى يُسأل عن ماهيته، بل كان جاحداً له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه، فعند ذلك قال موسى -عليه السلام- في جوابه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: خالق جميع ذلك ومالكه، والمتصرف فيه وإلهه، لا شريك له، هو الله الذي خلق الأشياء كلها، العالم العلوي بما فيه، والسفلي وما فيه وما بينهما من الهواء، وما يحتوي عليه الجو، الجميع له عبيد خاضعون ذليلون.  
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أي: إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار نافذة، فعند ذلك التفت فرعون إلى مَنْ حوله من ملئه وأركان دولته قائلاً لهم، على سبيل الاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله: ﴿أَلَا تَسْتَعِينُونَ﴾ أي: ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه أن إلهاً غيري، فقال لهم موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: خالقكم وخالق آباءكم الأوائل الذين كانوا قبل فرعون وزمانه.

﴿قَالَ﴾ أي: فرعون لقومه: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: ليس له عقل في دعواه أن تمّ ربا غيري.

﴿قَالَ﴾ أي: موسى -عليه السلام- لأولئك ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن كنتم تعقلون ﴿أي: هو الذي جعل المشرق مشرقاً تطلع منه الكواكب، والمغرب مغرباً تغرب فيه الكواكب ثوابتها وسياراتها، مع هذا النظام الذي سخّر لها فيه وقدرها، فإن

1- سورة طه، الآية 49.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 125).

3- الماهية: تطلق غالباً على الأمر المتعقل، مثل المتعقل من الإنسان، وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي. والأمر المتعقل، من حيث إنه مقول في جواب ما هو، يسمى: ماهية. ينظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني. دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى، 1405هـ، تح: إبراهيم الأبياري. (195/1).

كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقاً فليعكس الأمر، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ الآية (1)؛ ولهذا لما غلب فرعون وانقطعت حجته، عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى -عليه السلام- فقال ما أخبر - تعالى - عنه: ﴿قَالَ لِيْنِ أَخَذْتَهُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٢٩) قَالَ أَوْلُو جِثَّتِكَ بِشَىءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ إِذَا هِيَ بَيْضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَا تُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ (٣٧).

لما قامت على فرعون الحجة بالبيان والعقل، عدل إلى قهر موسى بيده وسلطانه فقال: ﴿لِيْنِ أَخَذْتَهُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ أي: من المحبوسين.

قال الكلبي رحمه الله: كان سجنه أشد من قتله (2)، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَوْلُو جِثَّتِكَ بِشَىءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: برهان قاطع واضح ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ.

أي: ظاهر في غاية الجلاء والعظمة، ذات قوائم وفم واسع، وشكل هائل مزعج.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أي: من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ﴾ أي: تتلأأ كقطعة من القمر. فبادر فرعون لشقائه إلى التكذيب والعداوة فقال: ﴿لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فاضل بارع في السحر، فرَوَّج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من المعجزة ثم هيجهم وحرصهم على مخالفته، والكفر به.

1- سورة البقرة، من الآية 258.

2- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (111/6).

فقال: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أي: يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم، فأشيروا عليّ فيه ماذا أصنع به؟ ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سِحَارٍ عَلِيمٍ﴾ أي: أخره حتى تجمع له من مدائن ملكك كل سحار عليم يقابلونه ويأتون بنظير ما جاء به، فتغلبه أنت وتكون لك النصره والتأييد. فأجابهم إلى ذلك. وكان هذا من تسخير الله لهم في ذلك؛ ليجتمع الناس في صعيد واحد، ولتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار.

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلْنَا نَبْعَثَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ هُمْ مُوسَى الْقَوْمَ مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِيدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾

ذكر تعالى: هذه المناظرة الفعلية بين موسى -عليه السلام- وفرعون في "سورة الأعراف" (1) وفي "سورة طه" (2) وفي هذه السورة، وذلك أن فرعون وقومه أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وهذا شأن الكفر والإيمان، ما تواجهها وتقابلا إلا غلب الإيمان، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (3)؛ ولهذا لما جمعت السحرة، من أقاليم بلاد

1- ينظر: اللوحة رقم 168-ب/ من المخطوط.

2- ينظر: اللوحة رقم 297-ب/ من المخطوط.

3- سورة الأنبياء، من الآية 18.

مصر<sup>(1)</sup> وكانوا جمعاً كثيراً، وجمّاً غفيراً. قيل: كانوا اثني عشر ألفاً. وقيل: أكثر من ذلك بأضعاف كما سبق<sup>(2)</sup>.

قال ابن إسحاق رحمه الله: وكان أمرهم راجعاً إلى أربعة منهم وهم رؤسائهم: ساتور و عازور و حطط، ومصفي<sup>(3)</sup>.

وحشد الناس في الاجتماع ذلك اليوم، وقالوا: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْعَالِيَيْنِ﴾ ولم يقولوا: نتبع الحق؛ لأن الرعية على دين ملكهم.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ﴾ أي: إلى مجلس فرعون وقد ضرب له وطاقاً وأمراءه ووزراءه ورؤساء دولته وجنود مملكته، وقام السحرة بين يديه يطلبون منه الإحسان إليهم والتقرب إليه إن غلبوا، ﴿قَالُوا﴾ لفرعون ﴿أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا﴾ أي: في هذا الذي جمعنا من أجله ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيَيْنِ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ أي: وأخص مما تطلبون أجعلكم من المقربين عندي وجلسائي. فعادوا إلى مقام المناظرة ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾<sup>(4)</sup>، وقد اختصر هذا ها هنا.

﴿قَالَ لَهُمْ﴾ موسى عليه السلام: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فَالْقُوا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ﴾، وقد ذكر تعالى: في سورة "الأعراف"، أنهم ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءَهُمْ بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾<sup>(5)</sup>، وفي سورة "طه": ﴿فَإِذَا جِبَاهُهُمْ﴾

1- مصر: هي البلاد المعروفة من العريش إلى اسوان وعرضها من برقة إلى ايليا. سميت بمصر بن مصرام بن حام بن نوح، عليه السلام، وهي أطيب الأرض تراباً وأبعدها خراباً، ولا يزال فيها بركة ما دام على وجه الأرض إنسان. ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد (105/1).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (127-126/6).

3- ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة: الأولى، 1412هـ-1992م. (343/1).

4- سورة طه، الآيتين 65-66.

5- سورة الأعراف، من الآية 116.

وَعَصِيَّتُهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿حَيْثُ أَتَى﴾ (1).

وقال هاهنا: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: تختطفه وتجمعه من كل موضع وتبتلعه فلم تدع منه شيئاً.

قال تعالى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَبْرِينَ وَأَلْقَى السَّحْرَ سَاحِدِينَ قَالُوا أَمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (2)، فكان هذا أمراً عظيماً جداً وبرهاناً قاطعاً للعدر وحجة بالغة، وذلك أن الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يَغْلِبُوا غُلْبُوا وخضعوا وآمنوا بموسى -عليه السلام- في الساعة، وسجدوا لله رب العالمين الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة، ولما صار فرعون مغلوباً، عدل إلى المكابرة ودعوى الباطل، فشرع يهددهم ويتوعدهم، قائلاً: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ أَوَّلَ﴾ (3) وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ (4).

﴿قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْلَمُونَ لَا فِطْرَانَ أَيُّدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا نُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾.

كلما تهددهم فرعون، وتوعدهم زادهم إيماناً وتسليماً، وذلك أنه قد كشف الله عن قلوبهم غشاوة الكفر، وظهر لهم الحق فعلموا ما جهل قومهم، من أن الذي جاء به موسى ليس إلا معجزة ظاهرة وحجة قاطعة؛ ولهذا لما قال لهم فرعون: ﴿أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَجْمَعِينَ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ أي: كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم، فإن أذنت لكم فعلتم، وإن منعتكم امتنعتم، فإني أنا الحاكم المطاع ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾.

1- سورة طه، الآيات 66-69.

2- سورة الأعراف، الآيات 118-122.

3- سورة طه، الآية 71.

4- سورة الأعراف، من الآية 123.

وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر.

ثم توعدّهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل والصلب، فقالوا: لا يضرنا ذلك ولا نبالي به ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ أي: المرجع إلى الله، وهو لا يضيع أجر من أحسن عملاً و سيجزينا أتم الجزاء؛ ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتَنَا﴾ أي: ما اقتترفناه من الذنوب، وما أكرهتنا عليه من السحر، ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بسبب أننا بادرنا قومنا من القبط إلى الإيمان، قتلهم كلهم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ ٥٢ ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ٥٣ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ ٥٤ ﴿وَلَيْتُمْ لَنَا لَعَايِطُونَ﴾ ٥٥ ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ ٥٦ ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّتِ وَعَيْوُنِ﴾ ٥٧ ﴿وَكُنُوزِ وَمَقَامِ كَرِيمٍ﴾ ٥٨ ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ٥٩.

لما لم يرد فرعون وملاه، مع إقامة الحجج والبراهين إلا مكاراة وعناداً، لم يبق لهم إلا العذاب والنكال، أمر الله موسى -عليه السلام- أن يخرج بني إسرائيل ليلاً من مصر، وأن يمضي بهم حيث يؤمر، ففعل موسى -عليه السلام- ما أمره به ربه، و خرج بهم بعدما استعاروا من قوم فرعون حلياً كثيراً، وكان خروجه بهم فيما روي، وقت طلوع القمر.

وذكر مجاهد رحمه الله: أنه خُصِفَ القمر تلك الليلة، وأن موسى -عليه السلام- سأل عن قبر يوسف -عليه السلام- فدلته امرأة عجوز من بني إسرائيل عليه، فاحتمل تابوته معهم، ويقال: إنه هو الذي حمّله بنفسه -عليه السلام- وكان يوسف -عليه السلام- قد أوصى بذلك إذا خرج بنو إسرائيل من مصر أن يحملوه معهم، وقد ورد في ذلك حديث غريب رواه ابن أبي حاتم فقال: عن أبي موسى (1) قال: (نزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأعرابي فأكرمه، فقال له رسول الله

1- هو: أبو موسى الأشعري، واسمه عبد الله بن قيس، وأمه امرأة من عك أسلمت وماتت بالمدينة، وقيل: مات بالكوفة سنة اثنتين وأربعين. وقيل: سنة أربع وأربعين. وقيل: سنة خمسين. وقيل: سنة اثنتين وخمسين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (307/5).

صلى الله عليه وسلم: تَعَاهَدْنَا، فَأَتَاهُ الْأَعْرَابِيُّ فَقَالَ لَهُ: حَاجَتُكَ؟ قَالَ نَاقَةَ بَرَحِهَا وَأَعْنُقُ يَحْتَلِبُهَا أَهْلِي، فَقَالَ: أَعْجَزْتَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَضَلَّ الطَّرِيقَ، فَقَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا هَذَا فَقَالَ لَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: نَحْنُ نَحَدِّثُكَ أَنَّ يُوسُفَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْتَقًا مِنْ اللَّهِ أَلَّا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ تَابُوتَهُ مَعَنَا، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَأَيْكُمْ يَدْرِي أَيْنَ قَبْرِ يُوسُفَ قَالُوا: مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا عَجُوزُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَقَالَ: دَلِّينِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ حَتَّى تَعْطِينِي حَكْمِي، قَالَ: وَمَا حَكْمُكَ قَالَتْ: حَكْمِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَكَأَنَّهُ ثَقُلَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ: أَعْطَاهَا حَكْمَهَا، قَالَ: فَانْطَلَقَتْ مَعَهُمْ إِلَى بَحِيرَةٍ - مُسْتَقْعَ مَاءٍ - فَقَالَتْ لَهُمْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ فَلَمَّا أَنْضَبُوهُ قَالَتْ: احْتَفِرُوا، فَلَمَّا احْتَفَرُوا سَخَّرَ جِوَارِ قَبْرِ يُوسُفَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَلَمَّا احْتَمَلُوهُ إِذَا الطَّرِيقُ مِثْلَ ضَوْءِ النَّهَارِ<sup>(1)</sup>. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهِ.

فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَلَيْسَ فِي دِيَارِهِمْ دَاعٍ وَلَا مَجِيبٌ، غَاظَ ذَلِكَ فِرْعَوْنَ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمَّا يَرِيدُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهَلَاكِ، فَأَرْسَلَ سَرِيعًا فِي بِلَادِهِ حَاشِرِينَ، أَي: مَنْ يَحْشُرُ الْجَنْدَ وَيَجْمَعُهُ، كَالنَّقَبَاءِ وَالْحُجَّابِ، وَنَادَى فِيهِمْ: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ لَطَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَايُطُونَ﴾ أَي: كُلُّ وَقْتٍ يَصِلُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ مَا يَغِيظُنَا.

﴿وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ﴾ أَي: مُسْتَعِدُونَ بِالسَّلَاحِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْتَأْصِلَ شَأْفَتَهُمْ وَأَبِيدَ خَضْرَاءَهُمْ، فَجُوزِي فِي نَفْسِهِ وَجَنَدِهِ بِمَا أَرَادَ بِهِمْ.

1- مسند أبو يعلى (236/13). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت354هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت739هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1، 1408هـ-1988م. كتاب الرقائق، باب: الورع والتوكل رقم الحديث (723) (500/2).

قال الله: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّتِ وَعِيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: فخرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم، تركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا.

﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾، وذلك أن الله رد بني إسرائيل إلى مصر بعد ما أغرق فرعون وقومه، فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والأموال.

﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْنَا تَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾.

ذكروا: أن فرعون خرج في جمع كثير، من أهل الحل والعقد والأمراء والوزراء والجنود، و ذكر غير واحد من الإسرائيليات، أنه خرج في ألف ألف وستمئة ألف فارس منها مئة ألف على خيل دهم، فخرجوا بأجمعهم (1).

﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴾ أي: وصلوا إليهم عند شروق الشمس، وهو طلوعها.

﴿ فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ ﴾ أي: رأى كل من الفريقين الآخر ﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ وذلك أنه انتهى بهم السير إلى سيف البحر، وهو بحر قلزم (2)، فصار أمامهم البحر وفرعون قد أدركهم بجنوده، فلماذا قالوا: ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ أي: لا يصل إليكم شيء مما تحذرون، فإن الله هو الذي أمرني أن أسير هاهنا بكم، وهو لا يخلف الميعاد.

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (130/6).

2- بحر القلزم: وهو أيضا شعبة من بحر الهند أوله من بلاد البربر والسودان الذين ذكرنا في بحر الزنج وعدن ثم يمتد مغربا وفي أقصاه مدينة القلزم قرب مصر وبذلك سمي بحر القلزم. ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر - بيروت. (344/1).

وكان هارون-عليه السلام- في المقدمة، ومعه يوشع بن نون<sup>(1)</sup>، ومؤمن آل فرعون<sup>(2)</sup> وموسى -عليه السلام- في الساقية<sup>(3)</sup>، واقترب فرعون وجنوده، ولم يبق إلا القليل، فعند ذلك أمر الله سبحانه موسى -عليه السلام- أن يضرب البحر بعصاه، فضربه، فقال: انفلق بإذن الله.

ثقل أن موسى-عليه السلام- لما انتهى إلى البحر قال: يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء، والكائن بعد كل شيء، اجعل لنا مخرجًا، فأوحى الله إليه:

﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾.

قال ابن إسحاق رحمه الله: أوحى الله - فيما ذكر لي- إلى البحر أن إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له، قال: فبات البحر يضرب بعضه بعضًا فرقا من الله- تعالى- وانتظارًا لما أمره الله، وأوحى الله إلى موسى: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضربه بها وفيها، ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ أي: فأنشق فصار كل قطعة كالجبل الكبير الضخم<sup>(4)</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنه: صار البحر اثني عشر طريقًا، لكل سبط طريق، وزاد السدي رحمه الله: وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض، وقام

1- هو: يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، وهو فتى موسى بن عمران عليه السلام والخليفة بعده على أمته. ينظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي ط1، 1408هـ-1988م. (372/1).

2- هو: شمعان بشين معجزة فهو شمعان مؤمن آل فرعون - قال أحمد ابن حنبل عن إبراهيم بن خالد عن رباح قال حدثت عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبای قال كان اسم مؤمن آل فرعون شمعان - قاله بالشين المعجزة. ينظر: الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب المؤلف: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماکولا، دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان الطبعة: ط1، 1411هـ-1990م (365/4).

3- (الساقية) من الجيش مؤخره. ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، دار الدعوة، تح: مجمع اللغة العربية (464/1).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (130/6).

الماء على حياله كالحيطان، وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلفحته، فصار يبسا كوجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿فَأَضْرَبَ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ (1)(2).

ثم قال: ﴿وَأَرْزَقْنَا تَمَّ الْأَخْرِينَ﴾.

قال ابن عباس- رضي الله عنهما - وغير واحد: أي: قربنا فرعون وجنوده من البحر وأدنيناهم إليه (3).

﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ﴾ أي: أنجا موسى وبني إسرائيل ومن تبعهم على دينهم فلم يهلك منهم أحد، وأغرق فرعون وجنوده، فلم يبق منهم رجل إلا هلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أي: في هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين؛ لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: من أهل مصر فإنه لم يكن آمن منهم إلا آسية امرأة فرعون (4) وحزبيل المؤمن (5) ومريم بنت ناقوسا (6)(7).

1- سورة طه، الآية 77.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/131).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/131).

4- هي: آسية ابنة مزاحم امرأة فرعون، كانت من خيار النساء المعدودات، تزوجت بفرعون موسى ملك مصر ولم تلد منه مدة حياتها معه وكان بحبها مستهاما ولكلامها مطيعا. ينظر: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العمالي (المتوفى: 1332هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: الأولى، 1312 هـ. (40/1).

5- هو: مؤمن آل فرعون حزبييل أو خزبييل وهو اخو آسية امرأة فرعون وقال هشام حزبييل زوج الماشطة وكان فرعون قد جعله على نصف الناس. ينظر: المحبر المؤلف: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (المتوفى: 245هـ)، تح: إيلازة ليختن شتيتير الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت. (388/1).

6- لم أقف على ترجمتها.

7- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخوي (6/116).

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِزٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: العزيز في الانتقام من أعدائه، الرحيم بالمؤمنين حين أنجاهم.

﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّهَا عَنكِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَفْعَلُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعِبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾.

هذا إخبار من الله - تعالى - عن رسوله وخليته، فأمر رسوله وحببيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - أن يتلوه على أمته، ليقنتوا به في عبادة الله وحده لا شريك له، والتبرؤ من الشرك وأهله فإنه - تعالى - أتى إبراهيم رشده من قبل، أي: من صغره إلى كبره، فإنه من وقت نشأ وشب، أنكر على قومه الشرك، فقال: ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّهَا عَنكِينَ﴾ أي: مقيمين على عبادتها ودعائها. ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَفْعَلُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ يعني: اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئاً من ذلك، وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون، فهم على آثارهم يفتنون، فعند ذلك قال لهم إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ إلى آخره أي: إن كانت هذه الأصنام شيئاً ولها تأثير، فلتخلص إليّ بالمساءة، فإنني عدو لها لا أباؤها(1).

قال الفراء(2) رحمه الله: هو من المقلوب، أراد فإني عدو لهم، لأن من

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (132/6).

2- هو: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، المعروف بالفراء، البغوي الملقب بظهير الدين الفقيه الشافعي المحدث المفسر، وصنف كتباً كثيرة، منها كتاب التهذيب في الفقه، وكتاب شرح السنة في الحديث وغير ذلك. توفي في شوال سنة 510 بمروود. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تح: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الطلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1413هـ. (4/ 214).

عاديته فقد عاداك. وقيل: هو على معنى إني لا أتولاهم ولا أطلب من جهتهم نفعاً كما لا يتوقع ذلك من العدو<sup>(1)</sup>.

﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾: هو استثناء منقطع<sup>(2)</sup>، أي: فإنهم عدو لي لكن رب العالمين وليي وناصري وقيل: معناه إلا من عبد رب العالمين، ثم وصف معبوده فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾<sup>(٧٨)</sup> وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ<sup>(٧٩)</sup> وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ<sup>(٨٠)</sup> وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ<sup>(٨١)</sup> وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ<sup>(٨٢)</sup>.

أي: لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء، أي: هو الخالق الذي قدر قدرًا وهدى الخلائق إليه، فكل يجري على ما قدر، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو رازقي، بما سخر ويسر من الأسباب السماوية والأرضية، فأنزل الماء وأحيا به الأرض وأخرج به كل الثمرات رزقا للعباد، وأنزل الماء عذبا زلالا لـ ﴿وَشُقِّيَهُ، مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًّا كَثِيرًا﴾<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله أدبا، أي إذا وقعت في مرض، فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدره من الأسباب الموصلة إليه.

﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ أي: هو الذي يحيي ويميت، لا يقدر على ذلك سواه فإنه هو الذي يبدئ ويعيد.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: هو الذي لا يقدر على غفر الذنوب في الدنيا والآخرة إلا هو، ومن يغفر الذنوب إلا الله، فهو الفعال لما يشاء.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾<sup>(٨٣)</sup> وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ<sup>(٨٤)</sup> وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ<sup>(٨٥)</sup> وَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ<sup>(٨٦)</sup> وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ<sup>(٨٧)</sup> يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ<sup>(٨٨)</sup> إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ<sup>(٨٩)</sup>.

1- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (117/6).

2- معاني القرآن للفراء (281/2).

3- سورة الفرقان، من الآية 49.

قال ابن عباس رضي الله عنه: الحكم المسؤول هو العلم<sup>(1)</sup>.  
وقيل: النبوة، وقيل: العقل، وقال مجاهد: هو القرآن<sup>(2)</sup>.  
﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ أي: اجعلني معهم في الدنيا والآخرة، كما قال النبي  
- صلى الله عليه وسلم - عند الاحتضار: (اللهم الرفيق الأعلى)<sup>(3)</sup>.  
وقوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي: اجعل ذكراً جميلاً بعدي أذكر به  
و يُقْتَدَى بي في الخير.  
قال مجاهد وقتادة رحمهم الله: يعني الثناء الحسن، وهو كقوله تعالى:  
﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(4)</sup>.  
وقوله: ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ أي: أنعم عليّ في الدنيا ببقاء الذكر الجميل  
بعدي، وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم<sup>(5)</sup>.  
وقوله: ﴿وَأَغْفِرْ لِي﴾ هو كقوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾<sup>(6)</sup>، وهذا مما رجَع  
عنه إبراهيم - عليه السلام - كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن  
مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ﴾ إلى قوله: ﴿حَلِيمٌ﴾<sup>(7)</sup>.  
وقد قطع الله - تعالى - الإلحاق في استغفاره لأبيه، فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ  
حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾<sup>(8)</sup> الآية.

1- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (391).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (133/6).

3- صحيح البخاري. كتاب المغازي. باب: آخر ما تكلم به النبي - صلى الله عليه وسلم - . رقم الحديث (4463) (15/6). صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة. باب: في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها. رقم الحديث (2444) (1894/4).

4- سورة العنكبوت، من الآية 27.

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (133/6).

6- سورة إبراهيم، من الآية 41.

7- سورة التوبة، الآية 114.

8- سورة الممتحنة، من الآية 4.

وقوله: ﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: أجرني من الخزي يوم القيامة حين يبعث الخلائق أولهم وآخرهم.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترّة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: فالיום لا أعصيك فيقول إبراهيم: إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون، فأخزي أخزي من أبي الأبعد فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يُقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذبح متلطح، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار). رواه البخاري (1)(2).

وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أي: لا ينجي المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملء الأرض ذهباً: وَلَا بَنُوهُ وَلَوْ افْتَدَى بِمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً، وَلَا يَنْفَعُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ، وَالتَّبَرُّي مِنَ الشَّرْكِ؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: سالم من الدنس والشرك.

قال ابن سيرين (3) رحمه الله: القلب السليم أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وقيل: هو القلب الصحيح السالم من الشرك. وقيل: هو القلب الخالي من البدعة، المطمئن إلى السنة (4).

1- هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة، أبو عبد الله البخاري. روى عن عبيد الله بن موسى ومحمد بن عبد الله الأنصاري وعفان وأبي عاصم النبيل وخلق كثير. روى عنه الترمذي في الجامع كثيراً ومسلم، وغيرهم. صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، و التاريخ، وغيرها. ولد في شوال سنة (194) وتوفي يوم السبت لغرة شوال سنة (256). ينظر: تهذيب التهذيب (47/9-48).

2- صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125] رقم الحديث (3350) (4/139).

3- هو: محمد بن سيرين البصري، الأنصاري مولاهم أبو بكر بن أبي عمرة البصري إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي، من أشرف الكتاب، مولده ووفاته في البصرة. نشأ بزراة، في أذنه صمم، وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، واستكتبه أنس بن مالك، بفارس. وكان أبوه مولى لأنس. ينظر: تهذيب التهذيب (9/214).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/134).

﴿ وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْتَقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ آيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

أي: قربت الجنة وأدبيت من أهلها يوم القيامة مزينة مزخرفة لناظرها، وهم المنقون الذين رغبوا فيها، وعملوا لها في الدنيا.

﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ أي: أظهرت وكُشف عنها، وبدت منها عنق، فزفرت زفرة بلغت منها القلوب الحناجر، وقيل لأهلها تقريعاً وتوبيخاً: ﴿ آيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴾ أي: ليست الأصنام التي عبدتموها بأن تغني عنكم اليوم شيئاً ولا تدفع عن أنفسها؛ فإنكم وإياها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون. وقوله: ﴿ فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾. قال مجاهد رحمه الله: أي فذُهِرُوا فيها<sup>(1)</sup>. والمراد: ألقى بعضهم على بعض، من الكفار وقادتهم الذين أغواهم و دعوهم إلى الشرك.

﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾، وهم أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس أي: ألقوا فيها عن آخرهم.

﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ أي: يقول الضعفاء للذين استكبروا: ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَلْنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴾<sup>(2)</sup>.

ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة: ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي: نجعل أمركم مطاعاً كما يطاع أمر رب العالمين.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (135/6).

2- سورة غافر، من الآية 47.

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: ما دعانا إلى ذلك إلا المجرمون أي: الشياطين ومن اقتدينا بهم.

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ قيل: يعني من الملائكة. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي: قريب. قال قتادة: تعلمون - والله - أن الصديق إذا كان صالحاً نفع، وأن الحميم إذا كان صالحاً شفع<sup>(1)</sup>.

﴿فَلَوْ أَن لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك أنهم يتمنون أنهم يردُّوا إلى الدنيا ليعملوا بطاعة ربهم فيما يزعمون الله يعلم أنه لو ردهم إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أي: إن في محاجة إبراهيم - عليه السلام - لقومه وإقامته الحجة عليهم في التوحيد لآية ودلالة واضحة على أنه لا إله إلا الله ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ سبق تفسير ذلك قريباً<sup>(2)</sup>.

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٠٥ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١٠٦ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ١٠٧ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٠٨ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٠٩ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١١٠.

هذا إخبار من الله، عن رسوله نوح - عليه السلام - وهو أول رسول بُعث إلى أهل الأرض بعدما عبدت الأصنام، فبعثه الله ناهياً عن ذلك، ومحذراً من وبيل عقابه، فكذب قومه واستمروا على ما هم عليه من عبادة الأصنام، وينزل تكذيبهم له منزلة تكذيب جميع الرسل؛ ولهذا قال: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٠٥ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تخافون الله في عبادتكم غيره.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: رسول من الله إليكم، أمين فيما بعثني به، أبلغكم رسالة الله إليكم لا أزيد فيها ولا أنقص منها.

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/135).

2- ينظر: ص (71) من الرسالة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم، بل أدخر ثواب ذلك عند الله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فقد وضح لكم وبان صدقي ونصحي وأمانتي فيما بعثني به وأتمنني عليه.

﴿قَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ (١١٣) قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٥﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٧﴾.

أي: أنؤمن لك وتتبعك، وتتساوى في ذلك بهؤلاء الأراذل الذين اتبعوك. ﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعني: وأي شيء يلزمني من اتباع هؤلاء وليس عليّ من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء إنما دعوتهم إلى الله، ولي منهم ظاهر.

﴿إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ أي: لو تعلمون ذلك.

قال الزجاج<sup>(1)</sup> رحمه الله: الصناعات لا تضر في الديانات<sup>(2)</sup>.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، كأنهم سألوا منه أن يبعدهم عنه ليتابعوه، فأبى عليهم ذلك وقال: ﴿إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أي: إنما بعثت نذيراً، فمن أطاعني وصدقني كان مني وكنت منه، سواء كان شريفاً أو ضيعاً.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَنْبُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَيَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَلْبَحِينَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْأَبْقِيَاءَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٢٢﴾.

1- هو: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ببغداد سنة (241) ومات في بغداد سنة (311) هـ. من كتبه: (معاني القرآن) و(الاشتقاق) و(خلق الإنسان) و(الأمالي) في الأدب واللغة وغيرها. ينظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1414 هـ-1993 م (51/1).

2- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (121/6).

لما طال مقام نوح -عليه السلام- بين أظهرهم يدعوهم إلى الله ليلا ونهاراً ولم يزدهم ذلك إلا الغلظة في الكفر، والتمرد والامتناع، قالوا في الآخر: ﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ عَنْ دُعَاؤِنَا يَا نُوْحَ لَنَرْجُمَنَّكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ دَعَا عَلَيْهِمْ دَعْوَةَ اسْتِجَابَ اللهُ مِنْهُ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾، إلى قوله: ﴿لَئِن كَانَ كُفْرًا﴾ (1). وقال هاهنا: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾، هو المملوء بالأمثلة والأزواج التي حمل فيه من كل زوجين اثنين، أي: نجينا نوحاً، ومن اتبعه كلهم وأغرقتنا من كذبه وخالف أمره كلهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهَوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ وسبق تفسيره قريباً (2).

﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُوْدٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾.

هذا إخبار عن حال هود -عليه السلام- أنه دعا قومه عاداً، وكانوا يسكنون الأحقاف وهي: جبال الرمل قريباً من بلاد حضرموت (3)، وكانوا بعد قوم نوح -عليه السلام- كما قال في سورة "الأعراف": ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ

1- سورة القمر، الآيات 10-14.

2- ينظر: ص (71) من الرسالة.

3- حضرموت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود عليه السلام، وقال ابن الفقيه: حضرموت مخلاف من اليمن بينه وبين البحر رمال، وبينه وبين مخلاف صداء ثلاثون فرسخاً، وبين حضرموت وصنعاء اثنتان وسبعون فرسخاً، وقيل: مسيرة أحد عشر يوماً، وقال الإصطخري: بين حضرموت وعدن مسيرة شهر. ينظر: معجم البلدان (270/2).

نُوحٌ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴿١﴾، وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب، والقوة والبطش الشديد والأرزاق الدارة، والأموال والأموال، والارتفاعات الوافرة، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه فبعث الله إليهم رجلاً منهم رسولا وبشيراً ونذيراً فدعاهم إلى الله، وحذرهم نعمته وعذابه في مخالفته، وقال لهم كما قال نوح -عليه السلام- لقومه، إلى أن قال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾، واختلفوا في الريع<sup>(2)</sup> بما حاصله أنه المكان المرتفع على حواشي الطرق المشهورة، تبنون هناك بناء محكما باهراً هائلاً ولهذا قال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً﴾ أي: معلما بناء مشهوراً ﴿تَعْبَثُونَ﴾ أي: تفعلون ذلك عبثاً من غير أن تحتاجون إليه؛ بل لمجرد اللهو واللعب وإظهار القوة؛ ولهذا أنكر عليهم نبيهم، هود -عليه السلام- ذلك لأنه تضييع للمال وإتعااب للأبدان في غير فائدة في الدنيا ولا في الآخرة.

ثم قال: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.

قال مجاهد رحمه الله: المصانع البروج المشيدة، والقصور المحكمة، وفي رواية عنه: بروج الحمام، وقال قتادة رحمه الله: هي مأخذ الماء<sup>(3)</sup>.

﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي: لكي تقيموا فيها أبداً، ولا يكون كذلك، بل زائل عنكم كما زال عن من كان قبلكم.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ﴾ أي: وإذا أخذتم وسطوتهم ﴿بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ وهذا وصف لهم بالقوة والغلظة والجبروت.

1- سورة الأعراف، من الآية 69.

2- مادة: [ر ي ع]: (الريع) بالفتح النماء والزيادة. وأرض (مريعة) بالفتح بوزن مبيعة أي مخصبة. و (ريعان) كل شيء أوله ومنه ريعان الشباب. و فرس (رائع) أي جواد. و (الريع) بالكسر المرتفع من الأرض وقيل: الجبل، ومنه قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: 128]. ينظر: مختار الصحاح، للرازي (133/1).

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (137/6).

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رِبِّكُمْ، وَأَطِيعُوا رَسُولَكُمْ، ثُمَّ شَرَعَ يَذِّكُرُهُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعطاكم من الخير ما تعملون فيه، وتعلموا، ثم بين ما أعطاهم إلى الله بالترغيب والترهيب مما نفع فيهم.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ (١٣٦) ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣٧) ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (١٣٨) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٤٠).

أخبر تعالى: عن جواب قوم هود -عليه السلام- له، بعدما حذرهم وأنذرهم وبين لهم الحق ووضحه، ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أي: لا نرجع عما نحن فيه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي الْهِنَاعِ عَنْ قَوْلِكَ﴾ (1)، كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (2).

وقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾، قرأ بعضهم: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ﴾ بفتح الخاء وتسكين اللام (3).

قال ابن مسعود و ابن عباس رضي الله عنهم: يعنون ما هذا الذي جئنا به إلا أخلاق الأولين، كما قال مشركو قريش: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (4) (5).

وقرأ آخرون بضم الخاء واللام (6)، أي: دينهم وما هم عليه من الأمر هو دين الأوائل من الآباء، والأجداد نحن تابعون لهم نعيش كما عاشوا، ونموت كما ماتوا ولا بعت ولا معاد؛ ولهذا قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾.

1- سورة هود، من الآية 53.

2- سورة البقرة، من الآية 6.

3- هذه قراءة: ابن كثير وأبو عمرو والكسائي، {خلق} بفتح الخاء وتسكين اللام. ينظر: كتاب السبعة في القراءات لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت324هـ) تح: شوقي ضيف الناشر: دار المعارف - مصر - ط2، 1400هـ. (472/1).

4- سورة الأنعام، من الآية 25.

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (138/6).

6- هذه قراءة: نافع وابن عامر وعاصم وحمره {خلق} بضم الخاء واللام. ينظر: السبعة في القراءات (472/1).

قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ أي: فاستمروا على تكذيب هود ومخالفته وعناده، فأهلكهم الله، وقد بين سبب إهلاكه إياهم في غير موضع من القرآن (1) بأنه أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتيةً، أي: ريحاً شديدة الهبوب ذات برد شديد جداً فكان إهلاكهم من جنسهم، فإنهم كانوا أعتى شيء وأجبره، فسلط الله عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة، وقد سبق أن الله - تعالى - لم يرسل إليهم من الريح إلا بمقدار أنف الثور، عتت على الخزنة، فأذن لها في ذلك، وسلكت وحصبت بلادهم فحصبت كل شيء لهم (2)، كما قال تعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ (3)، وكانت الريح تأتي الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهواء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخ دماغه، وتكسر رأسه، وتلقيه، كأنهم أعجاز نخل منقعر.

ولهذا قال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ إلى آخره. كما سبق تفسيره قريباً (4).

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٤﴾

أخبر - تعالى - عن رسوله صالح عليه السلام: أنه بعثه إلى قومه ثمود وكانوا عرباً يسكنون الحجر (5)، التي من وادي القرى وبلاد الشام (6)، ومساكنهم معروفة مشهورة. وقد سبق ذكرهم في سورة "الأعراف" (7) وقد كانوا بعد عاد وقبل

- 1- ذكر ذلك في العديد من سور القرآن الكريم، منها سورة الأعراف الآية (65-69) سورة هود الآية (58) سورة الأحقاف الآية (24-25) وسورة الحاقة الآية (7) وغيرها.
- 2- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (390/3).
- 3- سورة الأحقاف، من الآية 25.
- 4- ينظر: ص (71) من الرسالة.
- 5- الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، قال الإصطخري: الحجر قرية صغيرة قليلة السكان، وهو من وادي القرى على يوم بين جبال، وبها كانت منازل ثمود. ينظر: معجم البلدان (221/2).
- 6- الشام: سميت الشام شاماً لأنها شامة للكعبة، و قالوا: سميت لشامات بها حمر و سود. ينظر: معجم البلدان (143/1).
- 7- ذكروا في سورة الأعراف في الآيات (73-78). ينظر: اللوحة رقم 165-أ/ من المخطوط.

الخليل - عليه السلام - فدعاهم نبيهم صالح إلى الله، أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه، وأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم جزاءً منهم، إنما يطلب ثوابهم من الله، ثم ذكر آلاء الله عليهم.

فقال: ﴿ أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتِ وَعُيُونِ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَٰضِمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرَهُينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾.

واعظاً لهم ومحذراً إياهم نقم الله أن يحل بهم، ومذكراً بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارّة، وآمنهم من المحذورات، وأنبت لهم من الجنات وأنبع لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزروع والثمرات؛ ولهذا قال: ﴿ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَٰضِمٌ ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: أِينع وبلّغ، فهو هضيم<sup>(1)</sup>، والمراد رطباً لطيف لين، كما قال قتادة: الهضيم الرطب اللين<sup>(2)</sup>، وقال الضحاك<sup>(3)</sup> رحمه الله: إذا كثر حمل الثمرة، وركب بعضه بعضاً، فهو هضيم<sup>(4)</sup>. وقال مرة<sup>(5)</sup> رحمه الله: هو الطلّع حين يتقوى ويخضر، وقال الحسن

1- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (465/9).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (140/6).

3- هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم ويقال أبو محمد الخراساني روى: عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة، وجماعة. وقال ابن معين وأبو زرعة: ثقة، وقال ابن عدي: عرف بالتفسير وأما روايته عن ابن عباس وأبي هريرة وجميع من روى عنه ففي ذلك كله نظر، وإنما اشتهر بالتفسير، مات سنة (106) وقال أبو نعيم: مات سنة خمس ومائة. ينظر: تهذيب التهذيب (453/4-454).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (140/6).

5- هو: مرة بن شراحيل الهمداني السكسكي أبو إسماعيل الكوفي المعروف بمرة الطيب ومرة الخير لقب بذلك لعبادته. روى عن: أبي بكر وعمر وعلي وأبي ذر وحذيفة وغيرهم. وعنه: إسماعيل بن أبي خالد وإسماعيل السدي وحسين بن عبد الرحمن وغيرهم. قال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة، توفي زمان الحجاج بعد الجماح وكذا قال أبو حاتم في تاريخ وفاته، وقال غيره: توفي سنة ست وسبعين. ينظر: تهذيب التهذيب (88/10-89).

البصري رحمه الله: هو الذي لا نوى له (1).

وقوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾.

قال ابن عباس- رضي الله عنه - وغير واحد: يعني: حاذقين (2).

وفي رواية عنه: شرهين أشربين، وهو اختيار مجاهد- رحمه الله- وجماعة (3)، ولا منافاة بينهما، فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً وعبثاً، من غير حاجة إلى سكنها، وكانوا حاذقين متقنين بنحتها ونقشها، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم؛ ولهذا قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ أي: أقبلوا على عمل ما يعود عليكم نفعه في الدنيا والآخرة، من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتوحدوه وتعبدوه وتسبحوه بكرة وأصيلاً.

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ يعني: رؤساءهم

وكبراءهم الدعاة لهم إلى الشرك والكفر، ومخالفة الحق.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ هَا شَرِبَ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ (١٥٥) وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ

﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٥٩).

أخبر تعالى: عن ثمود في جوابهم لنبيهم صالح- عليه السلام- حين دعاهم

إلى عبادة ربهم بقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾.

قال مجاهد، وقتادة رحمهم الله: يعنون من المسحورين (4).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: أي: من المخلوقين (5).

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (140/6).

2- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (393).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (140/6).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (141/6).

5- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (468/9).

كما أراد الشاعر بقوله:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عسافير من هذا الأتام المسحر<sup>(1)</sup>

يعني الذين لهم سُحور، والسَّحَر: هو الرئة<sup>(2)</sup>.

والأظهر الأول يعني: إنما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك.

ثم قالوا: ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ أي: فكيف أوحى إليك دوننا، ثم إنهم اقترحوا

عليه آية يأتينهم بها، ليعلموا صدقه فيما جاءهم به من ربهم فطلبوا منه، وقد اجتمع ملؤهم أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة، وأشاروا إلى صخرة عندهم ناقة عُشراء من صفتها كذا وكذا، فعند ذلك أخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به وليتبعنه، فأنعموا بذلك، فقام صالح-عليه السلام- فصلى، ثم دعا الله أن يجيبهم إلى سؤالهم فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عُشراء على الصفة التي وصفوها فأمن بعضهم وكفر أكثرهم.

﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ يعني: ترد ماءكم يوماً، تردونه

أنتم يوماً.

﴿ وَلَا تَسْؤَاهَا يَسُوءٌ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾، فحذرهم نقمة الله إن أصابوها

بسوء فمكثت الناقة بين أظهرهم حيناً من الدهر ترد الماء، وترد الورق والمرعى وينتفعون بلبنها، يحتلبون منها ما يكفيهم شرباً ورياً، فلما طال عليهم الأمد وحضر شقاؤهم تمألوا على قتلها ﴿ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾، وهو أن أرضهم زلزلت زلزلاً شديداً، وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب عن محالها، وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون، فأصبحوا في ديارهم جاثمين، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ إلى آخره.

1- البيت من الطويل للبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري، ثم الجعفري، ينظر ديوان الجعفري (56).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (141/6).

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْقِذُكُمُ الَّذِينَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَانْقَبُوا إِلَيْهِ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴿١٦٦﴾﴾

أخبر تعالى: عن نبيه لوط -عليه السلام- وهو: لوط بن هاران بن أزر وهو ابن أخي إبراهيم الخليل -عليه السلام- وكان قد بعثه الله إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم -عليه السلام- وكانوا يسكنون "سدوم"<sup>(1)</sup> وأعمالها التي أهلكها الله بها، وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة وهي مشهورة

ببلاد الغور<sup>(2)</sup>، محادية لجبال البيت المقدس، بينها وبين بلاد الكرك<sup>(3)</sup> والشوبك<sup>(4)</sup> فدعاهم إلى الله، أن يعبدوه وحده لا شريك له، ولا يشركوا به شيئاً وأن يطيعوه ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في الدنيا مما لا يسبقهم الخلاق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ تعني: الجماع في أدبارهم.

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾

قال مجاهد رحمه الله: أي ترككم أقبال النساء إلى أدبار الرجال<sup>(5)</sup>.

1- سدوم: فعول من السدم، وهو الندم مع غم، قال أبو منصور: مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم، وقال أبو حاتم في كتاب المزال والمفسد: إنما هو سدوم، بالذال المعجمة، قال: والذال خطأ، قال الأزهرى: وهو الصحيح وهو أعجمي، وقال الشاعر: كذلك قوم لوط حين أضحوا... كعصف في سدومهم رميم. وهذا يدل على أنه اسم البلد لا اسم القاضي، إلا أن قاضيها يضرب به المثل فيقال: أجور من قاضي سدوم. ينظر: معجم البلدان (200/3).

2- الغور: غور الأردن بالشام بين البيت المقدس ودمشق، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض البيت المقدس ولذلك سمي الغور، طوله مسيرة ثلاثة أيام، وعرضه نحو يوم، فيه نهر الأردن وبلاد وقرى كثيرة وعلى طرفه طبرية وبحيرتها ومنها مأخذ مياهها، وأشهر بلادها بيسان بعد طبرية، وهو وخم شديد الحر غير طيب الماء. ينظر: معجم البلدان (217/4).

3- كرك: بسكون الراء، وآخره كاف: قرية في أصل جبل لبنان. ينظر: معجم البلدان (452/4).

4- الشوبك: قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والقزم قرب الكرك. ينظر: معجم البلدان (370/3).

5- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (126/6).

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: المعتدون المجاوزون عن الحلال إلى الحرام لما نهاهم عن إتيانهم الفواحش، وغشيانهم الذكور، وأرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم فما كان جواب قومه إلا ﴿قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ بِنَجِّي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾.

أي: لأن لم تنته عما جئنا به، لننفيك ونخرجك من بين أظهرنا، فلما رأى أنهم لا يرتدعون عما هم فيه وأنهم مستمرين على ضلالتهم، تبرأ منهم فقال: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ أي: المبغضين، لا أحبه ولا أرضى به؛ فأنا بريء منكم، ثم دعا الله عليهم فقال: ﴿رَبِّ بِنَجِّي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾. قال الله تعالى: ﴿فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ أي: كلهم.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾، وهي امرأته، وكانت عجوز سوء بقيت مهلكة مع من بقي من قومها، وذلك كما أخبر الله تعالى: عنهم في "سورة الأعراف" (1) و"هود" (2) وكذا في "الحجر" (3) حين أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته، وأنهم لا يلتفتوا إذا سمعوا الصيحة حين نزل على قومه، فصبروا لأمر الله واستمروا، وأنزل الله على أولئك العذاب فعمهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ إلى آخره.

﴿كَذَّبَ أَحْسَبُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾.

1- ينظر: اللوحة رقم 166-ب/ من المخطوط.

2- ينظر: اللوحة رقم 222-أ/ من المخطوط.

3- ينظر: اللوحة رقم 248-أ/ من المخطوط.

هؤلاء أهل مدين على الصحيح، وكان نبي الله شعيب -عليه السلام- من أنفسهم وإنما لم يقل هاهنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة.

وقيل: شجر ملتف كالغيضة، كانوا يعبدونها؛ فهذا لما قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾، لم يقل: "إذ قال لهم أخوهم شعيب"، بل قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ فقطع نسبة الأخوة بينهم؛ لذلك وإن كان أخاهم نسبا. ومن الناس من لام على هذه النكتة فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيبا -عليه السلام- بعث إلى أمتين ومنهم من قال: إلى ثلاث، والصحيح أنهم أمة واحدة، وصفوا في كل مقام بشيء ولهذا وعظ لهؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان، كما في قصة مدين سواء فدل ذلك على أنهم أمة واحدة والله أعلم (1).

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (١٨١) ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمُسْتَقِيمِ﴾ (١٨٢) ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١٨٣) ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٨٤).

أمرهم بإيفاء المكيال والميزان، ونهاهم عن التطفيف فيهما، فقال: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أي: إذا دفعتم إلى الناس فكمّلوا الكيل لهم، ولا تخسروه فتعطوه ناقصا وتأخذوه إذا كان لكم تاما وافيًا، ولكن خذوا كما تعطون، وأعطوا كما تأخذون. ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمُسْتَقِيمِ﴾: والقسطاس هو: الميزان.

وقيل: القبان. وقيل: هو معرب من الرومية (2).

وقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي: تنقصوهم أموالهم، ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ﴾ يعني: قطع الطريق.

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/142).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/143).

وقوله: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: يخوفهم بأس الذي خلقهم وخلق آباءهم الأوائل

كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

﴿وَالْحِجَلَةَ﴾: الخلق الأولين، يقال جبل. أي: خلق<sup>(2)</sup>.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾<sup>(١٨٥)</sup> وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لِمَنِ الْكَذِبِينَ ﴿١٨٦﴾

فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ

فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾.

أخبر تعالى: عن جواب قومه له بمثل ما أجابت به ثمود لرسولهم تشابهت

قلوبهم حيث قالوا: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ أي: من المسحورين، كما سبق<sup>(3)</sup>.

﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لِمَنِ الْكَذِبِينَ﴾ أي: تتعمد الكذب فيما تقوله، لا

أن الله أرسلك إلينا.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: جانباً وقطعاً من السماء. وقيل: عذاباً<sup>(4)</sup>.

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: الله أعلم بكم، فإن كنتم تستحقون ذلك

جازاكم به غير ظالم لكم، وكذلك وقع بهم كما سألوا، جزاءً وفاقاً؛ ولهذا قال تعالى:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وهذا من جنس ما سألوا، من

إسقاط الكسف عليهم، فإن الله، جعل عقوبتهم أن أصابهم حر شديد جداً مدة سبعة

أيام لا يمكنهم منه شيء، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون

بظلها من الحر فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله عليهم منها شرراً من نار، ولهباً

ووهجاً عظيماً ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهدت أرواحهم؛ وقد

1- سورة الصافات، من الآية 126.

2- (الجبلة) الخلفة والطبيعة والأمة والجماعة من الناس. ينظر: المعجم الوسيط (106/1).

3- ينظر: ص (63).

4- ينظر: اللوحة رقم 165- أ/ من المخطوط.

ذكر تعالى: صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن بحسب ما يناسب ذلك السياق، ففي [سورة] (1) الأعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين؛ وذلك لأنهم قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ (2)، فأرجفوا بنبي الله - صلى الله عليه وسلم - ومن اتبعه فأخذتهم الرجفة.

وفي "سورة هود" قال: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ (3)، وذلك أنهم استهزؤوا بنبي الله في قولهم: ﴿أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي ءَمْرِنَا مَا دَشَوْنَاكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (4).

قالوا ذلك على سبيل التهكم والازدراء، فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم فقال: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ (5)، وهاهنا قالوا: ﴿فَأَسْقَطَ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ على وجه التعنت والعناد، فناسب أن يحق عليهم ما استبعدوا وقوعه. ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقال محمد بن كعب القرظي<sup>(6)</sup> رحمه الله: إن أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب أخذتهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها، أصابهم فزع شديد ففرقوا أن يدخلوا إلى البيوت فتسقط عليهم، فأرسل الله عليهم الظلة، فدخل تحتها رجل فقال: ما رأيت كالיום ظلاً أطيب ولا أبرد من هكذا، أيها الناس، فدخلوا جميعاً تحت الظلة، فصاح فيهم صيحة واحدة، فماتوا جميعاً، ثم تلا هذه الآية<sup>(7)</sup>.

1- زيادة يقتضيها السياق.

2- سورة الأعراف، من الآية 88.

3- سورة هود، من الآية 94.

4- سورة هود، من الآية 87.

5- سورة هود، من الآية 94.

6- هو: محمد بن كعب، أبو حمزة، القرظي، مديني. سمع ابن عباس -رضي الله عنه- وزيد بن أرقم. سمع منه الحكم بن عتيبة، وابن عجلان. قال أبو نعيم: مات سنة ثمان ومئة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (377/6).

7- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (145/6).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - نحوه (1).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ لدلالة واضحة.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أي: في انتقامه من الكافرين

الرحيم، أي: بعباده المؤمنين.

﴿وَلَئِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾.

أخبر تعالى: عن الكتاب الذي أنزله على سيد البشر محمد - صلى الله عليه

وسلم - بقوله: ﴿وَلَئِنَّهُ﴾ أي: القرآن الذي سبق ذكره في أول السورة في قوله: ﴿وَمَا

يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ﴾ الآية (2).

﴿لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: أنزله الله عليك و أوحاه إليك. ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾

وهو جبريل - عليه السلام - قاله: ابن عباس - رضي الله عنه - والجمهور (3).

وهذا لا نزاع فيه كقوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ

اللَّهِ﴾ (4).

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: نزل به ملك كريم أمين، ذو مكانة عند الله ﴿عَلَى

قَلْبِكَ﴾ يا محمد - صلى الله عليه وسلم - سالمًا من الدنس والزيادة والنقص، لتتذر به

بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه، وتبشر به المؤمنين المتبعين له.

وقوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه بلسانك

العربي الفصيح الكامل، ليكون بيِّنًا واضحًا ظاهرًا، قاطعًا للعدر، مقيمًا للحجة، دليلا

إلى المحجة.

1- ينظر: تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (474/9).

2- سورة الشعراء، من الآية 5.

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (146/6).

4- سورة البقرة، من الآية 97.

قال سفيان الثوري<sup>(1)</sup> رحمه الله: لم ينزل وحي إلا بالعربية، ثم ترجم كل نبي لقومه، واللسان يوم القيامة بالسريانية، فمن دخل الجنة تكلم بالعربية. رواه ابن أبي حاتم<sup>(2)</sup>.

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوْلِينَ ﴿١١٦﴾ أَوْلَىٰ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُؤُنَا بِنَبِيٍّ إِسْرَائِيلَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١١٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

أي: وإن ذكر هذا القرآن لموجود في كتب الأولين الماثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الزمان وحديثه، كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك، حتى قام آخرهم خطيباً في ملته بالبشارة بأحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾<sup>(3)</sup> والزبر هي الكتب، وهي جمع زبور.

قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾<sup>(4)</sup> أي: مكتوب عليهم في صحف الملائكة.

ثم قال: ﴿أَوْلَىٰ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾ أي: أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك أن علماء بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها، أي: العدول منهم المعترفون بما في أيديهم على نهج الصواب كعبد الله بن سلام<sup>(5)</sup> وأمثاله، كما

1- هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي من ثور بن عبد مائة بن أد بن طابخة، روى عن أبيه وأبي إسحاق الشيباني وأبي السحاق السبيعي وعبد الملك بن عمير وجماعة. روى عنه خلق لا يحصون منهم جعفر بن برقان وخصيف بن عبد الرحمن وابن إسحاق وغيرهم. وقال العجلي وغيره: مولده سنة سبع وتسعين وقال ابن سعد: اجتمعوا على أنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة. ينظر: تهذيب التهذيب (111/4-114).

2- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2819/9).

3- سورة الصف، من الآية 6.

4- سورة القمر، الآية 52.

5- هو: عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري. كان حليفاً لهم من بني قينقاع، وهو من ولد يوسف بن يعقوب - عليه السلام - وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فسماه رسول الله - صلى الله عليه - حين أسلم عبد الله، وكان إسلامه لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة مهاجراً. روى عنه ابنه: يوسف، ومحمد، وأنس بن مالك، و زرارة بن أوفى. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (160/3).

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الآية (1).

ثم قال تعالى: مخبراً عن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن؛ أنه لو أنزله على رجل من الأعاجم، ممن لا يدري من العربية كلمة، فقرأه عليهم بلسانه وفصاحته لا يؤمنوا به أنفةً من اتباعه.

وقيل: أي فقرأه عليهم بغير لغة العرب لم يؤمنوا به، ويقولوا ما نفقه قولك (2).

كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَءِمْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ الآية (3).

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَعِدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا مَا مُنْذَرُونَا ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾.

أي: كذلك أدخلنا التكذيب والكفر والجحود والعناد، ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالحق ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، الموجه حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم. ﴿فَيَأْتِيهِمْ﴾ أي: عذاب الله ﴿بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، بذلك في الدنيا ﴿فَيَقُولُوا﴾ أي: يتمنون حين يشاهدون العذاب عند الموت أن لو أنظروا قليلاً ليعملوا في زعمهم بطاعة الله وهكذا حكم كل ظالم وكافر إذا شاهد عقوبته، ندم وتحسر، وتمنى أن يمهل حتى يعمل ما يجبر ذلك.

1- سورة الأعراف، من الآية 157.

2- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (129/6).

3- سورة فصلت، من الآية 44.

وقوله تعالى: ﴿أَفِعْدَابًا يَسْتَعْجِلُونَ﴾، إنكار عليهم، وتهديد لهم؛ فإنهم كانوا يقولون للرسول تكذيباً واستبعاداً ﴿أَتُنْتَابِعَذَابِ اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الآية<sup>(2)</sup>.

ثم قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ أي: لو أخرناهم و أنظرناهم، برهة من الزمان وإن طال، ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ﴾ أمر الله، أي شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعيم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾<sup>(3)</sup>، يعني أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يغني ذلك عنهم شيئاً، ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط ولهذا قال: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ﴾.

وفي الحديث الصحيح: (يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة، ثم يقال له: هل رأيت خيراً قط؟ هل رأيت نعيماً قط؟ فيقول: لا ويؤتى بأشد الناس بؤساً كان في الدنيا فيصبغ في الجنة صبغة، ثم يقال: هل رأيت بؤساً قط؟ فيقول: لا أي: ما كان شيئاً كان)<sup>(4)</sup>.

ثم أخبر تعالى: عن عدله في خلقه، أنه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليهم، والإنذار لهم وبعثة الرسل إليهم وقيام الحجج عليهم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ أي: رسل يندرونهم ﴿ذَكَرَى﴾ أي: تلك ذكرى أو يندرونهم ذكرى ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>(5)</sup>.

1- سورة العنكبوت، من الآية 29.

2- سورة العنكبوت، من الآية 53.

3- سورة النازعات، الآية 46.

4- صحيح مسلم. كتاب صفة القيامة والجنة والنار. باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة. رقم الحديث (2807) (2162/4).

5- سورة الإسراء، من الآية 15.

﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٣١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ ﴿٣١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُونَ﴾

﴿٣١٢﴾. أخبر تعالى: عن القرآن العزيز، أنه نزل به الروح الأمين المؤيد من الله

﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾، فإنه يمتنع عليهم من وجهان:

أحدها: أنه لا ينبغي لهم، أي: ليس هو من بُغيتهم ولا من طلبتهم؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد، وهذا فيه نور وهدى وبرهان عظيم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبينه وبين الشياطين منافاة مانعة الجميع، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾.

**والثاني:** أنهم ما يستطيعون ذلك، لو ينبغي لهم واستطاعوا حمله وتأديته، لما وصلوا إلى ذلك؛ لأنهم بمعزلٍ عن استماع القرآن حال نزوله؛ لأن السماء ملئت حرساً شديداً وشهبا في مدة إنزال القرآن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه، لئلا يشتبه الأمر، وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأنيده لكتابه ولرسوله؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُونَ﴾ أي: لمحجوبون بالشهب مرجومون.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٣١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٣١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ

لِمَنْ أَتْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٣١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ

جِئِن تَقُومُ ﴿٣١٨﴾ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّلْجِينَ ﴿٣١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٢٠﴾.

لقد أمر تعالى: عباده بعبادته وحده لا شريك له، وأخبر أنه من أشرك به عذبه بقوله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، والخطاب للأمر، ثم أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يندر عشيرته الأقربين، أي: الأذنين إليه، وأنه لا يخلص أحداً منهم إلا إيمانه بربه - تعالى - وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباده المؤمنين، وأن يتبرأ ممن عصاه من الخلائق كائناً من كان؛ ولهذا قال: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا

تَعْمَلُونَ ﴿١﴾، وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة، بل هي فرد من أجزائها، كما قال:

﴿لُبِّشْرِبِهِ الْمَتَّقِينَ وَنُذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (1).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار). رواه مسلم (2).

وفي نزول هذه الآية وردت أحاديث منها ما ورد في الصحيحين.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (لما أنزل الله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - الصفا فصعد عليه، ثم نادى: "يا صباحاه". فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا بني عبد المطلب، يا بني فهر (3) أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل، تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟". قالوا: نعم.

قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب (4): "تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (5). والسياق لأحمد (6).

1- سورة مريم، من الآية 97.

2- صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]

رقم الحديث (208) (193/1).

3- فهر بن مالك: بطن من كنانة، من العدنانية، وهم: بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. وقريش كلهم ينسبون إليه. ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة دمشق، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: السابعة، 1414هـ-1994م (929/3).

4- هو: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش: عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام. وفيه الآية "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، وَتَبَّ". ما أغنى عنه ماله وما كسب". ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي: دار الفكر (161/67).

5- سورة المسد، الآية 1.

6- مسند أحمد. رقم الحديث (2801) (17/5).

وفيها أيضاً عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريشاً، فعمَّ وخصَّ، فقال: "يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النار. يا معشر بني كعب<sup>(1)</sup> أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم<sup>(2)</sup>، أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد المطلب<sup>(3)</sup>، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد، أنقذي نفسك من النار فإني - والله - ما أملك لكم من الله شيئاً، إلا أن لكم رَحماً سأبُلُّها ببلالها<sup>(4)</sup>).

وفي رواية: (يا عباس بن عبد المطلب<sup>(5)</sup> لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد<sup>(6)</sup> - صلى الله عليه وسلم - سليني ما شئت من مالي لا أغني

1- بنو كعب ثلاثة: مرة، وعُدِيل، وهُصَيْصُ فَعْدِي بن كعب رهط عمر بن الخطاب وزيد بن عمرو بن نُفَيْل. وأما هُصَيْصُ فهُم: سهن وجمح ابنا عمرو بن هُصَيْصُ، من بني سهم عمرو بن العاص، ومن بني جمح عثمان بن مضعون، وصفوان ابن أمية، وأبو محذورة مؤذن النبي - صلى الله عليه وسلم - هؤلاء بنو كعب بن لؤي. ينظر: نسب عدنان وقحطان، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس تح: عبد العزيز الميمنى الراجكوتى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - الهند عام النشر: 1354 هـ - 1936 م (3/1).

2- بني هاشم هم: أبناء عبد مناف بن قصي بن كلاب. ينظر: جمل من أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَّاذُري، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي الناشر: دار الفكر - بيروت ط1، 1417هـ - 1996 م. (64/1).

3- هم: بنو أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة (عمرو) بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان. ينظر: معجم قبائل العرب (674/2).

4- صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب في قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214] رقم الحديث (204) (192/1).

5- هو: عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة. عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصنو أبيه يكنى أبا الفضل، وتوفي بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب وقيل: بل من رمضان، سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن ثمان وثمانين سنة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (163/3).

6- هي: فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيدة نساء العالمين ما عدا مريم بنت عمران صلى الله عليهما أمها خديجة بنت خويلد. توفيت فاطمة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بستة أشهر. هذا =

عنك من الله شيئاً<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ أي: في جميع أمورك؛ فإنه مؤيدك وحافظك وناصرك ومُعلي كلمتك.

وقوله: ﴿الَّذِي يَرِنَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: هو معتن بك، كما قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾<sup>(2)</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: حين تقوم إلى الصلاة<sup>(3)</sup>.  
وقال قتادة رحمه الله: أي: يراك قائماً وجالساً وعلى حالاتك<sup>(4)</sup>.

وقوله: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ أي: ويرى تقلبك في الجميع، أي: في حال قيامك وركوعك، وسجودك، وعودك، وقيل: تعني يراك مع المصلين في الجماعة وقال مجاهد رحمه الله: يرى تقلب بصرك في المصلين<sup>(5)</sup>.

فإنه كان يبصر من خلفه، كما يبصر من قدامه ويشهد له ما في الصحيحين: أنه - صلى الله عليه وسلم - [قال]<sup>(6)</sup>: (أتموا الصفوف فإنني أراكم من وراء ظهري)<sup>(7)</sup>.

أصح ما قيل، وقيل: بثلاثة أشهر وقيل: عاشت بعده سبعين يوماً. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (216/7).

1- صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن. باب في قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214]. رقم الحديث (4771)(6/111). صحيح مسلم كتاب الإيمان. باب في قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214] رقم الحديث (206) (1/192).

2- سورة الطور، من الآية 48.

3- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (396).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/154).

5- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (6/134).

6- زيادة يقتضيتها السياق.

7- صحيح البخاري. كتاب الأذان. باب: إقامة الصف من تمام الصلاة رقم الحديث (723) (1/145). صحيح مسلم. كتاب الصلاة. باب: تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولى الفضل، وتقريبهم من الإمام. رقم الحديث (434) (1/324).

عن ابن عباس رضي الله عنه: يعني قلبه من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجه نبياً<sup>(1)</sup>، وقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٣١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٣٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٣٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٣٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٣٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٣٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿٢٣٧﴾ وَسِعَاءُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٣٧﴾﴾.

خاطب - تعالى - مَنْ زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - شيء افتعله من تلقاء نفسه، أو أنه أتاه رائي من الجن، فنزه الله - سبحانه - جناب رسوله - صلى الله عليه وسلم - عن قولهم وافتراءهم، ونبه أن ما جاء به هو من عند الله، وأنه وحيه، نزل به ملك كريم أمين عظيم، وأنه ليس من قبيل الشياطين، لأنهم ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة؛ ولهذا قال الله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أي: أخبركم.

﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ أي: كذوب في قوله، وهو الأفَّاك الأثيم الفاجر في فعله، فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين كالكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة، الفجرة.

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ أي: يسترقون السمع من السماء، فيسمعون الكلمة من علم الغيب، فيزيدون معها مئة كذبة، ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيتحدثون بها فيصدقهم الناس في كل ما قالوه، بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء، كما في الصحيحين: قالت عائشة<sup>(2)</sup> رضي الله عنها: (سأل ناس رسول الله

1- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (396).

2- هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - وأشهر نساءه توفيت عائشة سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (186/7).

- صلى الله عليه وسلم - عن الكهان، فقال: إنهم ليسوا بشيء، فقالوا: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنهم يحدثون لشيء يكون حقاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيقر بها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مئة كذبة"<sup>(1)</sup>.

وعنها قالت سمعت: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها من عند أنفسهم). رواه البخاري<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنه: يعني: الكفار يتبعهم ضلال الإنس والجن، وقال عكرمة رحمه الله: كان شاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فئام من الناس ولهذا قيام، فأنزل الله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه - قال: بينما نحن نسير مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالعرج، إذ عرض شاعر يُنشد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خذوا الشيطان أو امسكوا الشيطان لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً<sup>(4)</sup>). رواه مسلم وأحمد<sup>(4)</sup>.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: أكثر قولهم يكذبون فيه وهذا ظاهر واقع فإنهم يبالغون في أقوال وأفعال لم تصدر عنهم، ولهذا اختلفوا فيما إذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حدًا، هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا؟ لأنهم يقولون

1- صحيح البخاري. كتاب التوحيد. باب: قراءة الفاجر والمنافق، وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم. رقم الحديث (7561) (162/9). صحيح مسلم. كتاب السلام. باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان. رقم الحديث (2228) (1750/4).

2- صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق. باب: ذكر الملائكة. رقم الحديث (3210) (111/4).

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (156/6).

4- صحيح مسلم. كتاب الشعر رقم الحديث (2257) (4/1769). مسند أحمد. رقم الحديث (11057) (112/17).

ما لا يفعلون، والراجح الأول والمراد أن هذا الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي أنزل عليه ليس بكاهن ولا بشاعر؛ لأن حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة كما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (1)(2).

وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية (3).

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ روي لما نزلت ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ

الْعَاوُنَ﴾ جاء حسان بن ثابت - رضي الله عنه - (4)، وابن رَوَاحَةَ - رضي الله عنه - (5)، وكعب بن مالك - رضي الله عنه - (6) إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يبكون فقالوا: (يا رسول الله قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء، فتلا النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال: أنتم ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ﴾ أنتم ﴿وَأَنْتَصِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْتُمْ﴾ (قال: أنتم). رواه ابن جرير، ابن أبي حاتم (7). ومن هنا قيل إن هذه الآية مدنية؛ لأنهم من الأنصار.

1- سورة يس، الآية 69.

2- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (157/6).

3- سورة الشعراء، الآية 192.

4- هو: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، ثم من بني مالك بن النجار، يكنى أبا الوليد، يقال له: شاعر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (482/1).

5- هو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر ابن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، ثم من بني الحارث، وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة، فاستشهد فيها. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (130/3).

6- هو: كعب بن مالك بن أبي كعب، واسم أبي كعب: عمرو بن القين بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي الأنصاري الخزرجي السلمي، يكنى أبا عبد الله. قال ابن سيرين: كان شعراء النبي - صلى الله عليه وسلم - حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (187/4).

7- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (490/9). تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2835/9).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد: إن هذا استثناء مما تقدم وإن هذه السورة مكية، فكيف يكون سبب نزولها الأنصار كأنهم نظروا والحاصل أن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم، حتى شعراء الجاهلية الذين ذموا الإسلام وأهله، ثم تابوا وأنابوا ورجعوا، وعملوا الصالحات، وذكر الله كثيراً في مقابلة ما قالوا من الكلام السيئ، فإن الحسنات يذهبن السيئات، ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في كلامهم، وقيل: في شعرهم كفارة لما سبق<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾.

قال ابن عباس - رضي الله عنه - وغير واحد: أي ردوا على المشركين الذين يهجون به المؤمنين<sup>(2)</sup>.

كما ثبت في الصحيح: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لحسان رضي الله عنه: (اهجهم أو قال: هاجهم وجبريل معك)<sup>(3)</sup>.

وعن كعب بن مالك، عن أبيه - رضي الله عنهما - أنه قال للنبي - صلى الله عليه وسلم: (إن الله، قد أنزل في الشعر ما أنزل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل"). رواه أحمد<sup>(4)</sup>.

ثم أوعد المشركين فقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ أي: مرجع يرجعون بعد الموت، وقال قتادة: تعني من الشعراء وغيرهم<sup>(5)</sup>.

وهو عام في كل ظالم وإن كان السبب خاصاً.

كما قالت عائشة - رضي الله عنها - قالت: كتب أبي - رضي الله عنه -

وصيته سطرين: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (157/6).

2- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (159/6).

3- صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب: هجاء المشركين. رقم الحديث (6153) (36/8).

4- مسند أحمد. رقم الحديث. (15785) (63/25).

5- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (160/6).

قُحَافَةٌ<sup>(1)</sup> - رضي الله عنه - عند خروجه من الدنيا، حين يؤمن الكافر، وينتهي الفاجر، ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب<sup>(2)</sup> - رضي الله عنه - فإن يعدل فذاك ظني، ورجائي فيه، وإن يجُر ويبدل فلا أعلم الغيب، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

- 1- هو: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي القرشي التيمي، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة، وهو صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الغار وفي الهجرة، والخليفة بعده. توفي أبو بكر رضي الله عنه - يوم الجمعة، سنة ثلاث عشرة، وصلى عليه عمر بن الخطاب. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (205/3-229).
- 2- هو: عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي رضي الله عنه - أبو حفص أمير المؤمنين. ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان إليه السفارة في الجاهلية، وكان عند المبعث شديدا على المسلمين، ثم أسلم فكان إسلامه فتحا على المسلمين، وفرجا لهم من الضيق. ينظر: الإصابة في تميز الصحابة (486-484/4).
- 3- ينظر: نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز. لرفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي (ت1290هـ) دار الذخائر - القاهرة ط1 - 1419هـ. (326/1).

## تفسير سورة النمل

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَلْقَى الْقُرْآنَاتِ مِنَ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾.

سبق البحث عن حروف أوائل السور في أول سورة "البقرة" (1).

وقوله: ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه ﴿آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾، بين واضح.

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به وصدقه واتبعه، وعمل بما فيه، وأقام الصلاة المكتوبة، وأتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة، والبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها والجنة والنار ولهذا قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: يكذبون بها، ويستبعدون وقوعها ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: حسنا لهم ما فيه ومددنا لهم في غيهم فهم يتيهون في ضلالهم، وكان هذا جزاء على ما كذبوا به من الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَنَقَلْنَا أَعْدَانَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (2).

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ في الدنيا والآخرة، ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ

الْأَخْسَرُونَ هُدًى﴾ أي: وهم متصفون بالخسارة في الآخرة، بخلودهم في النار.

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَلْقَى الْقُرْآنَاتِ﴾ أي: ﴿وَإِنَّكَ﴾ يا محمد - صلى الله عليه وسلم

- لتأخذ ﴿الْقُرْآنَاتِ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: حكيم في أوامره ونواهيه، عليم بالأمر

1- ينظر: اللوحة رقم 9- أ/ من المخطوط.

2- سورة الأنعام، الآية 110.

جليلها وحقيرها فخيرها هو الصدق المحقق، وحكمه هو العدل التام، كما قال تعالى:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (1).

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سأتيكم منها بخبرٍ أو آتاكم بشهابٍ قبسٍ لعلكم تصطلبون﴾ (٧) ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨) ﴿يَمْوَسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٩) ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ (١٠) ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١) ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِتْمَمَ إِتْمَمًا كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (١٢) ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١٣) ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤).

ذكر الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - من أمر موسى، كيف اصطفاه الله وكلمه، وناجاه وأعطاه من الآيات الباهرة، والأدلة القاهرة، وابتعثه إلى فرعون وملئه، فجدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾ أي: اذكر حين سار موسى بأهله، فأصل الطريق، وذلك في ليل وظلام، فأنس من جانب الطور نارا، أي: رأى نارا تتأجج وتضطرم، فقال: ﴿لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سأتيكم منها بخبرٍ﴾ أي: عن الطريق.

﴿أَوْ آتاكم بشهابٍ قبسٍ﴾ وهو العود الذي في أحد طرفيه نار. قيل: والشهاب هو شيء ذو نور مثل العمود والعرب يسمي كل ذي نور شهاباً<sup>(2)</sup>، والقبس القطعة من النار.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلَبُونَ﴾ أي: لكي تستدفئوا من البرد وكان ذلك في شدة الشتاء وكان كذلك، فإنه رجع منها بخبر عظيم، واقتبس منها نورا عظيماً<sup>(3)</sup>.

1- سورة الأنعام، من الآية 115.

2- ينظر: تاج العروس (1/644).

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/162).

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: فلما أتاها ورأى منظراً هائلاً حيث انتهى إليها، والنار تضطرم في شجرة خضراء، لا تزداد النار إلا توقداً، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء.

قال ابن عباس - رضي الله عنه - وغيره: لم تكن ناراً، إنما كانت نوراً يَتَوَهَّجُ<sup>(1)</sup>، فوقف موسى - عليه السلام - متعجباً مما رأى، فنودي أن بورك من في النار، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: من الملائكة<sup>(2)</sup>. قاله ابن عباس - رضي الله عنه - وغيره.

عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل بالنهار، وعمل النهار بالليل حجاب النور). هكذا في رواية المسعودي<sup>(3)</sup>(4).

(لو كشفها لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه كل شيء أدركه بصره). رواه ابن أبي حاتم وروى مسلم نحوه<sup>(5)</sup>.

وقوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: الذي يفعل ما يشاء ولا يشبه شيئاً من مخلوقاته، وهو المنزه عن النقائص.

وقوله: ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾، الذي عز كل شيء وقهره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله وأقواله.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (162/6).

2- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (397).

3- هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الكوفي المسعودي روى عن أبي إسحاق السبيعي وأبي إسحاق الشيباني، وجماعة. وعنه: السفينان وشعبة وهم من أقرانه وجعفر بن عون وجماعة. مات سنة ستين ومائة. وقال يعقوب بن شيبة توفي سنة "65" وكان ثقة صدوقاً إلا أنه تغير بأخرة. ينظر: تهذيب التهذيب (210/6-212).

4- صحيح مسلم. كتاب الإيمان باب: في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجاب النور لو كشفه لأحرق سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. رقم الحديث (179) (162/1).

5- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2845/9). صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب: في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجاب النور لو كشفه لأحرق سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. رقم الحديث (179)(161/1).

ثم أمره أن يلقي عصاه من يده؛ ليظهر له دليلاً واضحاً على أنه الفاعل المختار القادر على كل شيء، فلما ألقي العصا من يده انقلبت في الحال حيةً عظيمة هائلة في غاية الكبر، وسرعة الحركة مع ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمَّارَةٌ هَاهُنَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ والجان: ضرب من الحيات، أسرع حركة، وأكثره اضطراباً فلما عاين ذلك ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي: ولم يلتفت من شدة فرقه ﴿يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: لا تخاف مما ترى، إني أريد أن أصطفيك رسولا نبياً.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾. هذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر، وذلك أن من كان على عمل شيء ثم ألقى عنه، ورجع وتاب وأناب، فإن الله يتوب عليه كما قال تعالى: ﴿وَلِيَّ لَغْفَارٍ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (1).

وقوله: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ هذه آية أخرى، ودليل باهر على قدره، وصدق من جعل له معجزة، وذلك أن الله أمره أن يدخل يده في جيب درعِهِ، فإذا أدخلها وأخرجها خرجت بيضاء ساطعة، كأنها قطعة قمر، لها لمعان يتلأأ كالبرق الخاطف.

وقوله: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ أي: هاتان اثنتان من تسع آيات أؤيدك بهن، وأجعلهن برهاناً لك ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ إلى فرعون وقومه وهذه هي الآيات التسع التي قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ (2).

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي: بينة واضحة ظاهرة، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ هُدًى﴾ وأرادوا معارضته بسحرهم، ﴿فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاحِرِينَ﴾ (3).

﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ أي: في ظاهر أمرهم، ﴿وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنفُسُهُمْ﴾ أي: علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله، ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها، ﴿ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾ أي:

1- سورة طه، الآية 82.

2- سورة الإسراء، من الآية 101.

3- سورة الأعراف، الآية 119.

ظلما من أنفسهم، و استكباراً عن اتباع الحق؛ ولهذا قال: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: انظر يا محمد - صلى الله عليه وسلم - كيف كان عاقبة أمرهم في إهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة. والمراد: احذروا أيها المكذبون بمحمد - صلى الله عليه وسلم - الجاحدون لما جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم بالأولى، فإن محمداً - صلى الله عليه وسلم - أشرف وأعظم من موسى، وبرهانه أدل وأقوى.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْחَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) وورث سليمان داود وقال يتأيتها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧) حتى إذا أتوا على وإد التمل قالت نملة يتأيتها التمل ادخلوا مسكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴿فنبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ (١٩).

أخبر تعالى: عما أنعم به على عبديه ونبيه داود وابنه سليمان -عليهما السلام- من النعم الجزيلة، والصفات الجميلة، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة، من الملك والتمكين في الدنيا، والنبوة والرسالة في الدين؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ أي: علم القضاء، ومنطق الطير، والدواب، وتسبيح الجبال ﴿وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا﴾ أي: بالنبوة، والكتاب، وتسخير الشياطين، والجن والإنس ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وكتب عمر بن عبد العزيز<sup>(1)</sup> رحمه الله: إلى بعض أصدقائه، إن الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها، إلا كان حمده أفضل من نعمته، لو كنت لا تعرف

1- هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أبو حفص المدني ثم الدمشقي أمير المؤمنين. روى عنه أنس والسائب بن يزيد وعبد الله بن جعفر وجماعه وروى أيضا عن عبد الله بن إبراهيم بن قارظ وجماعة. قال بن سعد قالوا ولد سنة 63 وكان ثقة. قال غير واحد: مات في رجب سنة إحدى ومائة. ينظر: تهذيب التهذيب (7/475-478).

ذلك إلا في كتاب الله المنزل؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾، إلى قوله: ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ فأبي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان، عليه السلام (1).  
 وقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أي: في الملك والنبوة، وليس المراد وراثته المال، إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان -عليه السلام- وحده من بين سائر أولاد داود -عليه السلام- فإنه قد كان لداود -عليه السلام- مئة امرأة، ولكن المراد بذلك وراثته الملك والنبوة؛ فإن الأنبياء لا تورث أموالهم، كما قال رسول الله: -صلى الله عليه وسلم- (نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة). هكذا في الصحيحين (2).

وقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: أخبر سليمان -عليه السلام- بنعم الله عليه، فيما وهبه له من الملك التام، والتمكين العظيم، حتى إنه سخر له الجن والإنس والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضًا، وهذا شيء لم يُعطه أحد من البشر فيما علمناه من الكتاب والسنة ومن زعم من الجهال أن الحيوانات كانت تتطق كمنطق بني آدم قبل سليمان بن داود -عليه السلام- فهو قول بلا علم.

ولو كان كذلك لم يكن لتخصيص سليمان -عليه السلام- بذلك فائدة، إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم، بل لم تنزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال، ولكنه -تعالى- قد أفهم سليمان -عليه السلام- ما تخاطب به الطيور في الهواء، وما تتطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها؛ ولهذا قال: ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: مما يحتاج إليه الملك، ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ أي: الظاهر المبين لله علينا.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (162/6).

2- صحيح البخاري. كتاب الفرائض. باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة» رقم الحديث (6727) (149/8). صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة» رقم الحديث (1758) (1379/3).

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَّأَ عَلَىٰ وَادِئِنَّمَلِ﴾ أي: حتى إذا مر سليمان -عليه السلام- بمن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ لَا يَحِطُّ بِكُمْ﴾.

قال الحسن البصري رحمه الله: إن اسم تلك النملة حرس، وأنها من قبيلة يقال لهم: الشيصان، كانت عرجاء، وكانت بقدر الذئب، أي: خافت على النمل أن يكسرها الخيول بحوافرها- والحطم الكسر<sup>(1)</sup>- فأمرتهم بالدخول إلى مساكنها ففهم ذلك سليمان -عليه السلام- منها ﴿فَنَبَسَمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ أي: ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها علي، من تعليمي منطق الطير والحيوان، ﴿وَعَلَىٰ وِلْدَانٍ﴾ بالإسلام والإيمان، ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ أي: عملا تحبه، ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك، والرفيق الأعلى من أوليائك.

وعن نوف البكالي<sup>(2)</sup> رحمه الله: إن نمل سليمان كان أمثال الذئب، أي: بالياء المثناة من تحت، وإنما هو بالباء الموحدة، وذلك تصحيف، والله أعلم. والغرض أن سليمان -عليه السلام- فهم قولها، وتبسم ضاحكاً من ذلك، وهذه معجزة عظيمة<sup>(3)</sup>.

وعن أبي الصديق الناجي<sup>(4)</sup> رحمه الله قال: (خرج سليمان بن داود -عليه السلام- يستسقي، فإذا هو بنمل مستلقية على ظهرها، رافعة قوائمها إلى السماء

1- مادة [ح ط م] الحطم: الكسر هكذا عممه الجوهري، أي: في أي: وجه كان، أو خاص باليابس كالعظم ونحوه. حطمه يحطمه حطماً، وحطمه، شدد للتكثير، فانحطم وتحطم انكسر وتكسر. ينظر: تاج العروس (503/31).

2- هو: نوف بن فضالة، أبو يزيد، البكالي، الحميري. أحد العلماء. وروى صفوان بن عمرو، عن خالد بن صبيح، عن نوف أبي الرشيد. ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (90/10).

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (166/6).

4- هو: أبو الصديق الناجي بكر بن عمرو، روى عن ابن عمر والخدري، حدث عنه قتادة والوليد بن مسلم أبو بشر. ومحمد بن محمد بن الصديق البلخي، قدم بغداد، وحدث بها. توفي يوم السبت غرة صفر سنة خمس

وهي تقول: اللهم، إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن سقياك، وإلا تسقنا تهلكنا فقال سليمان -عليه السلام-: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم). رواه ابن أبي حاتم (1).

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لِأَعْذِبْتَهُ، عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي سُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

قال ابن عباس- رضي الله عنه -، وغيره: كان الهدهد مهندساً، يدل سليمان -عليه السلام- على الماء، إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الأرض، فإذا دلهم عليه أمر سليمان -عليه السلام- الجان فحفروا له ذلك المكان حتى يستنبطوا الماء من قراره، فنزل سليمان -عليه السلام- يوماً، بفلاة من الأرض، ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ أي: طلبها وبحت عنها والتفقد طلب المفقود ليرى الهدهد فلم يره، ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾، قال الحسن: اسم هدهد سليمان عليه السلام: عنبر.

وقال ابن إسحاق رحمه الله: كان سليمان - عليه السلام - إذا غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه: فتفقد الطير، وكان فيما يزعمون يأتيه نوبٌ من كل صنف من الطير، كل يوم طائر فنظر فرأى من أصناف الطير كلها إلا الهدهد ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ أي: أخطأ بصري من الطير، أم غاب فلم يحضر (2).

وقوله: ﴿لِأَعْذِبْتَهُ، عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

عشرة وثلاثمائة. ينظر: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين، تح: محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت- ط1، 1993م. (311/1).

1- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2858/9).

2- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (167/6).

قال ابن عباس- رضي الله عنه -، وغيره: أي: نتف ريشه، وتشميسه وتركه مُلقَى يأكله الذر والنمل<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ أي: قتلته، ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِي سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي: بعذر بين واضح. قيل: لما قدم الهدهد قالت له الطير: ما خلفك، فقد هدر سليمان عليه السلام- دمك، فقال: هل استنتى؟، فقالوا: نعم، قال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾، فقال: نجوت إذا<sup>(2)</sup>.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَحِجَّتِكَ مِنْ سَبِّ بَنِي يَاقِينَ﴾<sup>(٢٢)</sup> إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ<sup>(٢٣)</sup> وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ<sup>(٢٤)</sup> أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ<sup>(٢٥)</sup> اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ<sup>(٢٦)</sup>.

قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ﴾ الهدهد ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: زماناً يسيراً، ثم جاء فقال: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ﴾ أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك عليه ﴿وَحِجَّتِكَ مِنْ سَبِّ بَنِي يَاقِينَ﴾ أي: بخبر صدق حق. وسباً<sup>(3)</sup>، هم: حمير<sup>(4)</sup>، وهم ملوك اليمن.

1- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (398-399).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (168/6).

3- سباً: بفتح أوله وثانيه، وهمز آخره وقصره: أرض باليمن مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، وسميت هذه الأرض بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ينظر: معجم البلدان (181/3).

4- حمير: بالكسر ثم السكون وياء مفتوحة وراء قال ابن أبي الدمنة الهمذاني حمير بن الغوث بن سعد ابن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير بن سبأ الأصغر بن لهيعة بن حمير بن سبأ بن يشجب وهو حمير الأكبر وحمير الغوث هو حمير الأدنى ومنازلهم باليمن بموضع يقال له حمير غربي صنعاء. ينظر: معجم البلدان (307-306/2).

ثم قال: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾. قال الحسن البصري: وهي بلقيس بنت شراحيل<sup>(1)</sup> ملكة سبأ.

قال قتادة رحمه الله: كانت أمها جنية، وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة واسم أمها فارعة الجنية. وقيل: يلتقة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: لصاحبة سليمان -عليه السلام- يعني بلقيس ألف قَيْل<sup>(2)</sup>، تحت كل قيل مئة ألف مقاتل<sup>(3)</sup>.

وقال قتادة رحمه الله: كانت من بيت مملكة، وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثنى عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل، وكانت بأرض يقال لها مأرب<sup>(4)</sup>، على ثلاثة أميال من صنعاء، وهذا القول هو أقرب<sup>(5)</sup>.

وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملك المتمكن ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: سرير تجلس عليه عظيم أي: مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللآلئ. قيل: طوله ثمانون ذراعاً، وعرضه أربعون ذراعاً<sup>(6)</sup>.

1- بلقيس: إنها يلقمة بنت يشرع بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ينظر: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور (96/1).

2- القَيْل: الملك. ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1998م (235/2).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (168/6).

4- مأرب: بهمزة ساكنة، وكسر الراء، والباء الموحدة، اسم المكان من الأرب وهي الحاجة، ويجوز أن يكون اسم المكان من هذا كله: وهي بلاد الأزد باليمن. ينظر: معجم البلدان (34/5).

5- صنعاء: موضعان أحدهما باليمن، وهي العظمى، وأخرى قرية بالغوطة من دمشق، ونذكر أولاً اليمانية فأما اليمانية فقال أبو القاسم الزجاجي: كان اسم صنعاء في القديم أزال، فلما افتتحتها الحبشة قالوا نعم نعم فسمي الجبل نعم أي انظر، فلما رأوا مدينتها وجدوها مبنية بالحجارة حصينة فقالوا هذه صنعة ومعناه حصينة فسميت صنعاء بذلك، وبين صنعاء وعدن ثمانية وستون ميلاً، وصنعاء قسبة اليمن وأحسن بلادها. ينظر: معجم البلدان (426/3).

6- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (168/6).

وكان في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم، كان فيه ثلاثمائة وستون طاقة من شرقه ومثلها من غربه، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب من مقابلتها، فيسجدون لها صباحاً ومساءً؛ ولهذا قال: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: عن طريق الحق، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَسْجُدُونَ لِلَّهِ﴾ معناه: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ﴾ عن طريق الهدى لئلا يسجدوا لله، فلا يعرفون سبيل الحق التي هي الاخلاص في السجود لله وحده.

وقرأ بعض القراء: ﴿الَّذِينَ يَسْجُدُونَ لِلَّهِ﴾ بالاستفهامية، ويا النداء، وحذف المنادى تقديره عنده: ألا يا قوم، اسجدوا لله<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.  
قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد: أي: يعلم كل خفية في السماء والأرض<sup>(2)</sup>.

قال ابن زيد<sup>(3)</sup> رحمه الله: خبء السموات والأرض ما جعل فيها من الأرزاق، والمطر من السماء، والنبات من الأرض<sup>(4)</sup>.  
وهذا مناسب لكلام الهدهد، الذي يرى في تخوم الأرض ودواخلها.

1- هذه قراءة الكسائي. ينظر: حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة، مؤسسة الرسالة - بيروت، (526/1).

2- ينظر: الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت، (352/6).

3- هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولا هم المدني. روى عن: أبيه وابن المنكدر وصفوان بن سليم وأبي حازم سلمة وآخرون. روى عنه: مالك بن مغول و يونس بن عبيد وهما أكبر منه وزهير بن محمد التيمي ومرحوم بن عبد العزيز العطار. مات سنة اثنتين وثمانين ومائة. ينظر: تهذيب التهذيب (177-178/6).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (169/6).

وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي: يعلم ما يخفيه العباد، وما يعلنونه من الأفعال والأقوال، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ (1) الآية.

وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ أي: هو المدعو الله، وهو الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم، الذي ليس في المخلوقات أعظم منه.

ولما كان الهدد داعياً إلى الخير، وعبادة الله وحده والسجود له، نهى عن قتله، كما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: (أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن قتل أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدد والصرد<sup>(2)</sup>). رواه أحمد وأبو داود<sup>(3)</sup> وابن ماجه<sup>(4)</sup>.

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٧) أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأْتَوْهُ مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

أخبر تعالى: عما قال سليمان - عليه السلام - للهدد حين أخبر عن سبأ وملكتهم بقوله:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ أي: في إخبارك هذا، ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في مقاتلك لتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك.

1- سورة الرعد الآية 10.

2- الصرد، بضم الصاد وفتح الراء: طائر ضخم الرأس، يصطاد العصافير، أو هو أول طائر صام الله تعالى. ينظر: القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، 1426هـ-2005م. (293/1).

3- هو: سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، قال: حدثت عن سعيد بن سليمان عن سليمان بن كثير عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس ورواه في موضع آخر عن محمد بن أبي غالب عن أبي سعيد بن سليمان وقال في موضع آخر حدثت عن إبراهيم بن سعد اسم الذي حدثه عنه أحمد بن محمد بن أيوب. ينظر: تهذيب التهذيب (370/12).

4- مسند أحمد. رقم الحديث (3066) (192/5). سنن أبي داود. باب: في قتل الذر. رقم الحديث (5267) (367/4). سنن ابن ماجه. باب: ما ينهى، عن قتله. رقم الحديث (3224) (1074/2).

﴿أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَكَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ﴾، وذلك أن سليمان -عليه السلام- كتب كتاباً إلى بلقيس وقومها، وأعطاه لذلك الهدهد فحملة.

قيل: في جناحه كما هي عادة الطير. وقيل: بمنقاره.

وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس، إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها فألقاه إليها من كوة بين يديها، ثم تولى ناحية أدباً، فتحيرت مما رأت، وهالها ذلك، ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته، ففتحت ختمه وقرأته، فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها، ثم قالت لهم: ﴿يَتَأَيَّهَا الْمَلُؤُاِ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ تعني بكرمه: ما رآته من عجيب أمره، كون طائر جاء به فألقاه إليها، ثم تولى عنها أدباً وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك، ثم قرأته عليهم. ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

فعرفوا أنه من نبي الله سليمان -عليه السلام- وأنه لا طاقة لهم به.

وهذا الكتاب في غاية البلاغة، والوجازة والفصاحة، فإنه حصّل المعنى

بأيسر عبارة وأحسنها، قالوا: ولم يكتب أحد ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قبل سليمان -عليه السلام- (1).

عن ابن بريدة - رضي الله عنه - (2) قال: كنت أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "إني أعلم آية لم تنزل على نبي قبلي بعد سليمان بن داود قال: قلت: يا رسول الله، أي آية قال: سأعلمكها قبل أن أخرج من المسجد، قال: فانتهى إلى الباب، فأخرج إحدى قدميه فقلت: نسي، ثم التفت إلي وقال: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. حديث غريب رواه ابن أبي حاتم (3).

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (170/6).

2- هو: عبدالله بن بريدة بن الحصيبي الاسلمي، أبو سهل المروزي، قاضي مرو، أخو سليمان بن بريدة، روى عن: أنس بن مالك، وأبيه بريدة بن الحصيبي، وبشير بن كعب العدوي وغيرهم. روى عنه: الاجلح بن عبدالله الكندي، وغيرهم. ولد عبدالله بن بريدة في السنة الثالثة من خلافة عمر بن الخطاب، سنة خمس عشرة و مات سنة 115هـ. ينظر: تهذيب الكمال (328-332).

3- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2873/9).

قال ابن مهران رضي الله عنه<sup>(1)</sup>: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكتب: باسمك اللهم، حتى نزلت هذه الآية، فكتب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾<sup>(2)</sup>. وقوله: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ﴾ أي: لا تجيروا علي ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾. موحدتين، مخلصين طائعين.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾<sup>(٣٢)</sup> قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةً وَأَوْلُوْا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِنًا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ لما قرأت عليهم كتاب سليمان - عليه السلام - استشارتهم في أمرها، و قالت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ أي: أشيروا عليّ فيما عرض لي، وأجيبوني فيما أشاوركم ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ فاصلة وقاضية ﴿أَمْرًا﴾ حتى تحضرون.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةً﴾ أي: استظهِروها بعدد هم وقوتهم في المحاربة، ثم فوضوا إليها بعد ذلك الاختيار فقالوا: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ أي: نحن ذو قوة وما بنا بأس إن شئت أن تقصديه وتحاربيه، فإننا موافقون لكي وبعدها فالأمر إليك، فإننا نمتلك ونطيعك فيما تأمرينا به.

قال الحسن البصري: فوضوا أمرهم إلى عُلجة تضطرب ثدياها، فلما قالوا لها ما قالوا كانت هي أحزم رأيًا منهم، وأعلم بأمر سليمان، وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه وما سُخر له من الجن والإنس والطير، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرًا عجيبًا بديعًا، فقالت لهم: إني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه، فيقصدنا

1- هو: ميمون بن مهران الجزري أبو أيوب الرقي الفقيه نشأ بالكوفة ثم نزل الرقة روى عن: عمر والزيبر مرسلًا وعن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وغيرهم. وعنه ابنه عمرو وحמיד الطويل وأيوب وجعفر بن برفان وآخرون. ذكره أبو عروبة في الطبقة الأولى من التابعين. وقال الميموني عن أبيه وغير واحد: مات سنة سبع عشرة. ينظر: تهذيب التهذيب (10/390-392).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/170).

بجنوده ويخلص إلينا فيهلكنا؛ ولهذا قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾، أي: بلداً أفسدوه وخرّبوه<sup>(1)</sup>.

﴿وَجَعَلُوا أَعْرَازَهُمْ أَهْلِيًا أَذِلَّةً﴾ أي: قصدوا من فيها من الولاة والجنود، فأهانوهم غاية الهوان، إما بالقتل أو بالأسر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما قالت هي هذا، قال الرب: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

ثم عدلت إلى المهادنة والمصالحة والمصانعة، فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: سأبعث إليهم بهدية تليق به وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك، ولعله يقبل ذلك ويكف عنا، أو يضرب علينا خراجاً نحمله إليه في كل عام، ويتركنا سالمين.

قال قتادة رحمه الله: ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس.

قال ابن عباس - رضي الله عنه -، وغيره: قالت لقومها: إن قبلت الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه<sup>(3)</sup>.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَتِمُّدُونَنِي بِمَالِ فَمَاءِ اتْنَيْنِ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾<sup>(٣٥)</sup>  
﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾<sup>(٣٦)</sup>.

ذكروا: أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلئ وغير ذلك من آنية الذهب، وقيل: بلينة من ذهب.

قال مجاهد - رحمه الله - وغيره: وأرسلت جوارى في زي الغلمان، وغلماناً في زي الجوارى، وقالت: إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي، فأمرهم سليمان - عليه السلام - فتوضؤوا، فجعلت الجارية تفرغ على يدها من الماء، وجعل الغلام

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (171/6).

2- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (399).

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (171/6).

يغترف، فميزهم بذلك، وقيل: بل جعلت الجواري يغتسلن من أكفهن إلى مرافقهن والغلمان من مرافقهم إلى أكفهم، وقيل: أنها أرسلت بأشياء أخرى عجيبة، وأكثر ذلك من الإسرائيليات، والله أعلم بصحته والظاهر أن سليمان - عليه السلام - لم ينظر إلى ما جاءوا بالكلية، بل أعرض عنه.

وقال منكرًا عليهم: ﴿أَتَمِدُّونَن بِمَالٍ﴾ أي: تصنعونني بمال لأترككم على شرككم وملككم، ﴿فَمَاءَاتِنِ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآءَاتِنَكُمُ﴾ أي: الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه، ﴿بَلْ أَنتُمْ بَهْدِيكُمْ نَفِرُونَ﴾ أي: أنتم الذي تتهادون الهدايا والتحف، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر سليمان - عليه السلام - الشياطين فبنوا ألف قصر من ذهب وفضة، فلما رأت رسلها ذلك قالوا: ما يصنع هذا بهديتنا<sup>(1)</sup>.

﴿أَرْجِعِ إِلَيْهِمْ﴾ أي: بهديتهم، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي: لا طاقة لهم بقتالهم ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ﴾ أي: من بلدهم، ﴿أَذَلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أي: مهانون مدحورون، فلما رجعت إليها رسلها بهديتها، وبما قال سليمان، سمعت وأطاعت هي وقومها، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة، معظمة لسليمان، نافية متابعته في الإسلام ولما تحقق سليمان - عليه السلام - قدومهم عليه، فرح بذلك.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْاْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَعْرَشَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَنِي مَسْلِمِينَ﴾ (٣٨) قَالَ عَفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ ؕ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ ؕ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ؕ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (171/6).

قال يزيد بن رومان<sup>(1)</sup> رحمه الله: فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان - عليه السلام - قالت: قد والله عرفت، ما هذا بملك، وما لنا به من طاقة، وما نصنع من مكائرته شيئاً، وبعثت إليه: إني قادمة عليك بملوك قومي، لأنظر ما أمرك وما تدعوننا إليه من دينك، ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه وكان من ذهب مُفصَّص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ فجعل في سبعة أبيات، بعضها في بعض، ثم قفلت عليه الأبواب، ثم قالت: لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك، وسرير ملكي، فلا يخلص إليه يد أحد من عباد الله، ولا يرينه أحد حتى آتيتك، ثم شخّصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قبيل من ملوك اليمن تحت يدي كل قبيل منهم ألوف كثيرة، حتى إذا دنت من معسكر سليمان، على قدر فرسخ<sup>(2)</sup> جمع من عنده من الجن والإنس، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ قال قتادة وغير واحد: لما بلغ سليمان أنها جائية، وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه وكان من ذهب<sup>(3)</sup>. وجوهر ولؤلؤ، مستتراً بالديباج والحريير، وكانت عليه تسعة مغاليق، فكره أن يأخذه بعد إسلامهم، وقد علم نبي الله أنهم متى أسلموا تحرم أموالهم مع دمائهم فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾ الآية.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾. قال مجاهد رحمه الله: أي مارد، وقيل: اسمه كوزن وكان كأنه جبل<sup>(4)</sup>.

﴿أَنَاءَ نِيَّكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي من مجلسك، و مقعدك، و كان يجلس للناس للقضاء والحكومات والاطعام من أول النهار إلى أن تزول الشمس.

1- هو: يزيد بن رومان الأسدي أبو روح المدني مولى آل الزبير. روى عن ابن الزبير وأنس وعبيد الله وسالم ابني عبد الله بن عمر وجماعة. قال النسائي: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات قال بن سعد عن الواقدي وغيره: وكان عالماً كثير الحديث ثقة مات سنة ثلاثين ومائة. ينظر: تهذيب التهذيب (325/11).

2- الفرسخ: ذكره الجوهري، ولم يذكر له معنى، وهو السكون، والساعة، والراحة، ومنه: فرسخ الطريق: ثلاثة أميال هاشمية، أو اثنا عشر ألف ذراع، أو عشرة آلاف. ينظر: القاموس المحيط (257/1).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (172/6).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (173/6).

﴿وَأَيُّ عَلَيْهِ لَقَوَىٰ أَمِينٌ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنه: قوي على حملة، أمين على ما فيه من الجوهر (1).

قال سليمان عليه السلام: أريد أعجل من ذلك إظهار عظمة ما وهبه الله له من الملك وسخر له من الجنود، الذي لم يعطه أحد قبله، ليكون حجة على بلقيس وقومها وجنوده في نبوته، ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ وهو آصف كاتب سليمان وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم.

وقال قتادة - رحمه الله - وغير واحد: كان مؤمناً من الإنس، وقيل: اسمه أسطوم، وقيل غير ذلك (2).

وقوله: ﴿أَنَا أَنَا أَنَا بِهٖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي: ارفع بصرك وانظر مدّ بصرك مما تقدر عليه، فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك.

وقال وهب بن منبه (3) رحمه الله: امدد بصرك، فلا يبلغ مداه حتى آتاك به. فذكروا أنه أمره أن ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش المطلوب، ثم قام فتوضأ ودعا الله عز وجل.

قال مجاهد رحمه الله: قال: يا ذا الجلال والإكرام (4).

وقال الزهري (5) رحمه الله: قال: يا إلهنا وإله كل شيء، إلهاً واحداً، لا إله

1- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (400).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (173/6).

3- هو: وهب بن منبه بن كامل بن سيح بن ذي كنان اليماني الصنعاني الذماري أبو عبد الله الأبنأوي. روى عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وغيرهم. وروى هو أيضاً عنه وسماك بن الفضل وإسرائيل أبو موسى وآخرون. وقال العجلي: تابعي ثقة. ينظر: تهذيب التهذيب (11/166-167).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (174/6).

5- هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري الفقيه أبو بكر الحافظ المدني أحد الأئمة الاعلام وعالم الحجاز والشام. روى عن: عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن جعفر وغيرهم. روى عنه: عطاء بن أبي رباح وأبو الزبير المكي وعمر بن عبد العزيز وآخرون. مات في رمضان سنة 125هـ. ينظر: تهذيب التهذيب (9/445-450). تذكرة الحفاظ (1/102).

إلا أنت، انتني بعرشها، فتمثل له بين يديه<sup>(1)</sup>.

وقال ابن زيد<sup>(2)</sup> رحمه الله: لم يشعر سليمان - عليه السلام - إلا وعرشها يحمل بين يديه، وقال: وكان هذا الذي جاء به من عبّاد البحر، فلما عاين سليمان وملّؤه ذلك، ورآه مستقرّاً عنده ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ أي: هذا من نعم الله علي ﴿لِيَبْلُوَنِي﴾ أي: ليختبرني، ﴿أَشْكُرُكُمْ أَكْفُرُكُمْ مِنْ شُكْرٍ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾، هو كقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾<sup>(3)(4)</sup>.

وقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ أي: هو غني عن العباد وعبادتهم ﴿كَرِيمٌ﴾ في نفسه، وإن لم يعبده أحد، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد. كما في صحيح مسلم: (يقول الله تعالى: يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه)<sup>(5)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (174/6).

2- هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني. أخذ معاني القرآن وروى عن والده وابن المنكر. توفي سنة 102هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي (11/1).

3- سورة فصلت، من الآية 46.

4- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (174/6).

5- صحيح مسلم بلفظ « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنّ إلا نفسه». كتاب البر والصلة و الآداب. باب: تحريم الظلم. رقم الحديث (2577) (1994/4).

﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٤١) ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾<sup>ط</sup>  
 قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾<sup>ط</sup>  
 ﴿٤٣﴾ ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾<sup>ط</sup> قَالَتْ  
 رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٤﴾

لما جاء سليمان - عليه السلام - بعرش بلقيس قبل قدومها، أمر به أن يغير بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته، هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس به، فقال: ﴿نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: نزع عنه فصوصه ومرافقه، وقيل: أمر به فغير ألوانه وزادوا فيه ونقصوا وجعل أسفله أعلاه، ومقدمه مؤخره<sup>(1)</sup>.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾ أي: عرض عليها عرشها، وقد غير ذلك وزيد فيه ونقص، وكان فيها ثبات وعقل، ولها لب ودهاء وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعده مسافته عنها، ولا أنه غيره، لما رأت من آثاره وصفاته، وإن غير وبدل فقالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ (أي: يشبهه ويقاربه، وهذا غاية في الذكاء والحزم).

وقوله: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ قاله سليمان.

وقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ﴾ إلى آخره: من تمام كلامه أيضاً، أي: منعها من عبادة الله وحده، ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.  
 قاله مجاهد وسعيد بن جبير وابن جرير رحمهم الله.

وقال أيضاً ويحتمل أن يكون في قوله: ﴿وَصَدَّهَا﴾ ضمير يعود إلى سليمان - عليه السلام - أو إلى الله - تعالى - تقديره، ومنعها ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: صدّها عن عبادة الله.

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (174/6-175).

﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾، ويؤيد قول مجاهد: أنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح.

وقوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾، وذلك أن سليمان -عليه السلام- أمر الشياطين فبنوا لها قصرًا عظيمًا من قوارير، أي: من زجاج، وأجرى تحته الماء، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه، واختلفوا في سببه.

فقيل: أن سليمان -عليه السلام- لما عزم على تزويجها واصطفائها لنفسه ذكر له جمالها وحسنها، ولكن هي شعراء الساقين، وإن مؤخر أقدامها كمؤخر الدابة فسأه ذلك، فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا؟<sup>(1)</sup>.

وقيل: فلما دخلت وكشفت عن ساقها، رأى أحسن الناس ساقاً ولكن على رجلها شعراً؛ لأنها ملكة ليس لها زوج، فأحب أن يذهب ذلك عنها، فصنعوا له النورة. وكانت أول من اتخذ له النورة<sup>(2)</sup>. قاله ابن عباس -رضي الله عنه - وموافقوه.

قال ابن إسحاق رحمه الله: ثم قال لها: ادخلي الصرح، ليربها ملكاً هو أعز من ملكها، وسلطانا هو أعظم من سلطانها<sup>(3)</sup>.

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾، لا تشك إلا أنه ماء يتخوضه فقيل لها: ﴿إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ أي: مُملس مستو ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾، فلما وقفت على سليمان، دعاها إلى الله وعاتبها في عبادة الشيطان، وكانت قد رأت حال العرش والصرح فانقادت

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (175/6).

2- النورة بضم النون حجر الكلس ثم غلبت على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنوخ وغيره وتستعمل لإزالة الشعر و (نتور) اطلی (بالنورة) و (نورته) طليته بها، قيل: عربية، و قيل: معربة. قال الشاعر: فابعث عليهم سنة قاشوره... تحتلق المال كحلق النوره. ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت. (630/2).

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (175/6).

وَأَسْلَمْتُ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بالكفر ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ أي: تابعت دينه واخلصت التوحيد ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فحسن اسلامها.

وأصل الصرح في كلام العرب هو القمر، وكل بناء مرتفع، والممرد أي: المبني بناءً محكماً أملس، والقوارير الزجاج.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٥) قَالَ يَتَقَوْمٍ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَیْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾.

أخبر تعالى: عن ثمود وما كان من أمرهم مع صالح -عليه السلام- حين بعثه الله إليهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده، ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾.

قال مجاهد رحمه الله: أي مؤمن وكافر كما قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَتَى صَالِحًا مَرَّ سَلْمَانَ مِنْ رَبِّهِ﴾ (1).

﴿قَالَ يَتَقَوْمٍ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: لم تدعون بحضور العذاب، ولا تطلبون من الله رحمته؛ ولهذا قال: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: هلا يستغفرون بالتوبة من كفرهم لكي ترحموا.

﴿قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ﴾ أي: تشأمننا بك ﴿وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ أي: ما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيراً، وذلك أنهم لشقائهم كان لا يصيب أحداً منهم سوءٌ إلا قال: هذا من قبل صالح وأصحابه.

﴿قَالَ طَیْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: الله يجازيكم على ذلك.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي: تبتلون بالطاعة والمعصية، والظاهر أن المراد تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال.

1- سورة الأعراف، من الآية 75.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (٤٨) ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٤٩) ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٠) ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥١) ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥٢) ﴿وَأَبْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٥٣).

أخبر تعالى: عن طغاة ثمود، الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلالة والكفر وتكذيب صالح -عليه السلام- وآل حالهم إلى أن عقروا الناقة، وهموا بقتل صالح أيضاً، بأن يببئوه في أهله ليلاً فيقتلوه غيلة<sup>(1)</sup>، ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه: إنهم ما علموا بشيء من أمره وإنهم لصادقون فيما أخبروهم به، من أنهم لم يشاهدوا ذلك فقال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: مدينة ثمود، ﴿تِسْعَةُ﴾ نفر، ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ و كانوا كبراءهم، ورؤساءهم.

قال ابن عباس رضي الله عنه: هؤلاء هم الذين عقروا الناقة، وأمروا به كان أسماء هؤلاء التسعة: زعمى، وزعيم، وهرم، وهريم، وداب، وصواب، ومسطع وقنار بن سالف عاقر الناقة الذي باشر بيده، قال الله تعالى: ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ (2) وكان من فسادهم أنهم كانوا يقرضون الدراهم، ويسرقون منها تنقصاً ويذهبون بها ولهذا قال ابن المسيب: أن قطع الذهب والفضة من فساد الأرض<sup>(3)</sup>. كما جاء في سنن أبي داود وغيره: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن كسر سكة المسلمين الجارية بينهم إلا من بأس)<sup>(4)</sup>.

قوله: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: تحالفوا وتبايعوا في اهلاكهم فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين.

1- الغيلة: الاغتياي يُقال قتلُه غيلةً على غفلةٍ منه. ينظر: المعجم الوسيط (667/2).

2- سورة القمر، الآية 29.

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (179/6).

4- سنن أبي داود. باب في كسر الدراهم. رقم الحديث (3449) (271/3).

قال محمد بن إسحاق رحمه الله: قال هؤلاء التسعة بعدما عقروا الناقة: هلم فنقتل صالحاً، فإن كان صادقاً عجلناه قبلنا، وإن كان كاذباً قد ألقناه بناقته، فأتوه ليلاً لبيبتوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة، فقالوا لصالح: أنت قتلتهم، ثم هموا به، فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح، وقالوا لهم: والله لا تقتلونه أبداً، وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث، فإن كان صادقاً فلا تزيدوا ربكم عليكم غضباً، وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون، فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ أي: قالوا حين عقروها نبيت صالحاً وأهله فنقتلهم ثم نقول لأولياء دم صالح: ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ من هذا شيئاً، وما حضرنا ﴿مَهْلِكِ أَهْلِهِ﴾ أي: اهلاكهم ولا ندري من قبله، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

وقولنا هنا: ﴿وَمَكْرُومًا كَرًّا﴾ أي: غدروا غدراً حين قصدوا قتل صالح - عليه السلام - بالبيات<sup>(2)</sup>.

﴿وَمَكْرَنَا مَكْرًا﴾ أي: جارينهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ﴾ أي: أهلكناهم يعني التسعة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إليهم، فرمتهم بالحجارة فقتلتهم<sup>(3)</sup>.

وقال مقاتل<sup>(4)</sup> رحمه الله: نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح فوقع عليهم الجبل فأهلكهم<sup>(5)</sup>، ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (180/6).

2- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (509/3).

3- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس (401).

4- هو: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي صاحب التفسير. من كتبه التفسير الكبير و نوادر التفسير والرد على القدرية و متشابهة القرآن و الناسخ و المنسوخ و القرآت و الوجوه والنظائر. ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (20/1). تهذيب التهذيب (10/279-285).

5- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (170/6).

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾ بالنصب (1) أي: خالية ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: بظلمهم وكفرهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أي: لعلامة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: قدرتنا. ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي: يحذرون، وكانوا أربعة ألف (2).

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (٥٤) ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ بل أنتم قوم تجهلون ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ (٥٦) ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنْ الْغَدِيرِ﴾ (٥٧) ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٥٨).

أخبر تعالى: عن نبيه لوط -عليه السلام- أنه أنذر قومه نقمة الله بهم، في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكور دون الإناث وهي فاحشة عظيمة استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء فقال: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: بعضكم بعضاً، وتأتون في ناديك المنكر ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ بل أنتم قوم تجهلون ﴿أي: لا تعرفون شيئاً لا طبعاً ولا شرعاً.

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ أي: يتخرجون من فعل ما تفعلونه، ومن إتيان الأدبار، فأخرجوهم من بين أظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم، فعزموا على ذلك، فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها.

قال الله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنْ الْغَدِيرِ﴾ أي: من الهالكين مع قومها؛ لأنها كانت رداءً لهم على دينهم، وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة وكانت تدل قومها على ضيفان لوط، ليأتوا إليهم.

1- النصب على الحال. ينظر: إعراب القرآن للنحاس (148/3).

2- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (171/6).

وقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ أي: حجارة من سجل منضود، وما هي من الظالمين ببعيد؛ ولهذا قال: ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي: الذين قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الإنذار، فخالفوا الرسول وكذبوه، وهموا بإخراجه من بينهم.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ (٥٩) ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلَّغٌ لِّهَمِّ قَوْمٍ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠).

أمر تعالى: رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: على نعمه على عباده، من النعم التي لا تحصى، وأن يُسَلِّمَ على عباده الذين اصطفاهم واختارهم، وهم رسله وأنبيأؤه الكرام، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام. وقال الثوري<sup>(1)</sup> وغيره: هم أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم<sup>(2)</sup>. ولا منافاة، وإنهم أيضاً خير الآية.

والغرض أن الله تعالى أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - ومن اتبعه بعد ذكره لهم ما فعل بأوليائه من النصر والتأييد، وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر، أن يحمده على جميل أفعاله، وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار.

وقوله: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾، استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى.

ثم شرع يبين - تعالى - أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره، فقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: خلق تلك بارئها وصفاتها، وما جعل فيها من

1- هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي من ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة وقيل من ثور همدان والصحيح الأول. روى عن: أبيه وأبي إسحاق الشيباني وأبي السحاق السبيعي وعبد الملك بن عمير وغيرهم. روى عنه: خلق لا يحصون منهم جعفر بن برقان وخصيف بن عبد الرحمن وابن إسحاق وغيرهم من شيوخه وأبان بن تغلب وزائدة والأوزاعي ومالك وزهير بن معاوية ومسعر وغيرهم. ينظر: تهذيب التهذيب (4/ 111 - 115).

2- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/181).

العجائب، والأرض في استفالها وكثافتها، وما جعل فيها من أنواع المخلوقات.  
 وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: جعله رزقا للعباد، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ  
 حَدَائِقَ﴾ أي: بساتين ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ أي: منظر حسن وشكل بهي، ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ  
 أَنْ تُبْتُوا شَجَرَهَا﴾ أي: لم تكونوا تقدرون على إنبات شجرها، وإنما يقدر على ذلك  
 الخالق الرازق، دون ما سواه، كما اعترف به هؤلاء المشركون في قوله تعالى:  
 ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (1) ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ الآية (2).  
 أي: هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك، ثم هم يعبدون معه غيره مما  
 يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يُتفرد بالعبادة من هو المتفرد  
 بالخلق والرزق ولهذا قال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ﴾، استفهام إنكار أي: هل معه معبود سواه  
 أعانه على صنعه، بل ليس معه آله فإنه هو المستقل المتفرد بالخلق والتدبير.  
 وقوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، ﴿أَمَّنْ﴾ في هذه الآيات كلها تقديره: أمن  
 يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها لدلالة السياق عليه وقد قال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ  
 خَبِيرًا مَا يَشْرِكُونَ﴾.

ثم قال في آخر الآية: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ أي: يجعلون لله عدلا نظيراً وهكذا  
 قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ أَنْاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا﴾ (3).  
 أي: أمن هو هكذا كمن ليس كذلك.  
 ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ  
 حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ﴾ (4) ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (5).  
 أي: قارة ساكنة ثابتة، لا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك  
 لما طاب عليها العيش بل جعلها من فضله بساطاً ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك.

1- سورة الزخرف، من الآية 87.

2- سورة العنكبوت، من الآية 63.

3- سورة الزمر، من الآية 9.

﴿وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَرًا﴾ أي: جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة لمصالح العباد والبلاد بحسب ما يحتاجون إليه، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَواسِيَ﴾ أي: جبلاً شامخة تثبت الأرض لئلا تميد بكم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي: جعل بين المياها العذبة والمالحة حاجزاً أي: مانعاً يمنعها من الاختلاط، لئلا يفسد هذا بذلك فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار الجارية بين الناس.

والمقصود منها، أن تكون عذبة زلالا تسقى الحيوان والنبات والثمار. والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب، والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحاً أجاباً، لئلا يفسد الهواء بريحتها، ولهذا قال: ﴿أَلَمْ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: فيعبد معه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: في عبادتهم غيره.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ أَلَمْ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ﴾

قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾.

نبه تعالى: أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَآئَهُ﴾ (1)، وقال هاهنا: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي: أمَّن هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه.

عن جابر بن سليم - رضي الله عنه - (2) قال: (أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو مُحْتَبَبٌ بِشِمْلَةٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَى مَا تَدْعُو قَالَ: " أَدْعُو إِلَى

1- سورة الإسراء، من الآية 67.

2- هو: جابر بن سليم ويقال: سليم بن جابر، والأول أصح، أبو جري التميمي الهجيمي، من بلهجم بن عمرو بن تميم. قال البخاري: أصح شيء عندنا في اسم أبي جري: جابر بن سليم. وقال أبو أحمد العسكري: سليم بن جابر أصح، والله أعلم، سكن البصرة. روى عنه ابن سيرين، وأبو تميم الهجيمي. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت463هـ)، تح: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت ط1، 1412هـ-1992م. (225/1).

الله وحده، الذي إن مَسَّكَ ضر فدعوته كشف عنك والذي إن أضَلَّتْ راحلتك بأرض قَفَر فدعوته رَدَّ عليك والذي إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك"، قال: قلت: أوصني، قال: لا تَسْبَنَّ أَحَدًا، ولا تَزْهَدَنَّ في المعروف ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، ولو أن تُفْرَغَ من دلوك في إناء المستقي واتزر إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار، فإن إسبال الإزار من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة). رواه أحمد. ولأبي داود والنسائي نحوه<sup>(1)</sup>.

وعن عبيد الله بن أبي صالح<sup>(2)</sup> - رحمه الله - قال: دخل علي طائوس<sup>(3)</sup> - رحمه الله - يعودني، فقلت له: ادع الله لي قال: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه<sup>(4)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي: يُخْلَفُ قَرْنَا لِقَرْنٍ قَبْلَهُمْ وَخَلَفًا لِسَلْفٍ، كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ الآية<sup>(5)</sup>.

أي: أمة بعد أمة، وقومًا بعد قوم ولو شاء لأوجدتهم كلهم في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض، بل لو شاء لخلقهم كلهم، كما خلق آدم من تراب ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة، ثم يكثرهم و يذراهم في

1- مسند أحمد رقم الحديث (20636) (34/237). سنن النسائي الكبرى. رقم الحديث (9691). (5/486).

سنن أبي داود. باب: ما جاء في إسبال الإزار. رقم الحديث (4084) (4/56).

2- هو: عبيد الله بن أبي صالح حدث عن طائوس بن كيسان روى عنه عمر بن أبي خليفة العبدي البصري.

تالي تلخيص المتشابه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى:

463هـ)، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، أحمد الشقيرات الناشر: دار الصمعي - الرياض الطبعة:

الأولى، 1417 (1/220).

3- هو: طائوس بن كيسان أبو عبد الرحمن من أبناء الفرس الهمداني اليماني الخولاني. قال عمرو بن علي عن

أبي عاصم سمع حنظلة: مات طائوس قبل مجاهد بسنتين، وقال إبراهيم بن نافع: مات سنة ست ومائة.

التاريخ الكبير للبخاري (4/365).

4- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ط1، 1410، تح:

محمد السعيد بسيوني زغلول. رقم الحديث (10030) (7/210).

5- سورة الأنعام، من الآية 133.

الأرض ويجعلهم قرونا بعد قرون، وأما بعد أمم، حتى ينقضي الأجل كما قدر ذلك، ثم يقمهم يوم القيامة، ويوفي كلّ عامل عمله.

ولهذا قال تعالى: ﴿أَأَلِهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ أي: يقدر على ذلك، أو إله مع الله يُعبد وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: ما أقلّ تذكرهم فيما يرشدهم إلى الحق.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أَلِهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾.

أي: يهديكم بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية، كما قال: ﴿وَعَلَّمَتِ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (1).

وقوله: ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ﴾ أي: ومن يبدي السحاب الذي فيه مطر يغيث به عباده القانتين، ﴿أَأَلِهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَمَّنْ يَدَّأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أَلِهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾.

أي: هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيُعِيدُ﴾ (2).

﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بما ينزل من مطر السماء، وينبت من بركات الأرض، فهو تبارك وتعالى، ينزل من السماء ماء فيسكنه في الأرض ثم يخرج منها أنواع الزروع والثمار والأزهار، وغير ذلك من ألوان شتى؛ ولهذا قال: ﴿أَأَلِهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ أي: يفعل مثل هذا، أو يعبد.

1- سورة النحل، الآية 16.

2- سورة البروج، الآية 13.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: على صحة ما تدعون من عبادة آلهة أخرى  
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ذلك، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٦٥) ﴿بَلِ أَدْرَاكَ  
 عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (٦٦).

أمر - تعالى - رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول معلماً لجميع الخلق:  
 أنه ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ أحد من أهل ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وهو استثناء منقطع (1) أي:  
 لكن الله يعلم المنفرد بذلك وحده، لا شريك له (2).

وقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: وما يشعر الخلائق الساكنون في  
 السموات والأرض بوقت القيامة، كما قال: ﴿ثُقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأْتِيَكُمُ الْإِلَٰهُ  
 بِغَنَّةٍ﴾ (3)، أي: يتقل علمها على أهل السموات والأرض.

قال قتادة رحمه الله: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة  
 للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد  
 قال برأيه وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به، وإن ناساً جهلة  
 بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة من أعرس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا  
 ومن سافر بنجم كذا كان كذا وكذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ولعمري  
 ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود، والقصير والطويل، والحسن والدميم، وما  
 علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب! وقضى الله أنه لا يعلم من  
 في السموات والأرض الغيب إلا الله، وما يشعرون أيان يبعثون. رواه ابن أبي

1- ينظر: الاتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي شهرته:  
 السيوطي، تح: مركز الدراسات القرآنية، الناشر: مجمع الملك فهد. (392/1).

2- أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحداً لئلا يأمن الخلق مكره. ينظر: غرائب القرآن ووعائب الفرقان  
 نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان  
 1416هـ - 1996م ط1. (315/5).

3- سورة الأعراف، من الآية 187.

حاتم<sup>(1)</sup>، وهو كلام جليل متين صحيح.

وقوله: ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها، وهو على وزن أفعال، وقراءة الأكثر ﴿بَلِ ادْرَاكَ﴾، أي: تساوى علمهم في ذلك<sup>(2)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿بَلِ ادْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: غاب<sup>(3)</sup>. وقال السدي رحمه الله: أن علمهم إنما يُدرك ويكمل يوم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك. وقال الحسن رحمه الله: اضمحل علمهم في الدنيا حين عاينوا الآخرة<sup>(4)</sup>.

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ الضمير عائد إلى الجنس، والمراد الكفار، أي: شاكون في وجودها ووقوعها، ﴿بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ أي: في عماية وجهل كثير في أمرها وشأنها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِن آذَنَّا بِآبَائِنَا لَمُخْرَجُونَ﴾ ﴿١٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤَنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

أخبر تعالى: عن منكري البعث من المشركين: استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظاماً ورفاتاً وتراباً، ثم قال: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: ما زلنا نسمع بهذا نحن وآبائنا، ولا نرى له حقيقة. قال تعالى: مجيباً لهم عما ظنوه: ﴿قُلْ﴾ يا محمد - صلى الله عليه وسلم - لهؤلاء: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ

1- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2913/9).

2- ينظر: حجة القراءات (535/1).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (187/6).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (188/6).

عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٧١﴾ أي: المكذِّبين بالرسول وما جاؤهم به من أمر المعاد وغيره كيف حلت بهم نَقْمُ اللَّهِ وعذابه، ونَجَّى اللَّهُ من بينهم رسله وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ من المؤمنين، فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته.

ثم قال - تعالى - مسلماً لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المكذِّبين ولا تأسف عليهم، ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: في كيدك وردّ ما جنّت به فإن الله مؤيدك وناصرك، على مَنْ خالف دينك.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَسْأَلْتَهُمْ لَيُشْكِرْنَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾.

أخبر تعالى: عن المشركين في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، قال - تعالى - مجيباً لهم: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدٌ ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: أي: عسى أن قرب لكم بعض الذي تستعجلون<sup>(1)</sup>.

وإنما دخلت "اللام" في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾، لأنه ضُمن معنى عَجَلٍ لكم كما قال مجاهد - رحمه الله - في رواية عنه: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾: عجل لكم<sup>(2)</sup>.

ومعنى ردف: دنا وقرب، وقيل: أي: تبكم.

ثم قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: في إسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم، وهم مع ذلك لا يشكرونه إلا القليل منهم، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ

1- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (403).

2- معاني القرآن المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، تح: محمد علي الصابوني الناشر: جامعة أم القرى - مكة المرممة الطبعة: الأولى، 1409. (147/5).

صُدُّوهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ أي: يعلم الضمائر والسرائر، كما يعلم الظواهر ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ (1)، ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (2).

ثم أخبر تعالى: بأنه عالم غيب السموات والأرض، و عالم الغيب والشهادة وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه، فقال: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: يعني: وما من شيء، ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: من مكتوم سر وخفي أمر ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في لوح محفوظ (3).

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٧٦) وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْيَنَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن صَلَاتِنَهُمْ إِنَّ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾.

أخبر تعالى: عن كتابه العزيز، وما اشتمل عليه من الهدى والبيانات: إنه يقص ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وهم حملة التوراة والإنجيل ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه، فاليهود افتروا، والنصارى غلوا فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل، أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (4).

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لقلوب المؤمنين، ورحمة لهم في العمليات.

ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: في انتقامه، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعال عبادهم وأقوالهم.

1- سورة الرعد، من الآية 10.

2- سورة طه، من الآية 7.

3- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (403).

4- سورة مريم، الآية 34.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: في أمورك، وبلغ رسالة ربك، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ أي: أنت على الحق الظاهر البين وإن خالفك من خالفك، من الأشقياء ممن حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ﴾ أي: لا تسمعهم شيئاً ينفعهم، فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة، وفي آذانهم وقر الكفر؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ أي: معرضين، تعني أنهم لفرط أعراضهم عما يدعون إليه، كالميت الذي لا سبيل إلى اسماعه، والأصم الذي لا يسمع، ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى، وأعمى قلبه عن الإيمان، إنما يستجيب لك من هو سميع بصير، وهو المصدق للقرآن، المخلص لله رب العالمين.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي إذا وجب العذاب عليهم ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، فتكلم الناس على ذلك. روي عن علي - رضي الله عنه - وابن العباس رضي الله عنه: يعني: يخاطبهم مخاطبة فيقول لهم: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: قبل خروجها، وقد ورد في شأنها أحاديث كثيرة منها.

عن حذيفة بن أسيد الغفاري - رضي الله عنه -<sup>(1)</sup> قال: (أشرف علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال: لا تقوم الساعة حتى ترؤا عشر آيات، طلوع الشمس من مغربها والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم، والدجال وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن

1- هو: حذيفة بن أسيد الغفاري ويكنى أبا سريحة. أول مشهد شهده مع النبي - صلى الله عليه وسلم - الحديبية. وقد روى عن أبي بكر الصديق ونزل الكوفة بعد ذلك. ينظر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب (99/1).

تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا). رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن<sup>(1)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بادروا بالأعمال ستاً: الدخان والدجال، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة و خويصة أحلكم). رواه مسلم<sup>(2)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه -<sup>(3)</sup> قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى و أيتها ما كانت قبل صاحبته، فالأخرى على أثرها قريباً). رواه مسلم<sup>(4)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (تخرج دابة الأرض، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان -عليه السلام- فتخطم أنف الكافر بالعصا، وتجلّي وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على

1- مسند أحمد. رقم الحديث (8446)(162/14). صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب: في بقية من أحاديث الدجال. رقم الحديث (2901)(2225/4). سنن أبي داود. باب: أمارات الساعة. رقم الحديث (4311) (114/4). سنن ابن ماجه. باب: الآيات. رقم الحديث (4055) (1347/2).  
2- صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب: في بقية من أحاديث الدجال. رقم الحديث (2947)(2267/4).

3- هو: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي. قال أبو نعيم: حدث عنه من الصحابة ابن عمر، وأبو أمامة، والمسور، والسائب بن يزيد، وأبو الطفيل، وعدد كثير من التابعين. وقيل: مات سنة ثمان وستين. وقيل تسع وستين. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1415 هـ. (167-165/4).

4- صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب: في خروج الدجال ومكته في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور وبعث من في القبور. رقم الحديث (2941) (2260/4).

الخوان يعرف المؤمن من الكافر). رواه أحمد و الطيالسي<sup>(1)(2)</sup>.  
وقال ابن عباس رضي الله عنه: هي دابة ذات زَغَب، لها أربع قوائم، تخرج من بعض أودية تهامة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: تخرج الدابة من صِدْع من الصفا كَجَرِي الفرس ثلاثة أيام، لم يخرج ثلثها<sup>(3)</sup>.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن الدابة فيها من كل لون، ما بين قرنيها فرسخ للراكب. وقال ابن عباس رضي الله عنه: هي مثل الحربة الضخمة<sup>(4)</sup>.

وعن ابن الزبير<sup>(5)</sup> رحمه الله: أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيِّل<sup>(6)</sup>، وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هَرّ، وذنبها ذنب كيش

1- هو: سليمان بن داود بن الجارود أبو داود الطيالسي البصري الحافظ فارسي الأصل. روى عن: أيمن بن نابل وأبان بن يزيد العطار وإبراهيم بن سعد وجرير وجماعة. وعنه: أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وإسحاق بن منصور الكوسج وغيرهم. وقال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث وربما غلط توفي بالبصرة سنة "203" وهو يومئذ بن "72" سنة لم يستكملها. ينظر: تهذيب التهذيب (4/182-186).

2- مسند أحمد رقم الحديث (7937)(13/321). مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري، تح: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط1، سنة الطبع: 1419هـ-1999م، رقم الحديث (2687)(4/292).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/192).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/193).

5- هو: عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي الأسدي، وخديجة بنت خويلد عمّة أبيه بن العوام بن خويلد، وخالته عائشة أم المؤمنين. روى عن: النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث، وعن أبيه، وعن عمر، وعثمان، وغيرهما، روى عنه أخوه عروة، وابناه: عامر، وعباد، وعبيدة السلماني، وعطاء بن أبي رباح، والشعبي، وغيرهم. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (3/140).

6- أيل: الأيل بضم الهمزة وكسرهما وتشديد الياء الذكر من الأوعال ويقال لها بالفارسية كوزن والجمع أيائل. ينظر: المغرب، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرَّرِي، دار الكتاب العربي (1/52).

وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً، تخرج ومعها عصا موسى -عليه السلام- وخاتم سليمان-عليه السلام- فلا يبقى مؤمن إلا نكّت في وجهه بعصا موسى-عليه السلام- نكّته بيضاء، فتفشو تلك النكّته حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر إلا نكّت في وجهه نكّته سوداء بخاتم سليمان، فتفشو تلك النكّته حتى يسود لها وجهه، حتى إنّ أهل البيت يجلسون على مائدتهم، فيعرفون مؤمنهم من كافرهم، ثم تقول لهم الدابة: يا فلان أبشر، أنت من أهل الجنة، ويا فلان، أنت من أهل النار، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

وعن حذيفة- رضي الله عنه - قال: ذكّر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الدابة فقال: (لها ثلاث خرجات من الدهر تخرج خرّجة من أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية يعني: مكة ثم تكمن زماناً طويلاً ثم تخرج خرّجة أخرى دون تلك، فيعلو ذكرها في أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية يعني: مكة. ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها: المسجد الحرام لم ترعهم إلا وهي في ناحية المسجد يربو بين الركن والمقام، تنفض عن رأسها التراب. فانفض الناس عنها، وتبث لها عصابة، فمرت بهم، فجالت وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية، وولت في الأرض لا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب، حتى إنّ الرجل يتعوذ منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان، الآن تصلي، فيقبل عليها فتسّم في وجهه، ثم تتطلق فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم، يعرف المؤمن من الكافر، حتى إنّ المؤمن ليقول: يا كافر، اقضني حقي. وحتى إنّ الكافر ليقول: يا مؤمن، اقضني حقي). ورواه ابن جرير (1).

1- جامع أحكام البيان للطبري (10/15-16).

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمًا أَمَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسِ كُنُوفِهِمْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

أخبر تعالى: عن يوم القيامة، وحشر الظالمين المكذبين بآيات الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - إلى بين يدي الله، ليسألهم عما فعلوه في الدنيا، تقرعاً وتوبيخاً، وتحقيراً فقال: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ أي: من كل قرن وقوم ﴿فَوْجًا﴾، أي: جماعة، ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾، كما قال: ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ (1).

وقوله: ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي: يدفعون ويساقون. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا ﴾ أي: أوقفوا بين يدي الله، في مقام المساءلة، ﴿ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمًا أَمَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: ويسألون عن اعتقادهم، وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم: ﴿ فَلَا صِدْقَ وَلَا صِلَىٰ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ (2) فحينئذ قامت عليهم الحجة، ولم يكن لهم عذر يعتذرون به، كما قال: ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: غضب الله عليهم ﴿بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أي: بهتوا فلم يكن لهم جواب لأنهم كانوا في الدنيا ظلمة لأنفسهم.

ثم قال - تعالى - منبهاً على قدرته وسلطانه: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسِ كُنُوفِهِمْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: فيه ظلام يسكن بسببه حركاتهم، وتهدأ أنفاسهم، ويستريحون من نصب التعب في نهارهم.

﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ أي: منيراً مشرقاً، فبسبب ذلك يتصرفون في المعاش والمكاسب والأسفار و التجارات، وغير ذلك من شؤونهم التي يحتاجون إليها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يصدقون فيعتبرون.

1- سورة الصافات، من الآية 22.

2- سورة القيامة، الآيات 31-32.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ لِذِي الْأُنْقَانِ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَهُمْ مَنْ فَرَعَ يَوْمَئِذٍ مِمَّنْ آمَنُوا ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُفَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

أخبر تعالى: عن هول يوم نفخة الفزع في الصور، وهو كما جاء في الحديث: (قرن ينفخ فيه)<sup>(1)</sup>.

وفي حديث الصور<sup>(2)</sup>: (أن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله، فينفخ فيه أولاً نفخة الفزع ويطولها، وذلك في آخر عمر الدنيا، حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء)<sup>(3)</sup>.

﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وهم الشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يخرج الدجال فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوماً، أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً فيبعث الله عيسى بن مريم - عليه السلام - كأنه عروة بن مسعود<sup>(4)</sup> فيطلبه فيهلكه، فمكث في الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدهم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه

1- سنن الترمذي. باب ما جاء في شأن الصور. رقم الحديث (2430) (620/4).

2- لفظ الحديث: (جاء أعرابي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ما الصور؟ قال: «قرن ينفخ فيه» ينظر: سنن الترمذي. باب ما جاء في شأن الصور. رقم الحديث (2430) (620/4).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (194/6).

4- هو: عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف ابن تقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان الثقفي، أبو مسعود وهو ممن أرسلته قريش إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية، فعاد إلى قريش وقال لهم: «قد عرض عليكم خطة رشداً فاقبلوها». كان عروة يشبه بالمسيح عليه السلام في صورته. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (528/3-530).

قال: فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون فيقولون: كما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم حسنٌ عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لبيتًا ورفع لبيتًا فقال: أول من يسمعه رجل يُلوط حوض إبله فيصعقُ ويصعقُ الناس، ثم يرسل الله مطرًا كأنه الطل فتبتت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس، هلموا إلى ربكم فقفوهم إنهم مسؤولون، فيقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم، فيقال: من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين، قال: فذلك يوم يجعل الولدان شيبا، وذلك يوم يكشف عن ساق). رواه مسلم<sup>(1)</sup>.

والليت: هو صفحة العنق، أي: أمال عنقه ليستمعه من السماء.

فهذه نفخة الفرع، ثم بعد ذلك نفخة الصعق، وهو الموت، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين، وهو النشور من القبور بجميع الخلائق؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلُّ أُنُوفٍ ذَخِيرٍ﴾ قرئ بالمد، وبغيره على الفعل، وهما بمعنى واحد<sup>(2)</sup> و﴿ذَخِيرٍ﴾ أي: صاغرين، لا يتخلف أحد عن أمره، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾<sup>(3)</sup> وفي حديث الصور، أنه في النفخة الثالثة يأمر الله الأرواح، فتوضع في ثقب في الصور ثم ينفخ إسرافيل فيه بعدما تبتت الأجساد في قبورها وأماكنها، فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح، تتوهج أرواح المؤمنين نورًا، وأرواح الكافرين ظلمة، فيقول الله: وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى أجسادها، فتجيء، فتدب

1- صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب: في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور، وبعث من في القبور. رقم الحديث (2940)(4/2258).

2- قَرَأَ حَمْرَةً وَحَفْصَ عَنْ عَاصِمٍ {أَنُوفٍ} مَقْصُورَةٌ مَقْتُوحَةٌ النَّاءِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {أَنُوفِهِ} مَمْدُودَةٌ مَضْمُومَةٌ النَّاءِ عَلَى مَعْنَى جَاءُوهُ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ كَذَلِكَ مِثْلَ الْبَاقِينَ. ينظر: السبعة في القراءات (1/487).

3- سورة الإسراء، من الآية 52.

فيها كما يدب السم في اللديع، ثم يقومون من قبورهم، وينفضون التراب من رؤوسهم، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ (1).

وقوله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ أي: تراها كأنها يابسة باقية على ما كانت عليه، وهي تزول عن أماكنها، وتسير سير السحاب، حتى تقع على الأرض فتسوى بها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ (2).

وقوله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: يفعل ذلك بقدرته العظيمة التي قد أحكم كل ما خلق، وأودع فيه الحكمة ما أودع، ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: هو عليم بأفعال عباده من خير وشر فيجازيهم عليه.

ثم بين حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: بالإخلاص. وقال زين العابدين (3) رحمه الله: هي لا إله إلا الله (4).

﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ وهي عشر أمثالها، كما قال في موضع آخر: ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمِذٍ ءَامِنُونَ﴾ ، هو كما قال في آية أخرى: ﴿لَا يَخْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ (5).

وقوله: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ أي: ومن لقي الله مسيئاً لا حسنة له، أو كانت سيئاته أكثر، ألقوا على وجوههم فيها، ويقول لهم خزنة جهنم:

1- سورة المعارج، من الآية 43.

2- سورة الطور، الآيتين 9-10.

3- هو: زين العابدين أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنهم أجمعين- وهو أحد الأئمة الاثني عشر ومن سادات التابعين، وكانت ولادته يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وتوفي سنة أربع وتسعين، ودفن في البقيع في قبر عمه الحسن بن علي -رضي الله عنه- في القبة التي فيها قبر العباس -رضي الله عنه-. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تح: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت. (269/3).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (196/6).

5- سورة الأنبياء، من الآية 103.

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال الجمهور: المراد الشرك (1).

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩١) ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (٩٢) ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٣).

أخبر تعالى: عن رسوله - صلى الله عليه وسلم - أنه أمره أن يقول: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا﴾ أي: جعلها حرماً آمناً ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ أي: خالقاً ومالكاً.

وإضافة الرب إلى البلدة للتشريف والتكريم، كما قال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (٢) (2).

وقوله: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾: من قبيل عطف العام على الخاص ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: الموحدين المخلصين المطيعين لله.

وقوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ أي: على الناس أبلغهم إياه، كقوله: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ (3)، أي: أنا مبلغ ومنذر، ﴿فَمَنْ أِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: أنا كباقي الرسل الذين أنذروا قومهم وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة، وخلصوا من عهدتهم، وحساب أممهم على الله كما قال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (4).

وقوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، أي: لله الحمد الذي لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه والأعذار إليه؛ ولهذا قال: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ يعني: يوم [تفر] (5) من القتل والأسر

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (196/6).

2- سورة قريش، الآية 3، ومن الآية 4.

3- سورة آل عمران، الآية 58.

4- سورة الرعد، من الآية 40.

5- في الأصل (تذر).

وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم.

وقيل: أي في السماء والأرض وفي أنفسكم كما قال: ﴿سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(1)</sup>، ﴿فَنَعْرِفُونَهَا﴾ أي الآيات والدلالات.

وقوله: ﴿وَمَارَبُّكَ يُغْفِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: بل هو شهيد حاضر على كل شيء وهذا وعيدٌ لهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس، لا يَغْتَرَنَّ أَحَدًا بِاللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَوْ كَانَ غَافِلًا لَأَغْفَلَ الْبَعُوضَةَ وَالْخَرْدَلَةَ وَالذَّرَّةَ). رواه ابن أبي حاتم<sup>(2)</sup>.

وكان الإمام أحمد، ينشد هذا:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ  
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً  
خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ  
وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ<sup>(3)</sup>

1- سورة فصلت، من الآية 53.

2- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2937/9).

3- البيت من الطويل وهو للإمام أحمد في ديوان أبي العتاهية (10/1).

## تفسير سورة القصص

وهي مكية: إلا قوله ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا نُبْنِي الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(1)</sup> ومنها آية نزلت بين مكة والمدينة، وهي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾<sup>(1)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَمَ ۙ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يَذِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)﴾.

قد سبق البحث في حروف أوائل السور في سورة البقرة<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أي: الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الأمور.

وقوله: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: نذكر لك الأمر على ما كان عليه، كأنك شاهد.

ثم قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تكبر وتجبّر وطغى.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا﴾ أي: أصنافا، صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته.

1- نزلت بالجحفة في سفر الهجرة، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك. ينظر: لباب النقول في أسباب النزول. لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار إحياء العلوم، مكان النشر بيروت. (65/1).

2- ينظر: اللوحة رقم 9- أ/ من المخطوط.

وقوله: ﴿سَتَضِعُّنَّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ يعني: بني إسرائيل، وكانوا أخيار أهل زمانهم، وقد سلط الله عليهم ذلك الملك الجبار العنيد يستعملهم في أخس الأعمال والتكاليف الشاقة ويقتل مع هذا أبناءهم، ويستحيي نساءهم، إهانة لهم واحتقارا وخوفا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأتباعه، يكون سبب هلاكهم.

وكان القبط<sup>(1)</sup> قد تلقوا هذا من بني إسرائيل، فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم -عليه السلام- حين ورد ديار مصر، وجرى له مع جبارها ما جرى، من قصة سارة<sup>(2)</sup> فصانها الله منه، بقدرته، فبشر إبراهيم -عليه السلام- ولده أنه سيولد من صلبه من يكون هلاك ملك مصر على يديه، فأخبروا فرعون، وكان يحترز من ذلك، وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل، ولن ينفع حرز من قدر، لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولهذا قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿يَحْذَرُونَ﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿وَجَعَلَهُمْ أُمَّةً﴾ أي: قادة في الخير يقتدى بهم. قال قتادة رحمه الله: أي: ولاة وملوكاً<sup>(3)</sup>.

﴿وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: لمملكة فرعون وقومه يخلفون في مساكنهم ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نوطن لهم في أرض مصر والشام، فتستقروا فيها. و الحدز: هو التوقي من الضرر، أي: ونريهم ما كانوا يتقون، وقد فعل الله بهم ذلك بقدرته وسلطانه.

1- القبط هم: أهل مصر نسبوا إلى قبط بن قرط بن حام وإلى القبط بطن من حمير. ينظر: لب الباب في تحرير الأنساب، للسيوطي. (203/1).

2- هي: سارة بنت هازان بن ناحور ويقال سفوه بن ناحور زوج سيدنا إبراهيم الجليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام. ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (180/69).

3- ينظر: الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تح: أحمد اليردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م (249/13).

كما قال: ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾<sup>(1)</sup> بني إسرائيل، أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى فما نفعه ذلك فإنه كان مقدر أن يكون هلاكه بسبب موسى -عليه السلام- وإن هلاكه الذي على يديه ليعلم أن رب السموات العلى هو القاهر الغالب.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٧)</sup> فَأَلْقَطَهُ<sup>ط</sup> آل فرعون لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ<sup>(٨)</sup> وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَك لَأَقْتُلَنَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ<sup>(٩)</sup>.

ذكروا: أن فرعون لما أكثر من قتل بني إسرائيل، خافت القبط أن يُفني بني إسرائيل فيلون الأعمال الشاقة، بدلهم، فقالوا لفرعون: إنه ليوشك أن لا يبقى أحد منهم فيكون عوضهم في تحمل المشاق والتكاليف، فيعجز عن ذلك فأمر بقتل الولدان عاماً وتركهم عاماً، فولد هارون -عليه السلام- في السنة المتروكة، وولد موسى -عليه السلام- في السنة المهلكة وكان لفرعون أناس موكلون بذلك، وقوابل يدرن على النساء، فمن رأيتها قد حملت ضبط اسمها، و لا تكون قابليتها إلا من القبط فإن ولدت جارية تركنها وإن ولدت غلاماً دخل أولئك، بأيديهم الشفار المرهفة فقتلوه ومضوا، فلما حملت أم موسى به -عليه السلام- لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها، ولم تظن لها القوابل ولكن لما ولدت ذكراً ضاقت به ذرعاً وخافت عليه خوفاً شديداً وأحبته حباً زائداً وكان موسى -عليه السلام- لا يراه أحد إلا أحبه قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾<sup>(2)</sup>، فألهمت في سرها، وألقي في خلدتها كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، وكانت دارها على حافة النيل، فاتخذت تابوتاً، ومهدت فيه مهداً، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد ممّن تخاف

1- سورة الأعراف، من الآية 137.

2- سورة طه، من الآية 39.

جعلته في ذلك التابوت، وسيرته في البحر وأوثقته بحبل عندها، فلما كان في بعض الأيام دخل عليها مَنْ تخافه فذهبت فوضعت في ذلك التابوت، فأرسلته في البحر وذهلت عن أن تربطه فذهب مع الماء حتى مر به على دار فرعون، فالتقطه الجوارى، فذهبن به إلى امرأة فرعون، ولا يدرين ما فيه وخشين أن يفتنن عليها في فتحه دونها، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه وذلك لسعادتها وما أراد الله شقاوة بعلمها ولهذا قال: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾.

وقيل: اللام ها هنا لام العاقبة لا لام التعليل<sup>(1)</sup>، لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ولكن إذا نظر إلى معنى السياق يفيد التعليل، لأن معناه أن الله، وكلهم لالتقاطه ليجعله لهم عدواً وحزناً فيكون أبلغ في إبطال حذرهم منه؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَمْنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني: أن فرعون لما رآه هم بقتله خوفاً من أن يكون ذلك الموعود فطفت امرأته تحميه، وتذب دونه، وتحببه إلى فرعون، فقالت: ﴿قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ فقال: أما لك فنعم، وأما لي فلا، فكان كذلك، فهداها الله به، وأهلكه الله على يديه.

وقوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو أن عدو الله قال في موسى -عليه السلام- كما قالت آسية<sup>(3)</sup>: عسى أن ينفعنا لنفعله الله، ولكنه أبى، للشقاء الذي كتبه

1- أحكام القرآن (492/3).

2- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (199/6-200).

3- هي: آسية ابنة مزاحم امرأة فرعون كانت من خيار النساء المعدودات، تزوجت بفرعون موسى ملك مصر ولم تلد منه مدة حياتها معه وكان بحبها مستهماً ولكلامها مطيعاً. ينظر: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور (40/1).

الله عليه (1).

﴿أَوْتَّخِذْهُ وَلَدًا﴾ أي: أرادت أن تتبناه، وذلك أنه لم يكن لها ولد منه.  
وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يدرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه من  
الحكمة العظيمة البالغة.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبًا لَكُنْتُ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا  
عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴿١٢﴾  
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا  
يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

أخبر تعالى: عن فؤاد أم موسى، حين ذهب ولدها في البحر، إنه أصبح  
فارغاً أي: من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى.  
قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - وجماعة (2).

﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي: إن كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها  
لتظهر أنه ذهب لها ولد، وتخبر بحالها، لولا أن الله تثبتها وصبرها، قال الله: ﴿لَوْلَا  
أَنْ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبًا لَكُنْتُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من المصدقين بوعد الله ﴿وَقَالَتْ  
لِأُخْتِهِ قُصِّيه﴾ أي: أمرت ابنتها وكانت امرأة كيسة تعي ما يقال لها فقالت لها:  
﴿قُصِّيه مِنْهُمْ﴾ أي: اتبعي أثره، وخذي خبره، فخرجت لذلك، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾.  
قال ابن عباس رضي الله عنهما: عن جانب، وقال مجاهد رحمه الله: عن  
بعيد.

قال قتادة: وجعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده (3).

1- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (193/6).

2- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (407). تفسير القرآن العظيم لابن كثير (201/6).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (201/6).

وذلك أنه لما استقر موسى -عليه السلام- بدار فرعون، وأحبته امرأة الملك واستطلقته منه عرضوا عليه المراضع التي في دارهم، فلم يقبل منها ثدياً، وأبى أن يقبل شيئاً من ذلك. فخرجوا به إلى سوق لعلمهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته فلما رأته بأيديهم عرفته، ولم تظهر ذلك فلم يشعروا بها.

قال الله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: تحريماً قديماً، وذلك لكرامة الله له صانه أن يرتضع غير ثدي أمه، ولأن الله سبحانه جعل ذلك سبباً إلى رجوعه إلى أمه، لترضعه وهي آمنة، بعدما كانت خائفة، فلما رأته طالبين مرضعة قالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: لما قالت ذلك أخذوها، وشكوا في أمرها وقالوا لها: وما يدريك نصحهم له وشفقتهم عليه، فقالت لرغبتهم في صبر الملك ورجاء منفعتها. قال سلوها فذهبوا معها إلى منزلهم، فدخلوا به على أمه، فأعطته ثديها ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وذهب البشير إلى امرأة فرعون، فاستدعت أم موسى وأحسن إليها، وأعطتها عطاءً جزيلاً وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه فأبت عليها وقالت: إن لي بعلاً وأولاداً، ولا أقدر على المقام عندك ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك وأجرت عليها النفقة والصلات والكساوي، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية في آمن وعزة<sup>(1)</sup>.

ولهذا جاء في الحديث: (مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها)<sup>(2)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (202/6).

2- السنن الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية، بيروت. ولفظه «مثل الذين يغزون من أمتي ويأخذون الجعل يتقوون على عدوهم مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها». (27/9).

ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل، يوم وليلة، أو نحوه، ولهذا قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آتِيهِ كَمَا تَفَرَّقَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: فيما وعدنا من رده إليها، وجعله من المرسلين، فحينئذ تحققت برده إليها أنه كائن منه رسول من المرسلين، فعاملته في تربيته بما ينبغي له طبعاً وشرعاً.

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: حُكِمَ اللهُ في أفعاله وعواقبها المحمودة التي هو المحمود عليها في الدارين.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَىٰ، آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤) ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوئه فاستغثه الذي من شيعته على الذي من عدوئه فوكزه موسى ففضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين (١٥) قال رب إني ظلمت نفسي فأغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم (١٦) قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين (١٧).

قال الكلبي رحمه الله: الأشد ما بين ثمانين سنة إلى ثلاثين سنة. وقيل: ثلاث وثلاثون سنة (1).

﴿وَأَسْتَوَىٰ﴾ أي: بلغ أربعين سنة وكمل شبابه آتاه ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

وقال مجاهد رحمه الله: تعني النبوة (2).

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، فيعطهم العلم والعقل والمنزلة الرفيعة.

ثم ذكر تعالى: سبب وصوله إلى ما كان تعالى قدّر له من النبوة والتكليم: في قضية قتله القبطي، الذي كان سبب خروجه من الديار المصرية إلى بلاد مدين (3) فقال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

1- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (196/6).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (202/6).

3- مدين: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الياء المثناة من تحت، وآخره نون، قال أبو زيد: مدين على بحر

القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام

لسائمة شعيب، قال: ورأيت هذه البئر مغطاة قد بني عليها بيت وماء أهلها من عين تجري، ومدين اسم

=

قال ابن عباس رضي الله عنه: وذلك بين المغرب والعشاء، وعنه أيضاً: نصف النهار (1).

﴿وَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ أي: يتضاربان ويتنازعان، ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أي: إسرائيلي، ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي: قبطي، فاستغاث الإسرائيلي بموسى -عليه السلام- ووجد موسى فرصة، فعمد إلى القبطي ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾.

قال مجاهد: أي: ضربه بجميع كفه، وقيل: وكزه بعضاً كانت معه (2).

﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ أي: فقتله وفرغ من أمره، ﴿قَالَ﴾: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ أي: بين الضلالة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بقتل القبطي من غير أمر ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ﴾ هو الغفور الرحيم ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أي: بما جعلت لي من الجاه والعزة والمنعة ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَاهِرًا﴾ أي: معينا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين بك المخالفين لأمرك.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ فإذا الذي استنصره، بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۗ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوسَى إِنَّكَ أَلَمَّا يَا تَمْرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿٢٠﴾.

أخبر تعالى: عن موسى -عليه السلام- لما قتل ذلك القبطي: إنه أصبح في ﴿الْمَدِينَةِ خَائِفًا﴾ أي: من معرفة ما فعل، ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ أي: ينتظر متى يؤخذ به، فمر في بعض الطرق فإذا ذاك الذي استنصره بالأمس على ذلك القبطي يقاتل آخر، فلما مر

القبيلة، وهي في الإقليم الثالث، طولها إحدى وستون درجة وثلاث، وعرضها تسع وعشرون درجة وهي

مدينة قوم شعيب سميت بمدين بن إبراهيم، عليه السلام. ينظر: معجم البلدان (77/5).

1- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (407).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (203/6).

موسى -عليه السلام- استصرخه على الآخر، فقال له موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر الغواية كثير الشر، ثم عزم على البطش بذلك القبطي، فاعتقد الإسرائيلي لضعفه وذلته أن موسى إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك، فقال دفعاً عن نفسه: ﴿يَمُوسَىٰ أَرِيدُ أَنْ نَقْتُلَنَّكَ كَمَا قَتَلْنَا نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ وذلك؛ لأنه لم يعلم به إلا هو وموسى -عليه السلام- فلما سمعها ذلك القبطي ذهب بها إلى باب فرعون فأخبرهم بذلك فعلمه فرعون واشتد غضبه، وعزم على قتل موسى، فطلبوه فبعثوا في أثره.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ وصفه بالرجولية لأنه سلك طريقاً أقرب من الطريق المعتاد الذي بعثوا وراءه، فسبق إلى موسى، فقال: ﴿إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ أي: يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ أي: من البلد ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ أي: في الأمر بالخروج.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١١) ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢٢) ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٢٣) ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٢٤).

لما أخبره ذلك الرجل بما تملاً عليه فرعون وأتباعه، خرج من مصر وحده ولم يكلف ذلك قلبه، بل كان في رفاهية ونعمة ورئاسة، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ أي: يترصد وينتظر الطلب ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: من فرعون وملئه. فذكروا أنه سبحانه، بعث ملكاً على فرس، فأرشده إلى الطريق.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: أخذ طريقاً سالكاً فرح بذلك، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: إلى الطريق الأقوم. فهداه الله إلى الطريق.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ﴾ أي: وصل ﴿مَدْيَنَ﴾، وورد ماءها، وكان بئر يرده رعاء الشاء ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ أي: جماعة ﴿مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي: تحبسان وتمنعان أغنامهما من الماء، فلما رآهما موسى -عليه السلام- رق لهما ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما شأنكما لا تردان مع هؤلاء ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي: لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي: فهذا الحال التي تراها علينا لذلك قال الله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ أي: فلما سمع موسى -عليه السلام- قولهما رحمهما، فأقلع صخرة من رأس بئر كانت بقربها، لا يطبق رفعها إلا عشرة من الناس<sup>(1)</sup>.

وقيل: إن موسى -عليه السلام- زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر فسقى غنم المرأتين.

وروي: أن القوم لما رجعوا بأغنامهم غطوا البئر بحجر لا يرفعه أقل من عشرة فجاء موسى -عليه السلام- ورفع الحجر وحده، وسقى غنم المرأتين، ويقال: أنه نزع ذنوباً واحداً ودعا فيه بالبركة، فروى منه جميع الغنم<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: سار موسى من مصر إلى مدين، ليس له طعام إلا ورق الشجر والبقل، وكان حافياً فما ساقطه النعل، ولما جلس في الظل أي: تحت الشجرة وهو صفوة الله من خلقه، وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع وإن خضرة البقل لتري من داخل جوفه<sup>(3)</sup>.

دعا بذلك فسمعت المرأة دعاءه.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا

فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ

1- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (200/6).

2- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (201/6).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (204/6).

أَسْتَجِرُّهُ بِكِ خَيْرٍ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ  
 أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ  
 شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى  
 مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

لما ذهبت المرأتان سريعاً بالغنم إلى أبيهما، فعجب من ذلك، فسألها عن  
 خبرهما فقصتا عليه ما فعل موسى -عليه السلام- فبعث إحداهما إليه يدعوه قال الله  
 تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ أي: كمشي الحرائر، قال عمر بن الخطاب  
 رضي الله عنه: جاءت مستتررة بكم درعها ﴿قَالَتْ إِنَّكِ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا  
 سَقَيْتَ لَنَا﴾ وهذا تأدب في العبارة، لئلا يتوهم ريبة، يعني: ليشيبك ويكافئك على  
 سقائك لغنمنا، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي: ذكر له ما كان من أمره وما  
 جرى له في السبب الذي خرج من أجله من مصر، ﴿قَالَ لَا تَحْفَظْ نَجْوَتَ﴾ أي: طب  
 نفسا وقر عينا، فقد خلصت من أيديهم فلا حكم لهم في بلادنا؛ ولهذا قال: ﴿نَجْوَتَ  
 مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

وقد اختلفوا في هذا الرجل: مَنْ هو؟ قال بعضهم: أنه شعيب -عليه السلام-  
 وهذا هو المشهور عند كثير من الأئمة، وقيل: ابن أخي شعيب، وقيل: رجل مؤمن  
 من قوم شعيب (1).

وكان شعيب قبل موسى -عليه السلام- بمدة طويلة؛ لأنه قال لقومه: ﴿وَمَا  
 قَوْمٌ لَوْطٍ مِّنْكُمْ يَبْعِدُونَ﴾ (2).

وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل -عليه السلام- بنص  
 القرآن، وبين الخليل و موسى -عليه السلام- مدة طويلة تزيد على أربعمئة

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/205).

2- سورة هود، من الآية 89.

سنة وما قيل: إن شعيباً عاش مدة طويلة إنما هو دفع لهذا الإشكال، وأنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره فليس بصحيح اسناداً، أو في كتب بني إسرائيل أن اسم هذا الرجل: (ثيرون)، وقال ابن مسعود- رضي الله عنه - وغيره: أثرون ابن أخي شعيب -عليه السلام- (1).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الذي استأجر موسى يثرى (2).

والصواب أنه غير محقق، والله أعلم.

وقوله: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ﴾ أي: قالت إحدى ابنتي هذا الرجل. قيل:

هي التي ذهبت وراء موسى -عليه السلام- قالت لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ﴾ أي: اتخذه أجيراً لرعي هذه أغنامنا.

قال عمر وابن عباس- رضي الله عنهم- وغير واحد: لما قالت:

﴿إِنِّي خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجَرْتَهُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ قال لها أبوها: وما علمك بذلك؟ قالت: إنه رفع الصخرة التي لا يطبق عليها إلا عشرة رجال، وإنه لما جئت معه، فقال لي: كوني من ورائي، فإذا اختلف الطريق فاحذني لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه.

قال: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَإِنِّي خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجَرْتَهُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ أي: طلب إليه هذا الرجل

الشيخ الكبير أن يرعى غنمه ويزوجه إحدى ابنتيه واسمها صفوراً، ولياً. وقيل: صفوراً وشرقاً (3).

وقوله: ﴿عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجًّا﴾ أي: على أن ترعى عليّ ثمانين سنين فإن

تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك، وإلا ففي ثمان كفاية، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسُقَّ عَلَيْكَ﴾ أي: لا أشاقلك، ولا أماريك.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (206/6).

2- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (409).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (206/6).

وقد استدل أحمد- رحمه الله- و موافقوه: في صحة استئجار الأجير بالطعمة والكسوة بهذه الآية واستأنسوا بما رواه عتبة بن المنذر- رضي الله عنه - (1) في سنن ابن ماجه، أنه قال: كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقرأ ﴿طَسَمَ﴾، حتى إذا بلغ قصة موسى -عليه السلام- قال: (إن موسى أجّر نفسه ثمانين سنين، أو عشر سنين على عفة فرجه وطعام بطنه)(2). والحديث ضعيف.

وقوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

قال عمر رضي الله عنه: أي في حسن الصحبة، والوفاء بما قلت (3).

وقوله: إخباراً عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾. أي: قال موسى -عليه السلام- لصهره: الأمر على ما قلت من أنك استأجرتني على ثمان سنين، فإن أتممت عشرًا فمن عندي، فأنا متى فعلت أقلهما فقد برئت من العهد وخرجت من الشرط؛ ولهذا قال: ﴿أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ﴾ أي: فلا حرج عليّ مع أن موسى -عليه السلام- إنما فعل أكمل الأجلين.

قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: سألتني يهودي من أهل الحيرة(4)، أي

1- هو: عتبة بن المنذر: صحابي نزل مصر وروى عنه من أهل الشام خالد بن معدان، ولا يلزم من رواية عن عتبة بن عبد أن يكون هو عتبة بن المنذر. روى حديثه ابن ماجه، وغيره من طريق علي بن رباح سمعت عتبة بن النذر، وكان من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول... فذكر حديثاً في قصة موسى مع شعيب في الغنم وصفة أولادها. وكذا أخرجه محمد بن الربيع من طرق. وقال ابن سعد: مات سنة أربع وثمانين. ينظر: الإصابة في تميز الصحابة (4/366-367).

2- سنن ابن ماجه. باب إجارة الأجير على طعام بطنه. رقم الحديث (2444) (817/2).

3- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (6/203).

4- حيرة: بفتح أوله وياء مشددة وراء وهاء بلدة في جبال هذيل ثم في جبال سطاخ. الحيرة بالكسر ثم السكون وراء مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به وبحيرة الخورنق بقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل والسدير في وسط البرية التي بينها وبين الشام كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية. ينظر: معجم البلدان (2/328).

الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدري حتى أقدم على حَبْرِ العرب<sup>(1)</sup> فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس- رضي الله عنه- فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا قال فعل. هكذا رواه البخاري<sup>(2)</sup>.

وقد روي من حديث ابن عباس- رضي الله عنه - مرفوعاً أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (سألت جبريل: أيّ الأجلين قضى موسى -عليه السلام- قال: أتمهما و أكملهما). رواه ابن جرير. وفي رواية: أوفاهما وأتمهما<sup>(3)</sup>.

وفي رواية أبي ذر رضي الله عنه: (أن النبي- صلى الله عليه وسلم - سئل: أيّ الأجلين قضى موسى -عليه السلام-؟ قال: أوفاهما وأبرهما، قال: وإن سئلت أي المرأتين تزوج؟ فقل الصغرى منهما). رواه ابن أبي حاتم والبخاري<sup>(4)</sup>.

قال عتبة بن المنذر الصحابي- رضي الله عنه - مرفوعاً: (فلما أراد موسى -عليه السلام- فراق شعيب -عليه السلام- أمر امرأته أن تسأل أباهما أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به فأعطاها ما ولدت من غنمه قالب لُون من ولد ذلك العام، وكانت غنمه سوداء حسناء، فاطلق موسى-عليه السلام- إلى عصاه، فسَمَّاهَا من طرفها، ثم وضعها في أدنى الحوض، ثم أوردتها فسقاها، ثم وقف موسى -عليه السلام- بإزاء الحوض فلم تصدر منها شاة إلا ضرب جنبها شاة شاة قال: "فأتأمت وأثلثت، ووضعت كلها قوالب ألوان، إلا شاة أو شاتين)<sup>(5)</sup>.

1- يقصد: عبد الله بن العباس - رضي الله عنهما- سبق ترجمته انظر ص(18) من الرسالة.

2- صحيح البخاري. كتاب الشهادات باب من أمر بإنجاز الوعد. رقم الحديث (2684)(181/3).

3- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (66/10).

4- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2966/9). مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تح: مجموعة. مكتبة العلوم والحكم -

المدينة المنورة- الطبعة: الأولى، رقم الحديث (3964) (381/9).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (209/6).

وفي رواية، (ولدت كل شاة اثنتين وثلاثاً). رواه ابن أبي حاتم<sup>(1)</sup>.  
وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ أي: شهيد فيما بيني وبينك.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْسُكْ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْسُكْ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَنُوكَ بُرْهَنَانٍ مِّن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

قد سبق آنفاً أن موسى -عليه السلام- قضى أتم الأجلين وأوفاهما، وقد يفهم هذا من هذه الآية أيضاً حيث قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ أي: الأكمل منهما.

وقوله: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ قالوا: كان موسى -عليه السلام- قد اشتاق إلى بلاده وأقاربه فعزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه، فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره، فسلك بهم في ليلة مظلمة باردة، فنزل منزلاً فجعل كلما أورى زنده لا يضيء شيئاً، فتعجب من ذلك، فبينما هو كذلك إذ ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ أي: رأى نارا تضيء له على بعد، ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أي: حتى أذهب إليها، ﴿لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾، وذلك لأنه قد أضل الطريق، ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ أي: قطعة منها، ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي: تستدفئوا بها من البرد.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ أي: من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب، كما قال: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْتَآ

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (9/ 2970-2971).

إِلَى مُوسَى الْأَمْرِ ﴿١﴾، فهذا مما يرشد إلى أن موسى -عليه السلام- قصد النار إلى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه، والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في طرف الجبل مما يلي الوادي، فوقف متحيراً في أمرها، فناداه ربه: ﴿مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾.

قيل: الشجرة، شجرة خضراء، وقيل من العليق، وقيل العوسج، وعصاه أيضاً من العوسج (2).

وقوله: ﴿أَنْ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَنَا اللَّهُ﴾ أي: الذي يخاطبك ويكلمك هو ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاعل لما يشاء، المنزه عن مماثلة المخلوقات.

وقوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ أي: التي في يدك، كما في قوله: ﴿وَمَا تَلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَىٰ﴾ الآية (3).

يعنى: عصاك هذه التي تعرفها ألقها ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (4)، فعرف وتحقق أن الذي يكلمه و يخاطبه هو الذي يقول للشيء: كن فيكون، كما سبق في سورة "طه" (5).

﴿فَلَمَّارَءَاهَا نَهَزْتُ﴾ أي: اضطرب ﴿كَأَنَّهُاجَانٌ﴾ أي: في حركتها السريعة مع عظم خلقتها و قوائمها واتساع فمها، واصطكاك أنيابها وأضرارها، بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعته، فتتحدّر فيها تتقعقع، كأنها حادرة في واد، فعند ذلك ﴿وَلَىٰ﴾ موسى ﴿مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي: ولم يلتفت؛ لأن طبع البشرية ينهز من ذلك، فلما قال الله له: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾، رجع فوقف في مقامه الأول.

1- سورة الشعراء الآية 44.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (210/6).

3- سورة طه، الآية 17.

4- سورة طه، الآية 20.

5- ينظر: اللوحة رقم 297-ب/ من المخطوط.

ثم قال الله تعالى: ﴿أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرَّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي: إذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فإنها تخرج تتلألأ كأنها قطعة قمر في لمعان برق ولهذا قال: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي: من غير برص.

وقوله: ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ أي: من الفرع و من الرعب والخوف من الحية.

والمراد، أنه إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه، أي: يده، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف.

قال مجاهد رحمه الله: كان موسى -عليه السلام- قد ملئ قلبه رعباً من فرعون، وكان إذا رآه قال: أدراً بك في نحره، وأعوذ بك من شره، فرفع الله ما كان في قلب موسى -عليه السلام- وجعله في قلب فرعون، فكان إذا رآه بال كما يبول الحمار (1).

وقوله: ﴿فَلَا تَنكِحُوا أَبْهَنَانَ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: إلقاء العصا وجعلها حية تسعى وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء دليلاً قاطعاً واضحاً على قدرة الفاعل المختار، وصحة نبوة موسى؛ ولهذا قال: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أي: وقومه من الرؤساء والكبراء والأتباع، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ أي: خارجين عن طاعة الله مخالفين لدينه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (٣٣) وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مَوْلًى فَالْيَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيْدِينَا أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ كَمَا الْغَلِيظُونَ ﴿٣٥﴾.

لما أمره بالذهاب إلى فرعون، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ أي: إذا رأوني.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (211/6).

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾، وذلك أن موسى -عليه السلام- كان في لسانه لثغة بسبب ما كان تناول تلك الجمرة، حين خيّر بينها وبين والدرّة فوضعها على لسانه فحصل فيه شدة في التعبير؛ ولهذا قال: ﴿وَأَحْلَلْتُ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ (1) الآية.

وقوله: ﴿رَدَّأَ﴾ أي: وزيراً ومعيناً ومقوياً لأمرى، ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ فيما أقوله وأخبر به عن الله؛ لأن خبر اثنين أوقع في النفوس من خبر واحد؛ ولهذا قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونُ﴾.

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله: ﴿رَدَّأَ يُصَدِّقُنِي﴾ أي: يبين لهم عني ما أكلهم به، فإنه يفهم عني ما لا يفهمون (2).

فقال الله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ أي: سنقوي أمرك، ونعز جانبك بأخيك يعني: هرون.

كما قال في آية أخرى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (3).

وقوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا﴾ أي: حجة قاهرة، ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا﴾ أي: لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكم بسبب إبلاغكما آيات الله، كما قال الله -تعالى- لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (4).

ووجه ابن جرير -رحمه الله- أن المعنى: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾، ثم يبتدئ فيقول: ﴿بِأَيِّتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ الْغَالِبُونَ﴾ تقديره: أنتما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا (5)، وهذا يعلم من التوجيه مع زيادة الاختصاص، والحصص

1- سورة طه، الآية 27.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (212/6).

3- سورة طه، الآية 36.

4- سورة المائدة، من الآية 67.

5- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (73/10).

فلا حاجة إلى هذا التقدير.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

أخبر تعالى: عن مجيء موسى وأخيه هارون -عليه السلام- إلى فرعون وملئه وعرضه ما آتاهما الله من المعجزات، على صدقهما في الدعوة. فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه، وأيقنوا أنه من عند الله عدلوا بكفرهم وبغيهم إلى العناد و انكارهم الحق، فقالوا: ﴿مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى﴾ أي: مفتعل مصنوع، وأرادوا معارضته بالحيلة والتسلط، فما تيسر لهم ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ يعنون: عبادة الله وحده أي: ما رأينا أحدا من آباءنا على هذا الدين، ولم نر الناس لا يشركون، فقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾ يعني: مني ومنكم، وسيفصل بيني وبينكم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: النصره والظفر والتأييد، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: المشركون بالله.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَحُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنَّا لآيُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَحُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

أخبر تعالى: عن طغيان فرعون وافتراءه في دعوى الإلهية لنفسه، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوهُ﴾<sup>(1)</sup>، وذلك لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية فأجابوه إلى ذلك بقله عقولهم وسخافة فهمهم؛ ولهذا قال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، فغضب الله عليه، وانتقم منه، فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿فَأَوْقَدِي يَهْمَنَّ﴾ أي: أمر وزيره هامان مدبر ملكه أن يوقد له على الطين ليتخذ له أجراً لبناء الصرح، وهو القصر المنيف الرفيع ﴿لَعَلِّي أَطْلِعُ إِلَهَ إِلَهٍ مُوسَى﴾ أي: أنظر إليه وأقف على حاله، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ أي: موسى ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: في زعمه أن للأرض والخلق إلهاً غيري، وذلك أنه أراد بهذا البناء أن يظهر لرعيته تكذيب موسى في دعواه إلهاً غير فرعون لا في أنه أرسله؛ لأنه لم يكن يعترف بوجود الصانع، فإنه قال: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(2)</sup>، قاله: ابن جرير<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿وَأَسْتَكْبِرُوهُ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: طغوا وتجبروا، وأكثروا في الأرض الفساد، واعتقدوا أنه لا قيامة ولا معاد، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾<sup>(4)</sup> ولهذا قال: ﴿فَأَخَذْتَهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ أي: أغرقناهم في البحر في صبيحة واحدة، فلم يبق منهم أحد ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: قادة.

﴿يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ﴾ أي: لمن سلك وراءهم مسلكهم، في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي: فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولاً بذل الآخرة.

1- سورة الزخرف، من الآية 54.

2- سورة الشعراء، من الآية 23.

3- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (74/10).

4- سورة الفجر، الآية 13.

وقوله: ﴿وَاتَّبَعْتَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: وشرع الله لعنتهم على لسان المؤمنين كما أنهم في الدنيا ملعونون على لسان الأنبياء وأتباعهم كذلك.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: المشهورين بسواد الوجوه وزرقة العيون المبعدين، المهلكين في جهنم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٣).

أخبر تعالى: عما أنعم به على موسى الكليم -عليه السلام- من إنزال التوراة عليه بعدما أهلك فرعون وملاه.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ يعني: أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامة، بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين.

كما قال أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال: ما أهلك الله قوماً بعداب من السماء ولا من الأرض بعدما أنزلت التوراة على وجه الأرض، غير القرية التي مسخوها قردة، ألم تر أن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم هكذا مرفوعاً على أبي سعيد، ورواه البزار موقوفاً<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي: من العمى والغي، ﴿وَهُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: إرشادا إلى الأعمال الصالحة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: لكي يتذكروا ويهتدوا بسببه.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٤٤) ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2981/9). جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (76/10). كشف الأستار عن زوائد البزار: لنور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت807هـ) تح: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1399هـ-1979م، رقم الحديث (2248) (64/3).

﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾.

نبه تعالى: على برهان نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم- حيث أخبر بالغيوب الماضية، خبراً كأن سامعه شاهد رآه لما تقدم، هو رجل أمي لم يقرأ شيئاً من الكتب، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئاً من ذلك، كما أنه لما أخبره عن مريم وما كان من أمرها، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ (1) أي: ما كنت حاضرًا لذلك ولكن الله أوحاه إليك وهكذا قصص الأمم السالفة كما هي مبيّنة في مواضعها من القرآن.

وقال ها هنا بعدما أخبر عن قصة موسى من أولها إلى آخرها: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ أي: ما كنت يا محمد- صلى الله عليه وسلم- بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى -عليه السلام- من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي، ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك ولكن الله أوحى إليك ذلك، ليجعله حجة وبرهاناً على قرون قد تطاول عهدها ونسوا حجج الله عليهم، وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين.

وقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ أي: وما كنت مقيماً في أهل مدين ﴿تَنَلُّوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾، حين أخبرت عن نبيها شعيب، وما قال لقومه، وما ردوا عليه أي: ﴿وَلَنَكْنِتْنَا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أي: ولكن نحن أوحينا إليك ذلك وأرسلناك للناس رسولا.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ قال أبو هريرة - رضي الله عنه -: أي (نودوا يا أمة محمد - صلى الله عليه وسلم- أعطيتكم قبل أن تسألوني، وأجبتكم قبل

1- سورة آل عمران، من الآية 44.

أن تدعوني). رواه النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم<sup>(1)</sup>.  
وقال مقاتل بن حيان<sup>(2)</sup> رحمه الله: أي: إذ نادينا أمتك في أصلاب آبائهم أن  
يؤمنوا بك إذا بعثت<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: ما كنت مشاهدًا لشيء من ذلك ولكن  
الله أوحاه إليك وأخبرك به، رحمة منه لك وبالعباد بإرسالك إليهم، ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا  
أَتَهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: لعلمهم يهتدون بما جنتهم به من الله  
تعالى.

﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا  
فَنُنَبِّئَ عَآئِنِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة و لينقطع  
عذرهم إذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم، فيحتجوا بأنه لم يأتهم رسول ولا نذير كما  
قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾<sup>(4)</sup>  
وغيرها من الآيات البينات في ذلك.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَّلَمَ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ  
مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾<sup>(٤٨)</sup> قُلْ فَآتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ  
مَنْهُمَا أَتَّبَعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ  
مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ  
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

1- السنن الكبرى للنسائي. باب: سورة القصص بسم الله الرحمن الرحيم. رقم الحديث (11318) (209/10).

جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (78/10). تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2983/9).

2- هو: مقاتل بن حيان النبطي أبو بسطام البلخي الخراز مولى بكر ابن وائل روى عن: عمته عمرة وسعيد بن  
المسيب وأبي بردة بن أبي موسى وعكرمة وجماعة. وعنه: أخوه مصعب بن حيان وعلقمة بن مرثد  
وشبيب بن عبد الملك وآخرون. قال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين: ثقة. مات قبل الخمسين ومائة  
تقريباً. ينظر: تهذيب التهذيب (277/10-279).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (216/6).

4- سورة النساء، من الآية 165.

أخبر تعالى: عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم، لاحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول، إنهم لما جاءهم الحق على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - عناداً وكفراً تعنتاً.

﴿لَوْلَا أَوْتِي مَا أَوْتِي مُوسَى﴾ أي: من الآيات الكثيرة التسع، وغيرها من المعجزات الباهرات التي أجراها الله علي يد موسى -عليه السلام- حجة وبراهين على المخالفين ومع هذا لم ينجع في فرعون وملئه، بل كفروا بموسى وأخيه -عليهما السلام- ولهذا: ﴿أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْتِي مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ أي: أولم يكفر الخلائق بما أوتي موسى -عليه السلام- من الآيات العظيمة، ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ أي: تعاوننا ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ أي: بكل كافرون، ولشدة التصاحب والتلازم والمقارنة بين موسى وهارون، دلّ ذكر أحدهما على الآخر، كما قال الشاعر:

فَمَا أُدْرِي إِذَا يَمَمْتُ أَرْضًا      أريدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي (1)

أي: فما أدري أيليني الخير أو الشر.

قال مجاهد رحمه الله: أمرت اليهود قريشاً أن يقولوا لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ذلك فقال الله: ﴿أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْتِي مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ يعني: محمداً - صلى الله عليه وسلم - وموسى عليه السلام.

وعن الحسن رحمه الله: عيسى بدل موسى -عليه السلام- وهذا بعيد والأول

ظاهر (2)، وأما من قرأ ﴿سِحْرَانِ﴾ تنثية السحر (3).

1- البيت من الوافر للمتقّب العبدى العائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني عبد القيس، من ربيعة، وهو في ديوانه ص(212).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (218/6).

3- قرأ عاصم وحمزة و الكسائي وخلف ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ بغير ألف، وكسر السين. ينظر: المبسوط في القراءات العشر: أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر (المتوفى: 381هـ) تح: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية - دمشق - عام النشر: 1981م. (341/1).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد: يعني القرآن والتوراة يعني: صدق كل واحدٍ منهما الآخر<sup>(1)</sup>. واختاره ابن جرير رحمه الله. وقال قتادة رحمه الله: الإنجيل والقرآن<sup>(2)</sup>، وهو أيضاً بعيد، والظاهر على هذه القراءة أنهما التوراة والقرآن؛ لأنه قال بعده: ﴿قُلْ فَآتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ﴾، وكثيراً ما يقرن الله بين القرآن والتوراة، كما في قوله ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾<sup>(3)</sup> وغيره من الآيات البينات وقد علم بالضرورة أنه - تعالى - لم ينزل كتاباً فيما أنزل على أنبيائه المتقدمة أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم من التوراة التي قال الله - تعالى - فيها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾<sup>(4)</sup>. والإنجيل إنما نزل متمماً للتوراة ومُحَلِّلاً لبعض ما حُرِّمَ فيها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ فَآتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ أي: فإن لم يجيبوك فيما قلت لهم ولم يتبعوا الحق ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: بلا دليل ولا حجة ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: بغير حجة مأخوذة من كتاب الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾.

1- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (80/10).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (218/6).

3- سورة الأنعام، الآيات 91-92.

4- سورة المائدة، من الآية 44.

قال مجاهد رحمه الله: فصلنا لهم القول، وقيل: بينا لهم القول.  
قال قتادة: أخبرهم الله كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع ﴿لَعَلَّهُمْ  
يَنْذَرُونَ﴾ (1).

والضمير في لهم عائد إلى قريش، وهو ظاهر (2).  
ولكن قال رفاعة القرظي رضي الله عنه (3): نزلت هذه الآية في عشرة أنا  
أحدهم. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (4).

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢) وَإِذَا يُنذَرُوا قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ  
رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا  
نَبْنَعِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾.

أخبر تعالى: عن علماء أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن، كما قال تعالى:  
﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (5)، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ  
قَبْلِهِ﴾ الآية (6)، وقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً﴾ (7).

قال سعيد بن جبیر رحمه الله: نزلت قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ في سبعين  
من القسيسين بعثهم النجاشي، فلما قدموا على النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (219/6).

2- ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف  
الله الحسيني البخاري القنوجي عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري  
الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت - عام النشر: 1412 هـ - 1992م  
(131/10).

3- هو: رفاعة بن قرظة القرظي. وفي رواية الحضرمي، ينظر: أسد الغابة (370-369/1).

4- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (84/10). تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2988/9).

5- سورة البقرة، من الآية 121.

6- سورة الإسراء، من الآية 107.

7- سورة المائدة، من الآية 82.

عليهم: ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(1)</sup> حتى ختم السورة، فجعلوا يبكون وأسلموا، ونزلت فيهم هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿مُسْلِمِينَ﴾ أي: موحدين مخلصين لله مستجيبين له<sup>(2)</sup>.

قال الله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم بالثاني يؤتون أجرهم مرتين بإيمانهم بالرسول الأول ثم بالثاني ولهذا قال: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: على اتباع الحق؛ فإنَّ تجشُّم مثل هذا شديد على النفوس.

وفي الصحيحين عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطالها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتجوزها فله أجران)<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿وَيَذَرُونِ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ بمثله، ولكن يعفون ويصفحون.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: من الذي رزقهم الله من الحلال ينفقون على خلق الله في النفقات الواجبة على أهلهم وأقاربهم، والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات.

وقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ أي: لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم بل كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾<sup>(4)</sup>.

1- سورة يس الآيات 1-2.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/220).

3- صحيح مسلم، كتاب الإيمان. باب: وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام رقم الحديث (154) (1/134).

صحيح البخاري، كتاب العلم. باب: تعليم الرجل أمته وأهله. رقم الحديث (97) (1/31).

4- سورة الفرقان، من الآية 72.

﴿وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلْنَا﴾ أي: إذا سَفَه عليهم سَفِيهه، وكلمهم بما لا يليق بهم الجوابُ عنه أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح، ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب؛ ولهذا قال: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْنِئِ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا تُريد طَرِيقَ الجاهلين ولا نُحْبِئَهَا، ولا نجاهلكم لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه قاله الذين جاءوا من الحبشة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة، وكلموه وسألوه، فلما سمعوا القرآن أسلموا فلما قاموا عنه أعترض لهم أبو جهل<sup>(1)</sup> ونفر من قريش، سبوهم وسفهوا عليهم في إعراضهم عن النصرانية ودخولهم في الإسلام، فقالوا لهم في جوابهم: ﴿لَنَّا أَعْمَلْنَا﴾ الآية.

وقوله: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ ليس سلام التحية، بل سلام المتاركة أي: سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم والقبح.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن تَبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطُفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِنَ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

أي: إنك يا محمد - صلى الله عليه وسلم - ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ وليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، والله يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾<sup>(2)</sup>.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: بمن يستحق الهداية بمن يستحق الغواية.

1- هو: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أشد الناس عداوة للنبي - صلى الله عليه وسلم - في صدر الإسلام وأحد سادات قريش وأبطالها ودعاتها في الجاهلية. شهد واقعة بدر الكبرى مع المشركين، فكان من قتلها. ينظر: الأعلام للزركلي (87/5).

2- سورة البقرة، من الآية 272.

وفي الصحيحين: أنها نزلت في أبي طالب<sup>(1)</sup> عمّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد كان يحوطه وينصره، ويحبه حباً شديداً طبعياً لا شرعياً، فلما حضرتة الوفاة وحان أجله، دعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الإيمان فسبق القدر فيه، واختطف من يده، فاستمر على ما كان عليه الكفر، كما روى المسيب بن حزن - رضي الله عنه -<sup>(2)</sup> قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن المغيرة<sup>(3)</sup>، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله"، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾<sup>(4)</sup>/<sup>(5)</sup>.

وفي رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (يا عماء، قل: لا إله إلا الله، أشهد

1- هو: أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، عمّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شقيق أبيه، اشتهر بكنيته، واسمه عبد مناف على المشهور. ولد قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - بخمس وثلاثين سنة. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (196/7).

2- هو: المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، يكنى أبا سعيد. هاجر المسيب إلى المدينة مع أبيه حزن، وكان المسيب ممن بايع تحت الشجرة في قول. وقال مصعب: الذي لا يختلف أصحابنا فيه أن المسيب وأباه من مسلمة الفتح. وشهد اليرموك بالشام، روى عنه ابنه سعيد بن المسيب. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (401/4).

3- هو: عبد الله بن المغيرة وكنية المغيرة: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (296/3).

4- سورة التوبة، من الآية 113.

5- صحيح البخاري، كتاب الجنائز. باب: إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله. رقم الحديث (1360) (95/2). صحيح مسلم، كتاب الإيمان. باب: أول الإيمان قول لا إله إلا الله. رقم الحديث (24) (54/1).

لك بها يوم القيامة. فقال: لولا أن تُعَيِّرني قريش يقولون: ما حملة عليه إلا جَزَع الموت، لأقَررتُ بها عينك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية (1).

وقوله: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾: أخبر عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِن نَّبِيعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ أي: نخشى إن اتبعنا ما جنّت من الهدى، وخالفنا ما حولنا من أحياء العرب المشركين، أن يقصدونا بالأذى والمحاربة، و يتخطفونا أينما كنا، والاختطاف الانتزاع بسرعة يعني: يخرجونا من مكة.

فقال - تعالى - مجيباً لهم: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ يعني: هذا الذي اعتذروا به كذب؛ لأن الله جعلهم في بلد أمين، وحرّم معظم آمن منذ وُضع، فكيف يكون هذا الحرم آمناً في كفرهم، ولا يكون آمناً لهم وقد أسلموا وتابَعوا الحق.

وقوله: ﴿يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من سائر الثمار مما حوله من الطائف (2) وغيره، وكذلك المتاجر والأمتعة ﴿رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: من عندنا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ فهذا قالوا ما قالوا.

وفي النسائي: (أن قائل هذا القول: هو الحارث بن عامر بن نوفل (3) (4).

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَلَئِكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيْلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَلْتَمِسُ عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا

1- صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب: أول الإيمان قول لا إله إلا الله. رقم الحديث (25) (55/1). سنن

الترمذي، باب: ومن سورة القصص. رقم الحديث (3188) (341/5).

2- الطائف: بعد الألف همزة في صورة الباء ثم فاء: وهو في الإقليم الثاني، وعرضها إحدى وعشرون درجة وبالطائف عقبة وهي مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة. ينظر: معجم البلدان (8/4).

3- هو: الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قال يوم بدر: [من

لقي الحارث فليدعه لأيتام بني نوفل]. وفيه نزلت: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾. ولكنه كان

أعان على نقض الصحيفة. فقتل يوم بدر كافراً. قتله خبيب ابن إساف. ينظر: أنساب الأشراف، لأحمد بن

يحيى بن جابر بن داوود البلاذري، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر بيروت، ط1، (154/1).

4- سنن النسائي الكبرى. باب: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن نَّبِيعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: 57].

رقم الحديث (11321)(210/10).

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (٥٩).

هذا تعريض بأهل مكة في قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بِطَرْتِ مَعِيشَتِهَا﴾ أي: طغت وكفرت نعمة الله، فيما أنعم به عليهم من الأرزاق، فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام، ﴿فَلَيْكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا﴾ ﴿سَكُونًا﴾ ﴿قَلِيْلًا﴾ ولم تعمر وبقيت خربة.

وقوله: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾. عن ابن مسعود- رضي الله عنه - أنه سمع كعباً- رضي الله عنه - يقول لعمر رضي الله عنه: إن سليمان -عليه السلام- قال للهامة يعني: البومة ما لك لا تأكلين الزرع؟ قالت: لأنه أخرج آدم بسببه من الجنة، قال: فما لك لا تشربين الماء؟ قالت: لأن الله أغرق قوم نوح به، قال: فما لك لا تأوين إلا إلى الخراب؟ قالت: لأنه ميراث رسول الله -عليه السلام- ثم تلا ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (1).

أخبر تعالى: عن عدله، وأنه لا يهلك أحداً ظالماً له، وإنما يهلك من أهلك بعد قيام الحجة عليهم، و قال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ﴾، وهي مكة (2).  
﴿يَسْأَلُوا عَلَيْهِمْ أَن يَنْزِلْ بِهِمْ﴾ أي: بأن العذاب نازلٌ بهم إن لم يؤمنوا.  
وقيل: أي: في أصلها وعظيمتها، كأمهات الرساتيق والأقاليم. حكاه الزمخشري (3) وغيره (4).

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (223/6).

2- مكة هي: بيت الله الحرام قال بطليموس: طولها من جهة المغرب ثمان وسبعون درجة وعرضها ثلاث وعشرون درجة وقيل إحدى وعشرون تحت نقطة السرطان طالعتها الثريا بيت حياتها الثور وهي في الإقليم الثاني. ينظر: معجم البلدان (181/5).

3- هو: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان وصنف التصانيف البديعة: منها "الكشاف" في تفسير القرآن العزيز لم يصنف قبله مثله و"المحاجة بالمسائل النحوية" وغيرها. ينظر: وفيات الأعيان أبناء الزمان لابن خلكان (173-168/5).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (223/6).

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَّا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيْقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾.

أخبر تعالى: عن حقارة الدنيا، وما فيها من زينتها وزهرتها الفانية بالنسبة إلى ما أعد الله لعباده الصالحين في العقبى من النعيم المقيم.

كما قال: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾<sup>(1)</sup>، وقال: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ

لِلْآبِرَارِ﴾<sup>(2)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والله ما الدنيا في الآخرة، إلا مثلما يجعل أحدكم إصبعة في اليم، فلينظر: بم يرجع). رواه مسلم<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة.

وقوله: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَّا حَسَنًا﴾ أي: أفمن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح أعماله من الثواب الذي هو صائر إليه لا محالة، كمن هو كافر مكذب بقاء الله ووعدده ووعدده، فهو ممتع في الحياة الدنيا أياماً قلائل، ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أي: المعذبين.

والآية عامة، في أهل الجنة وأهل النار وهذا كما أخبر تعالى عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه، وهو في الدرجات وذلك في الدركات بقوله: ﴿وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾<sup>(4)</sup>.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ

1- سورة النحل، من الآية 96.

2- سورة آل عمران، من الآية 198.

3- صحيح مسلم. كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم الحديث (2858) (2193/4).

4- سورة الصافات، الآية 57.

الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا  
فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾.

أخبر تعالى: عما يوبخ به الكفار المشركين يوم القيامة، حيث يناديهم فيقول:  
﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ يعني: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا، من الأصنام والأنداد  
هل ينصرونكم أو ينتصرون، وهذا على وجه التهكم و التقرير.

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: وجب عليهم العذاب، يعني: من  
الشياطين والمردّة والدعاة إلى الكفر، ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي:  
دعوناهم إلى الغي وهم الأتباع، أضلناهم كما ضلنا، فشهدوا عليهم أنهم أغووهم  
فاتبعوهم، ثم تبرؤوا من عبادتهم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ  
اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ الآية<sup>(1)</sup>. وغيره من الآيات.

وقوله: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ أي: فودوا حين عاينوا العذاب لو أنهم كانوا  
يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾: النداء الأول عن سؤال  
التوحيد وفيه إثبات السؤال أي: ماذا جوابكم للمرسلين؟ وكيف حالكم معهم؟ وهذا  
كما يُسأل العبد في قبره: مَنْ رَبِّكَ؟ وَمَنْ نَبِيِّكَ؟ وما دينك؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا  
إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأما الكافر فيقول: هاه.. هاه.. لا أدري؛  
ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت؛ لأن مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي  
الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

وقال مجاهد رحمه الله: فعميت عليهم الحجج، فهم لا يتساءلون بالأنساب<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ أي: في الدنيا، ﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ أي:  
يوم القيامة، فعسى من الله موجبة، فإن هذا واقع بفضل الله ومنه لا محالة.

1- سورة البقرة، من الآية 166.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/225).

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾.

أخبر الله تعالى: أنه المنفرد بالخلق والاختيار، وأنه ليس له في ذلك منازع فقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وقوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ نفي على أصح القولين، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (1). أي: ليس إليهم الاختيار، وليس لهم أن يختاروا على الله. وقد اختار ابن جرير رحمه الله: أن ﴿مَا﴾ بمعنى "الذي"، أي: ويختار الله الذي لهم فيه خيرة (2).

واحتج المعتزلة (3) على وجوب مراعاة الأصلاح، والصحيح الأول. كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره: فإن المقام من بيان انفراده تعالى بالخلق والاختيار وأنه لا نظير له في ذلك ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً (4). ثم قال: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: ما تكتمه الضمائر وما ينطوي عليه السرائر، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق.

1- سورة الأحزاب، من الآية 36.

2- جامع البيان وتأويل القرآن للطبري (10 / 95).

3- المعتزلة: هي: إحدى الفرق الكلامية الإسلامية، يقولون بنفي صفات الله تعالى ليس خالفاً لأفعال العبد، وإن القرآن محدث ومخلوق. وكان التوحيد في رأيهم أن الله تعالى عالم بذاته، وسما معتزلة؛ لأن أصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد كانا من تلاميذ الحسن البصري، ادعيا: "إن الفاسق ليس بمؤمن وليس بكافر" وجلسا في ناحية خاصة من المسجد، فقبل عنهما: إنهما اعتزلا حلقة الحسن البصري؛ فسموا معتزلة. ينظر: التحف الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية: يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله، أبو زكرياء الشاوي الملياني الجزائري المالكي، مطبعة السعادة بمصر (68/1).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (226/6).

وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو المنفرد بالإلهية، فلا معبود سواه ﴿لَهُ الْحَمْدُ﴾ في جميع ما يفعله وهو المحمود عليه، بعدله وحكمته ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ أي: الذي لا معقب له، لقهرة وغلبته، ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ أي: جميعكم يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٧٢) ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٣).

قد من الله على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار، اللذين لا قوام لهم بدونهما. وبين أنه لو جعل الليل دائماً عليهم سرمداً إلى يوم القيامة، لأضرّ ذلك بهم، ولسئمته النفوس؛ ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾ أي: تبصرون به وتستأنسون بسببه، ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾.

ثم أخبر: أنه لو جعل النهار سرمداً دائماً مستمراً إلى يوم القيامة، لأضرّ بهم ذلك وأتعبت الأبدان وكثرت الحركات؛ ولهذا قال: ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ أي: تستريحون من حركاتكم وأشغالكم.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: بكم ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: خلق هذا وهذا ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي: في الليل، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: في النهار بالأسفار والرحال وهذا من باب اللف والنشر.

وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار، أو بالنهار استدركه بالليل.

﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٧٤) ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٧٥).

وهذا أيضا تقريع وتوبيخ، يناديهم الرب - تعالى - على رؤوس الأشهاد فيقول: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي: في الدار الدنيا. ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: رسولا.

﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: على صحة ما ادعيتموه من أن الله شركاء ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: لا إله غيره، فلم ينطقوا ولم يجيبوا جوابا، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَأْكَانُهُمْ يَفْتَوتُونَ﴾ أي: ذهبوا فلم ينفعوهم.

﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن قارون<sup>(1)</sup> كان ابن عم موسى - عليه السلام -<sup>(2)</sup>.

وهكذا عن أكبر التابعين.

قال ابن جريج رحمه الله: هو قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى بن عمران بن قاهث<sup>(3)</sup>.

وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة، ولكن نافق كما نافق السامري<sup>(4)</sup> فأهلكه البغي لكثرة ماله، وقيل: زاد في ثيابه شبرا ترفعا على قومه.

وقوله: ﴿وَأَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُوبِ﴾ أي: الأموال ﴿مَّا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ﴾ أي: لثقل حملها ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ أي: بالقيام من الناس ذوي القوة لكثرتها.

1- هو: قارون بن يصهر بن قاهث وكان قارون ابن عم موسى، الكليلة. ينظر: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير الطبري (312/1).

2- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (414).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (227/6).

4- السامري، هو: موسى بن ظفر. ينظر: تاريخ الطبري (299/1).

قال خَيْثَمَةَ رحمه الله: كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود، كل مفتاح مثل الأصبع كل منها على خزانة واحدة، فإذا ركب حُمِلت على ستين بغلا أغر محجلا. وقيل: غير ذلك والله أعلم (1).

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾ أي: وعظه فيما هو فيه صالح قومه، فقالوا: على سبيل النصح والإرشاد لا تفرح بما أنت فيه، أي: لا تغتر ولا تبطر بما لك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي: المرحين، والأشرين البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم.

وقوله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل، في طاعة ربك وأصرفه مصارف الحق.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والمسكن والملابس والمناكح، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، (فآت كل ذي حق حقه). هكذا في الحديث الصحيح (2).

﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في الأرض، وتسيء إلى خلق الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧٨).

أخبر تعالى: عن جواب قارون لقومه، حين نصحوه بقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي: أنا لا أفتقر إلى ما تقولون، فإن الله - تعالى - إنما أعطاني هذا المال

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (228/6).

2- صحيح مسلم. كتاب: الصيام. باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم رقم الحديث (1159)(813/2).

لعلمه أني أستحقه، ولمحبته لي، وهذا كقوله: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾<sup>(1)</sup> أي: على علم من الله بي.

وقيل: أنه أراد ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي: إنه كان يُعاني علم الكيمياء وهذا القول ضعيف؛ لأنه في نفسه علم باطل؛ لأن قلب الأعيان لا يقدر أحد عليها إلا الله، بل زور وظلال وإنما يقدرون أهله على الصبغ في صورة ظاهرة، اللون وهو تمويه، وترويح للزيف ودغل ولم يثبت بطريق شرعي صحته وجوازه مع أحد من الناس فأما ما يجريه الله سبحانه من خرق العوائد على يدي بعض الأولياء من قلب بعض الأعيان ذهباً أو فضة أو نحو ذلك، فهذا أمر لا ينكره أهل الحق ولا يرده مسلم، فإنما هو عن مشيئة الله، واختياره وفعله<sup>(2)</sup>.

كما روي عن حيوة بن شريح المصري<sup>(3)</sup> - رحمه الله - أنه سأله سائل فلم يكن عنده ما يعطيه، ورأى احتياجه، فأخذ حصاة من الأرض فأجالها في كفه، ثم ألقاها إلى ذلك السائل فإذا هي ذهب أحمر<sup>(4)</sup>. والأحاديث والآثار في هذا كثيرة<sup>(5)</sup>.

وقال بعضهم: إن قارون كان يعلم الاسم الأعظم، فدعا الله به، فتمول بسببه والصحيح المعنى الأول؛ ولهذا قال الله - تعالى - راداً عليه فيما ادعاه من اعتناء الله به فيما أعطاه الله من المال ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ أي: قد كان أكثر منه مالاً وما كان ذلك عن محبة من له وقد

1- سورة الزمر، من الآية 49.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (228/6).

3- هو: حيوة بن شريح بن صفوان بن مالك التجيبي أبو زرعة المصري الفقيه الزاهد. روى عن: أبي هانئ حميد بن هانئ وشرحبيل بن شريك المعافري وجماعة. وعنه: الليث وابن لهيعة ونافع بن يزيد وابن وهب وابن المبارك وغيرهم. وقال ابن سعد: مات في آخر خلافة أبي جعفر، وكان ثقة. ينظر: تهذيب التهذيب (70-69/3).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (229/6).

5- منها (كان مستجاب الدعوة يقال إن الحصاة كانت تتحول في يده ثمرة بدعائه). ينظر: التفات محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار الفكر الطبعة الأولى، 1395-1975. تح: السيد شرف الدين أحمد. (247/6).

أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لكثرة ذنوبهم.

وقال ابن زيد رحمه الله: أي: لولا رضا الله عني، ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال، وقرأ الآية (1).

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قَالَ الَّذِي يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِي أُوتِيَ الْعِلْمَ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾.

أخبر تعالى: عن قارون إنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة وتجميل باهر، مع خدمه وحشمه، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخرفها تمنى واحد فواحد أن لو كان لهم مثل الذي أعطي، قالوا: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: ذو حظ وافر من الدنيا، فلما سمع علماءهم العاملون مقالتهم قالوا لهم: ﴿وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الآخرة خير مما ترون.

وقوله: ﴿وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

قال السدي رحمه الله: وما يلقى الجنة إلا الصابرون، فجعله من تنمة كلامهم (2).

قال ابن جرير رحمه الله: وما يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون في العقبى، وكأنه جعل ذلك مقطوعاً عما قبله، وجعله من كلام الله وإخباره بذلك (3).

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (229/6).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (230/6).

3- جامع البيان وتأويل القرآن للطبري (109/10).

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَابُنَا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

لما ذكر تعالى: اختيال قارون في زينته، وفخره على قومه، عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض، كما ثبت البخاري: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة)<sup>(1)</sup>، وقد ذكر أن هلاك قارون كان عن دعوة موسى -عليه السلام- واختلف في سببه.

فمن ابن عباس- رضي الله عنه - وأتباعه: أن قارون أعطى امرأة بغيًا مالا على أن تبتهت موسى -عليه السلام- بحضرة الملاء من بني إسرائيل، وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله فنقول: يا موسى إنك فعلت بي كذا وكذا، فلما قالت في الملاء ذلك لموسى -عليه السلام- أرعد من الفرق، وأقبل عليها بعدما صلى ركعتين، ثم قال: أنشدك بالله الذي فرق البحر و أنجاكم من فرعون، وفعل كذا وكذا، لما أخبرتني بالذي حملك على ما قلت؟ فقالت: أما إذ نشدتني فإن قارون أعطاني كذا وكذا، على أن أقول لك، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه، فعند ذلك خرّ موسى -عليه السلام- لله ساجداً وسأل الله في قارون فأوحى الله إليه أني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه، فأمر موسى الأرض أن تبتلعه وداره فكان ذلك<sup>(2)</sup>.

وقيل: إن قارون لما خرج على قومه في زينته تلك، وهو راكب مع أتباعه على البغال الشهب، وعليهم ثياب الأرجوان، فمر على مجلس موسى -عليه السلام- وهو يذكرهم بأيام الله، فلما رأى الناس قارون انصرفت وجوه الناس نحوه ينظرون إلى ما هو فيه فدعاه موسى -عليه السلام- وقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا موسى أما لئن كنت فضلت عليّ بالنبوة، فلقد فضلت عليك بالدنيا

1- صحيح البخاري. كتاب: اللباس. باب: من جر ثوبه من الخيلاء. رقم الحديث (5790)(141/7).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (331/6).

ولئن شئت لتخرجن فلتدعون عليّ وأدعو عليك، فخرج وخرج قارون في قومه فقال موسى عليه السلام: تدعو أو أدعو أنا؟ قال: بل أنا أدعو. فدعا قارون فلم يجب له ثم قال موسى عليه السلام: أدعو؟ قال: نعم، فقال موسى عليه السلام: اللهم، مُر الأرض فلتطيعني اليوم فأوحى الله إليه أني قد فعلت، فقال موسى عليه السلام: يا أرض، خذيهم، فأخذتهم إلى أقدامهم ثم قال: خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم، ثم إلى مناكبهم، ثم أقبلي بكنوزهم وأموالهم، قال: فأقبلت بها حتى نظروا إليها، ثم أشار موسى -عليه السلام- بيده فقال: اذهبوا من عقبهم فاستوت بهم الأرض. قال ابن عباس رضي الله عنه: خُسف بهم إلى الأرض السابعة<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: ما أغنى عنه ماله وما جمعه، ولا خدمه ولا حشمه، ولا دفعوا عنه نقم الله وعذابه، ولا كان هو في نفسه منتصراً لنفسه، فلا ناصر له لا من نفسه، ولا من غيره.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ أي: الذين قالوا ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾، لما خسف به أصبحوا يقولون: ﴿وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: ليس المال بديل على رضا الله عن صاحبه؛ فإن الله يعطي ويمنع ويضيق ويوسع ويخفض ويرفع، وله الحكمة البالغة.

وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ أي: لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا، كما خسف به، لأننا وددنا أن نكون مثله.

﴿وَيَكُنَّ لَهُ لَافِلِحُ الْكٰفِرُونَ﴾ أي: أنه كان كافراً، ولا يفلح الكافر عند الله، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وقد اختلف النحاة في معنى: ﴿وَيَكُنَّ﴾، قيل: معناه: "ويلك اعلم أن" فخففت فقيل: "ويكأن"، ودلّ فتح "أن" على حذف "اعلم"، و ضعّفه ابن جرير

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (331/6).

والظاهر أنه قوي ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة "ويكأن".  
والكتابة أمر وضعي اصطلاحى، والمرجع إلى اللفظ العربي<sup>(1)</sup>.

وقيل: معناها: "وي كأن"، ففصلها وجعل حرف "وي" للتعجب أو للتنبيه  
و"كأن" بمعنى "أظن وأحسب"، وقيل: معناه ويلك ألم تر أن، قاله: قتادة- رحمه الله  
- وقرره ابن جرير- رحمه الله- بأن المعنى ألم تر أن<sup>(2)</sup>.

كما قال الشاعر:

سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَيْتَانِي      قَلَّ مَالِي وَقَدْ جُنْتَمَانِي بِنُكْرٍ  
وَيَكْأُنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْ بَبٌ      وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشُ عَيْشَ ضُرٍّ<sup>(3)</sup>

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ﴾<sup>(٨٣)</sup> مَنْ  
جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾.

أخبر تعالى: أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم، جعلها لعباده المؤمنين  
المتواضعين.

﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ترفعا على خلق الله وتعاضما وتجبرا بهم، ولا  
فسادا فيهم.

كما قال عكرمة رحمه الله: العلو، التجبر والبغي والتكبر بغير حق، والفساد  
أخذ المال بغير حق وصرّفه كذلك<sup>(4)</sup>.

1- ينظر: معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تح: أحمد يوسف  
النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر -  
ط: الأولى. (312/2).

2- جامع البيان وتأويل القرآن للطبري (113/10).

3- البيتان من الخفيف لزيد بن عمر بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي عم عمر بن الخطاب، وهما في  
جامع البيان وتأويل القرآن للطبري (113/10).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (232/6).

وقوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: القيامة ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ أي: ثواب الله خير من حسنة العبد، فكيف والله يضاعفه أضعافاً كثيرة.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ الآية هذا مقام العدل، ولا يأتي من الكريم إلا الكرم.  
 ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٨٥) وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ (٨٦) وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)

أمر تعالى: رسوله - صلى الله عليه وسلم - بإبلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس، وأخبر أنه سيرده إلى معاد، وهو يوم القيامة، فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي: افترض عليك أداءه إلى الناس ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ كما قال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ (1).  
 وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إلى الموت. وقال الحسن: والله إن له معاداً يبعثه يوم القيامة ثم يدخله الجنة (2)، وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي: لرادك إلى مكة (3).

وفي غيره عنه: لرادك إلى مكة كما أخرجك منها، ووافقه جماعة (4).  
 قال الضحاك رضي الله عنه: لما خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - مهاجراً من مكة، فبلغ الجحفة، اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ

1- سورة المائدة، من الآية 109.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (233/6).

3- صحيح البخاري. كتاب: تفسير القرآن. باب: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصص: 85] الآية. رقم الحديث (4773)(113/6).

4- جامع البيان وتأويل القرآن للطبري (117/10).

الْقُرَّاءَ لِرَأْدِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴿١﴾ إلى مكة (1).

وهذا دال على أن هذه الآية نزلت بين مكة والمدينة وإن كانت السورة مكية.

وقيل: أي: إلى بيت المقدس (2).

وهذا يرجع إلى قول من فسر ذلك بيوم القيامة؛ لأن بيت المقدس هو أرض

المحشر والمنشر، والله أعلم.

وقوله: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ﴾ أي: قل يا محمد - صلى الله عليه وسلم -

لمن خالفك وكذبك من قومك من المشركين ربي أعلم بالمهتدي منكم، وستعلمون

لمن تكون عاقبة الدار ولمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى: مذكراً لنبيه - صلى الله عليه وسلم - نعمته العظيمة عليه

وعلى العباد إذ أرسله إليهم ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: ما كنت

تظن قبل إنزال الوحي إليك أن الوحي ينزل عليك ولكن، ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي:

ذاك رحمة الله بك وبالعباد بسببك فإذا منحك هذه النعمة العظيمة وخصك بها ﴿فَلَا

تَكُونَنَّ ظَهيراً لِّلْكَافِرِينَ﴾ أي: ولكن فارقهم وناذهم وخالفهم.

﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي: لا تتأثر لمخالفتهم لك وصددهم

الناس عن طريقك ولا تناله؛ فإن الله مُعَلِّمُ كَلِمَاتِكَ، ومؤيدٌ دينك، ومظهر رسالتك على سائر

الملل؛ ولهذا قال: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى عبادة ربك وحده لا شريك له ﴿وَلَا

تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ المراد به: أهل دينه أي: لا نظاهر الكفار ولا نوافقهم.

وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا تليق العبادة إلا له ولا

تتبعي الإلهية إلا لعظمته.

وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾: إخبار بأنه الدائم الباقي تموت الخلائق ولا

يموت، والمراد بالوجه الذات، أي: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ فإن إلا إياه.

1- ينظر: البرهان في علوم القرآن (197/1).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (233/6).

وقيل: أي: إلا ما أريد به وجهه، هكذا في البخاري<sup>(1)</sup>.

واستشهد له ابن جرير بقول الشاعر:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ الْعِبَادِ، إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ<sup>(2)</sup>

وهذا لا ينافي القول الأول، فإن مقتضاه أن كل الذوات فانية وهالكة وزائلة إلا ذاته - تعالى - فإنه الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء، وهذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه الله تعالى.

وكان ابن عمر - رضي الله عنهما -<sup>(3)</sup> إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي إلى خربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين، فيقول أين أهلك ثم يرجع إلى نفسه فيقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾<sup>(4)</sup>.

وقوله: ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ أي: الملك والتصرف، ولا معقب لحكمه، ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾

أي: يوم معادكم، فيجزيكم بأعمالكم.

والله أعلم. آخر تفسير سورة القصص.

1- صحيح البخاري ولفظه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]: "إِلَّا مَلِكُهُ، وَيُقَالُ: إِلَّا مَا أُرِيدُ بِهِ وَجْهُ

اللَّهِ" كتاب التفسير. باب: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ﴾ [الشعراء: 215]. (112/6).

2- البيت من البسيط، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي وهو بلا نسبة في تفسير الطبري (119/10).

3- هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي. أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وقد قيل: إن إسلامه قبل إسلام أبيه. ينظر: أسد الغابة (3/236).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/262).

## تفسير سورة العنكبوت

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَّكِبُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾

سبق الكلام في حروف أوائل السور في أول سورة البقرة (1). وقوله:

﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَّكِبُوا أَنْ يَقُولُوا﴾ استفهام إنكار، أي: أن الله سبحانه لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان.

كما جاء في الحديث الصحيح: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلي الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء) (2). وهذه الآية كقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (3)، وقال هاهنا: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه. والله يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة؛ ولهذا قال ابن عباس - رضي الله

عنهما - وغيره: في مثل ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ (4) إلا لنرى (5).

وذلك لأن الرؤية إنما تتعلق بالموجود، والعلم أعم من الرؤية، فإنه يتعلق

بالمعدوم والموجود.

1- ينظر: اللوحة رقم 9- أ/ من المخطوط.

2- مسند أحمد رقم الحديث (27079)(10/45).

3- سورة آل عمران، الآية 142.

4- سورة البقرة، من الآية 143.

5- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس (25).

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان، فإن من ورائهم من العقوبة والنكال ما هو أغلظ من هذا؛ ولهذا قال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُوتَنَا﴾ أي: يفوتونا ويعجزونا، فلا نقدر على الانتقام ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بنس ما يظنون.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ أي: في الدار الآخرة، وعمل الصالحات ورجاء ما عند الله من الثواب، فإن الله سيحقق له رجاءه ويوفيه عمله كاملاً موفوراً، فإن ذلك كائن لا محالة.

ولهذا قال: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ أي: ما وعد الله من الثواب والعقاب ﴿لَآتٍ﴾ لأنه سميع الدعاء عليم بالجزئيات.

وقوله: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾، أي: من عمل صالحاً من الجهاد وغيره فإنما يعود نفع عمله إلى نفسه، فإن الله غني عن أفعال العباد، ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل منهم، ما زاد ذلك في ملكه شيئاً. قال الحسن رحمه الله: إن الرجل ليجاهد، وما ضرب يوماً من الدهر بسيف<sup>(1)</sup>.

ثم أخبر: أنه مع غناه عن جميع الخلائق من إحسانه وبره بهم وإنه يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء، وهو أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، فيقبل القليل من الحسنات ويثيب عليها

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (238/6).

الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، ويجزي على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنْتَبِهُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾﴾.

أمر الله تعالى: عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده فإنهما سبب وجود الإنسان، ولهما إليه غاية الإحسان، فالأب بالإنفاق والوالدة بالإسفاق، وقال: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ أي: وإن بالغا وحرصا عليك أن تتابعهما في دين الشرك، فإياك وإياهما، لا تطعهما في ذلك، فإن مرجعكم إلي يوم القيامة، فأجزيك بإحسانك إليهما وصبرك على دينك، وأحشرك مع الصالحين لا في زمريتهما؛ ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ أي: زمريتهم، وهم الأنبياء والأولياء.

وقيل: في مدخلهم وهو الجنة<sup>(1)</sup>.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ ءَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

أخبر تعالى: عن صفات قوم من المكذبين، الذين يدعون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا، اعتقدوا أن هذا من نقمة الله، فارتدوا عن الإسلام، كما قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ أي: جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة.

1- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي  
تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ.  
هـ. (189/4).

أي: جزع من عذاب الناس وطاوعهم كما يطيع الله من يخاف عذابه، وهو المنافق إذا أُوذي في الله رجع عن الدين وكفر، ثم قال: ﴿وَلَيْنِ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: ولئن جاء نصرٌ قريبٌ من ربك يا محمد - صلى الله عليه وسلم - وفتحٌ ومغانمٌ ﴿لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا﴾ أي: نحن إخوانكم في الدين، ثم قال: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: أليس الله بأعلم بما في قلوبهم، وما تكنه ضمائرهم، وإن أظهروا لكم الموافقة.

وقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ أي: وليختبرن الله الناس بالضراء والسراء، ل يتميز هؤلاء من هؤلاء، ومن يطيع الله في الضراء والسراء، ومن لا يطيعه إلا في حظ نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (1).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٢) ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْفَيْصَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١٣).

أخبر تعالى: عن كفار قريش أنهم قالوا للمؤمنين: ارجعوا عن دينكم إلى الشرك واثامكم علينا وفي رقابنا، إن كانت لكم آثام في ذلك. كما يقول القائل: "افعل هذا وخطيئتك علي" (2).

قال الله تكذيباً لهم: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: فيما قالوه: إنهم يتحملوا عن أولئك خطاياهم، فإنه لا يحمل أحد وزر أحد، ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ (3).

1- سورة محمد - صلى الله عليه وسلم - الآية 31.

2- لم أقف عليه.

3- سورة فاطر، من الآية 18.

وقوله: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أُنْفُسَهُمْ وَأَثْقَالَ مَعَ أَنْفُسِهِمْ﴾ إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلال أنهم يوم القيامة يحملون أوزار أنفسهم، وأوزاراً آخر بسبب ما أضلوا من الناس، من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئاً.

كما في الصحيح: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من اتبعه إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجرهم شيئاً)<sup>(1)</sup>.

وفيه أيضاً: (ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سنّ القتل)<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿وَلَيْسَ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: يكذبون ويخترقون من البهتان.

وعن معاذ - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معاذ، إن المؤمن يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه، حتى عن كحل عينيه، وعن فتات الطينة بإصبعيه، فلا ألفينك تأتي يوم القيامة وأحد أسعد بما آتاك الله منك). رواه ابن أبي حاتم<sup>(3)</sup>.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾<sup>(14)</sup> فَأَجْنَبْنَهُ وَاصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

هذه تسليية من الله لرسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - أخبره عن نوح عليه السلام: أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم إلى الله متواتراً، وما زادهم ذلك إلا فراراً، وإعراضاً عن الحق وتكذيباً له وما آمن معه منهم إلا قليل؛ ولهذا قال: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: بعد تلك المدة غرقناهم بما كانوا مشركين، فأنت يا محمد لا تأسف على من لا يؤمن

1- صحيح مسلم. كتاب: العلم. باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة رقم الحديث (2674) (2060/4).

2- صحيح مسلم. كتاب: القسامة و المحاربين والقصاص والديات. باب: بيان إثم من سن القتل. رقم الحديث (1677) (1303/3).

3- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (3040/9).

بك من قومك، ولا تحزن عليهم؛ فإن الله يهدي مَنْ يشاء ويضل مَنْ يشاء، وأنه سيظهرك وينصرك ويؤيدك، ويخذل عدوك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعث نوح وهو ابن أربعين سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان ستين عاماً، حتى كثر الناس وفشوا. وهذا هو الصواب (1).

وقيل: غير ذلك، والله أعلم (2).

وقوله: ﴿فَأَجِينَنَّهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ﴾ أي: الذين آمنوا بنوح -عليه السلام- كما سبق مبسوطاً في سورة "هود" (3).

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: وجعلنا تلك السفينة باقية، إما عينها كما قال قتادة رحمه الله: بقيت إلى أول الإسلام على الجودي، أو نوعها جعله الله للناس تذكرة لنعمه على الخلق، كيف نجاهم من الطوفان، كما قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ الآية (4).

قال ابن جرير رحمه الله: لو قيل: إن الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ عائد إلى العقوبة لكان وجهاً، والله أعلم (5).

﴿وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾  
 إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ  
 أُمُورًا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (242/6).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (242/6).

3- ينظر: اللوحة /219-ب/ من المخطوط.

4- سورة يس، الآية 41.

5- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (128/10).

أخبر تعالى: عن خليله إبراهيم عليه السلام: أنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له والتقوى والإخلاص له، وطلب الرزق منه، وتوحيده في الشكر فإنه المشكور على النعم، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ أي: أخلصوا له العبادة والخوف ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: إذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة.

ثم أخبر: أن الأصنام والأوثان التي يعبدونها، لا تضر ولا تنفع، وإنما اختلقتم أنتم لها أسماء، فسميتموها آلهة، وإنما هي مخلوقة مثلكم. قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - وأتباعه<sup>(1)</sup>.

وقالوا: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي: تحتونها أصناماً، اختاره ابن جرير<sup>(2)</sup>.

وهي لا تملك لكم رزقاً ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾، وهذا أبلغ في الحصر كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(3)</sup>، أي: اطلبوا ﴿عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ لا عند غيره، فإن غيره لا يملك شيئاً، ﴿وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ أي: كلوا من رزقه واعبدوه وحده واشكروا على ما أنعم به عليكم، ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله. وقوله: ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا فَعَدَّ كَذِبَ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أي: وقد بلغكم ما حل بهم من العذاب في مخالفة الرسل، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ أي: إنما على الرسول أن يبلغكم ما أمره الله - تعالى - به من الرسالة، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فكونوا من أهل الهداية لتأمنوا من شر الغواية.

و هذا من تنمة كلام الخليل - عليه السلام - لقومه يحتج عليهم لإثبات المعاد

لقوله بعد هذا: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾<sup>(4)</sup>، وهو الظاهر من السياق.

1- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (418). تفسير القرآن الكريم لابن كثير (243/6).

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (129/10).

3- سورة الفاتحة، الآية 5.

4- سورة العنكبوت، من الآية 24.

قال قتادة: ذاك تسلية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحينئذ يكون منقطعاً عن الكلام السابق معترضاً بينه وبين قومه، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ (1).  
وبه قال ابن جرير (2) رحمه الله.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١٩) ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠) ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ (٢١) ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٢٢) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يُسَوِّئُ مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٣).

أخبر تعالى: أن الخليل - عليه السلام - أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه، بما يشاهدونه من أنفسهم من خلق الله إياهم، بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً، ثم وجدوا وصاروا أناساً كاملي الخلقة والذي بدأ هذا قادر على إعادته سهلٌ عليه يسير لديه ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله للأشياء السموات وما فيها من الكواكب وغيرها، والأرضين وما فيها من الرغائب، وغيرها، وكل ذلك دال على حدوثها، وعلى وجود صانعها الفاعل المختار، الذي يقول للشيء: كن فيكون؛ ولهذا قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: كيف خلقهم ابتداءً بنطفة ثم علقه ثم مضغه ثم يعيده في الآخرة، أي: يوم القيامة بخلقها نشأة ثانية، فكما لم يتعذر عليه أحداثها مبدئاً لا يتعذر عليه إنشاؤها معيداً؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ أي: هو الحاكم المتصرف، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فله الخلق والأمر لا يظلم مثقال ذرة، كما جاء في الحديث

1- تفسير القرآن الكريم لابن كثير (270/6).

2- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/131-132).

المرفوع: (إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم). رواه أهل السنن (1).

﴿وَالِيَهُ تَقْلُبُونَ﴾ أي: ترجعون يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ولا يعجزه أحد من أهل أرضه وسماؤه بل هو القاهر فوق عباده، وكل شيء خائف منه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه.

﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: ولي يمنعكم من عذابه ولا نصير يدفع عنكم شر عقابه.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ أي: جحدوها وكفروا بالمعاد.

﴿أُولَئِكَ يَسُؤُوا مَن رَّحِمَتِي﴾ أي: لا نصيب لهم فيها، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجع مؤلم في الآخرة.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ إِلَّا أَن قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّصِيرٍ ﴿٢٥﴾.

أخبر تعالى: عن قوم إبراهيم -عليه السلام- في كفرهم وعنادهم، ودفعهم الحق بالباطل أنه ما كان لهم جواب عن مقالة إبراهيم هذه، ﴿إِلَّا أَن قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ وذلك لأنهم قام عليهم البرهان، وتوجهت عليهم الحجة، فعدلوا إلى استعمال تغليب ملكهم، وقوته فـ ﴿قَالُوا أَبْنُو لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (2)، وذلك أنهم سعوا في جمع أحطاب كثيرة مدة طويلة، وحوطوا حولها، ثم أضرموا (3) فيها النار، فارتفع

1- سنن أبي داود باب: في القدر. رقم (4699) (225/4). سنن ابن ماجه. باب: في القدر. رقم (77) (29/1).

2- سورة الصافات، الآية 97.

3- أضرم النار أوقدها و أشعلها و الشيء جعله يضرم أو يضطرم. ينظر: المعجم الوسيط (539/1).

لها لهب إلى عَنَانَ السماء ثم عمدوا إلى إبراهيم -عليه السلام- فكتفوه وألقوه في كفة المنجنيق ثم قذفوه فيها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وخرج منها سالماً بعد ما مكث فيها أياماً ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إماماً، فإنه بذل نفسه للرحمن، وجسده للنيران، وسخا بولده للقربان وجعل ماله للضيفان؛ ولهذا أحبته جميع أهل الأديان.

وقوله: ﴿فَأَنجَنَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ أي: سلّمه الله منها، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: لدلالات قاطعات ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ أي: قال لقومه مقرّعا وموبخاً على سوء صنيعهم، في عبادتهم الأوثان، إنما اتخذتم هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا، صداقة وألفة منكم، ليعضكم بعضاً.

وهذا على قراءة من نصب ﴿مَوَدَّةً﴾، على المفعولية، وأما على قراءة الرفع فمعناه: إنما اتخذكم هذا يُحَصِّلَ لكم المودة في الدنيا فقط<sup>(1)</sup> ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ينعكس الحال، فيصير بَغْضًا وِعَادَاةً، فـ ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: يتجادون ما كان بينكم، و يلعن الأتباع المتبوعين، وبالعكس ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾<sup>(2)</sup>.  
﴿وَمَا أَوْلَانِكُمُ النَّارُ﴾ أي: ومصيركم ومرجعكم بعد عرصات<sup>(3)</sup> القيامة إلى النار، وما لكم من ناصر ينصركم، ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله، وهذا حال الكافرين، فأما المؤمنون فبخلاف ذلك.

1- قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب ﴿أَوْثَانٌ مَّوَدَّةً﴾ [25] رفع غير منون ﴿بَيْنِكُمْ﴾ بالخفض. وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر، وعاصم في رواية حماد ويحيى عن أبي بكر، ومحمد بن غالب عن الأعشى عن أبي بكر، وخلف ﴿مَوَدَّةً﴾ منصوبة منونة ﴿بَيْنِكُمْ﴾ بالنصب. محمد بن حبيب الشموني عن الأعشى وعبد الحميد بن صالح البرجمي عن أبي بكر ﴿مَوَدَّةً﴾ مرفوعة منونة ﴿بَيْنِكُمْ﴾ بالنصب. وقرأ حمزة وحفص عن عاصم، ﴿مَوَدَّةً﴾ منصوبة غير منونة ﴿بَيْنِكُمْ﴾ بالخفض. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (343/1-344).

2- سورة الأعراف، الآية 38.

3- "العَرَصَاتُ" هي: مثل سَجْدَةٍ وَسَجْدَاتٍ، وقال أبو منصور الثعالبي في كتاب فقه اللغة: كل بقعة ليس فيها بناء فهي "عَرِصَةٌ". ينظر: المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ (1-208).

كما قالت أم هانئ<sup>(1)</sup> رضي الله عنها- قالت: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله- تعالى- يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد، ثم ينادي مناد من تحت العرش: يا أهل التوحيد، فيشرئبون أي: يرفعون رؤوسهم، ثم ينادي: يا أهل التوحيد ثم ينادي الثالثة: يا أهل التوحيد، إن الله قد عفا عنكم" قال: "فيقول الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلمات الدنيا- يعني المظالم- ثم ينادي: يا أهل التوحيد، ليعفو بعضهم عن بعض وعلى الله الثواب). رواه ابن أبي حاتم<sup>(2)</sup>.

﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ آجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

أخبر تعالى: عن إبراهيم عليه السلام: أنه آمن له لوط -عليه السلام- يقال: إنه ابن أخيه كما سبق ولم يؤمن به من قومه سواه، وسارة امرأة إبراهيم -عليه السلام- أسلمت قبله لقول إبراهيم لسارة في قصة مرورهما على الجبار: ليس على وجه الأرض، أحد مؤمن غيري وغيرك.

وقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ أي: ﴿وَقَالَ﴾ لوط -عليه السلام- وهو الأقرب، وقيل: إبراهيم عليه السلام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وهو المكنى عنه بقوله: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ﴾ أي: من قومه. ثم أخبر: عنه بأنه اختار الهجرة من بين أظهرهم، ابتغاء إظهار

1- هي: أم هانئ بنت أبي طالب عبد مناف القرشية الهاشمية، بنت عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخت علي بن أبي طالب كانت تحت هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم المخزومي. وولدت أم هانئ لهبيرة عمرا، وبه كان يكنى هبيرة، وهانئا ويوسف وجعدة. أسلمت عام الفتح. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (404/6).

2- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (3049/9).

الدين والتمكن من ذلك؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: له العزة ولرسوله وللمؤمنين به، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله.

وقال قتادة رحمه الله: هاجرا معاً من كوثي، وهي من سواد الكوفة إلى الشام<sup>(1)</sup>.

وقد روى عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أنه: سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إنها ستكون هجرة بعد هجرة، فينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم)<sup>(2)</sup>.

وفي رواية: (فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، وتبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تقدّرهم نفس الرحمن، "وفي رواية روح الله" تحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم إذا باتوا، وتقبل معهم إذا قالوا). رواه أحمد عن أبي داود<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾<sup>(4)</sup> أي: إنه لما فارق قومه أقر الله عينه بوجود ولد صالح نبيٍّ وولد له ولد صالح نبي في حياة جده، وهما ولدا إبراهيم - عليه السلام - على معنى: أن ولد الولد بمنزلة الولد<sup>(5)</sup>.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ هذا شرف عظيم، مع اتخاذ الله إياه خليلاً وجعله للناس إماماً، أن جعل في ذريته النبوة والكتاب، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم - عليه السلام - إلا وهو من نسله فجميع أنبياء بني إسرائيل من سُلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليه السلام - حتى كان آخرهم عيسى ابن مريم -

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (246/6).

2- مسند أحمد رقم الحديث (6871) (455/11-456).

3- مسند أحمد رقم الحديث (6952)(541/11-542). سنن أبي داود. باب: في سكنى الشام. رقم الحديث (2482) (4/3).

4- سورة مريم، الآية 49.

5- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (323).

عليه السلام- قام في ملئهم مبشرا بالنبي العربي القرشي الهاشمي، وسيد ولد آدم، الذي اصطفاه الله من سلالة إسماعيل بن إبراهيم -عليه السلام-: ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه صلى الله عليه وسلم.

وقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: جمع الله له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة، فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهنيئ والمنزل الرَّحْب، والزوجة الحسنة الصالحة، والثناء الجميل، مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه، كما قال: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾<sup>(1)</sup>، أي: قام بجميع ما أمر به، وكمل طاعة ربه؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢٨)</sup> أَيِنَّكُمْ لَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(٢٩)</sup> قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٣٠)</sup>.

أخبر تعالى: عن لوط -عليه السلام- إنه أنكر على قومه سوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال، في إتيانهم من الذكران من العالمين، فلم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم، وكانوا مع هذا يكفرون بالله، مخالفين لرسوله. ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾، أي: يقطعون طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ أي: يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا ينكر بعضهم على بعض شيئاً من ذلك.

1- سورة النجم، الآية 37.

وقيل: كانوا يأتون بعضهم بعضا في الملاء، وقيل: يتضارطون ويتضاحكون وقيل: كانوا يناطحون بين الكباش، و يناقرون بين الديوك<sup>(1)</sup>.  
وعن أم هانئ- رضي الله عنها- قالت: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾، قال: (يحدفون أهل الطريق، ويسخرون منهم، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه). رواه أحمد والترمذي وحسنه<sup>(2)</sup>.

وقال مجاهد رحمه الله: ومن أفعالهم في ناديهم الصغير، ولعب الحمام والجلاهق<sup>(3)</sup> وحل أزرار القباء<sup>(4)(5)</sup>.

وقوله: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ إلى آخره، هذا من كفرهم واستهزائهم ولهذا استنصر عليهم نبي الله فقال: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾<sup>(٢١)</sup> قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ<sup>(٢٢)</sup> وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تُحْنِ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ<sup>(٢٣)</sup> إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ<sup>(٢٤)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (249/6).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (27383)(381/45). سنن الترمذي، باب: ومن سورة العنكبوت. رقم الحديث (3190)(5342).

3- الجلاهق كعلايط: البندق الذي يرمى به وأصله بالفارسية: جله وهي كبة غزل والكثير: جلها وبها سمي الحائك. ينظر: القاموس المحيط (1126/1).

4- القباء: ثوب يلبس فوق الثياب، أو القميص. ويتمنطق عليه. ينظر: القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب دار الفكر. دمشق - سورية. (295/1).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (249/6).

لما استتصر لوط -عليه السلام- الله عليهم، بعث لنصرته ملائكة فمروا على إبراهيم -عليه السلام- في هيئة الأضياف، فجاءهم بما ينبغي للضيف، فلما رأى أنه لا همة لهم إلى الطعام نكرهم، وأوجس منهم خيفة، فطفقوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة فتعجبت من ذلك، كما سبق في سورتي "هود" (1) و"الحجر" (2).

فلما جاءت إبراهيم -عليه السلام- بالبشرى، وأخبروه أنهم أرسلوا لهلاك قوم لوط أخذ يدافع لعلهم يمهلون، فيهدتون، ولما قالوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿ أَي: من الهالكين؛ لأنها كانت تداريهم على كفرهم وبغيهم ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط -عليه السلام- في صورة شباب حسان فلما رآهم ﴿سَاءَ بِهِمْ وضًاكٌ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ أَي: اهتمَّ بأمرهم، إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه، وإن لم يضيفهم خشي عليهم منهم، ولم يعلم بأمرهم في الساعة.

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُواكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ إِنَّا مُنْجُواكَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا ﴿ أَي: عذابًا ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ، وذلك أن جبريل -عليه السلام- اقتلع قراهم من قرار الأرض، ثم رفعها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم. وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد، وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة، وجعلهم عبرة إلى يوم التتاد وهم من أشد الناس عذابا يوم المعاد؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ أَي: واضحة، ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٣٧﴾.

1 - ينظر: اللوحة رقم /222-أ/ من المخطوط.

2 - ينظر: اللوحة رقم /248-أ/ من المخطوط.

هذا إخبار: عن شعيب -عليه السلام- أنه أُنذر قومه أهل مدين، فأمرهم بعبادة الله وحده وأن يخافوا بأس الله ونقمة وسطوته يوم القيامة، فقال: ﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾.

قال ابن جرير: أي: اخشوا اليوم الآخر<sup>(1)</sup>، ثم نهاهم عن العيث في الأرض بالفساد، وهو السعي فيها والبغي على أهلها، وذلك أنهم كانوا ينفصون المكيال والميزان، ويقطعون الطريق على الناس هذا مع كفرهم بالله ورسوله، فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها. وعذاب يوم الظلة الذي أزهاق الأرواح من مُستقرها، إنه كان عذاب يوم عظيم. كما سبق في سورة "الأعراف"<sup>(2)</sup>، وهود<sup>(3)</sup> والشعراء<sup>(4)</sup>.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمًا﴾ أي: ميتين، قد ألقى بعضهم على بعض.

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَانِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾<sup>(٣٨)</sup> وَقُرُونًا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾<sup>(٣٩)</sup> فَكَلَّمْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٤٠)</sup>.

أخبر تعالى: عن هؤلاء الأمم المكذبة كيف أهلكهم وتتوع في عذابهم والانتقام منهم، فعاد قوم هود -عليه السلام- كانوا يسكنون الأحقاف<sup>(5)</sup>، وهي قريبة

1- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (139/10).

2- ينظر: اللوحة رقم 166-ب/ من المخطوط.

3- ينظر: اللوحة رقم 222-ب/ من المخطوط.

4- ينظر: اللوحة رقم 350-ب/ من المخطوط.

5- الأحقاف: جمع حقف من الرمل. والعرب تسمي الرمل المعوج حقافا وأحقافا، واحقوقف الهلال والرمل إذا اعوج، فهذا هو الظاهر في لغتهم، وقد تعسف غيره. والأحقاف المذكور في الكتاب العزيز: واد بين عمان وأرض مهرة. ينظر: معجم البلدان (115/1).

من حضرموت بلاد اليمن<sup>(1)</sup>، وثمرود قوم صالح -عليه السلام- كانوا يسكنون الحجر<sup>(2)</sup> قريباً من وادي القرى<sup>(3)</sup>.

وكانت العرب تعرف مساكنهما جيداً، وتمر عليها كثيراً، وقارون صاحب الأموال الجزيلة، وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان الكافران بالله ورسوله. ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي: تجبروا وعتوا في الأرض ﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ أي: فانتين من عذابنا.

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: كانت عقوبته بما يناسبه، ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ الرياح التي تحمل الحصباء وهي: الحصا الصغار وهم عاد، وهم قالوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟ فجاءتهم ریح صرصر باردة شديدة البرد، عاتية شديدة الهبوب، تحمل عليهم حصباء الأرض فتلقيها عليهم، وتقلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم إلى عَنَانَ السماء ثم تتكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدنًا بلا رأس، كأنهم أعجاز نخل منقعر. ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾، وهم ثمود، قامت عليهم الحجة، من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة، كما سألوا فما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم وتهددوا صالحاً وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، وتوعدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم، فجاءتهم صيحة أخدمت الأصوات منهم والحركات.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾، وهو قارون الذي طغى وبغى وعتا ومشى في الأرض مرحاً، وتاه بنفسه، واعتقد أنه أفضل من غيره، فخسف الله به

1- اليَمَنُ: بالتحريك، قال الشرقي: إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها، قال ابن عباس: تفرقت العرب فمن تيامن منهم سميت اليمن، ويقال إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمت بنو يمن إلى اليمن وهي أيمن الأرض فسميت بذلك، وقيل: حدّ اليمن من وراء تثليث وما سامتها إلى صنعاء وما قاربها إلى حضرموت والشحر وعمان إلى عدن أبين وما يلي ذلك من التهائم والنجود، واليمن تجمع ذلك كله. ينظر: معجم البلدان (447/5).

2- الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، قال الإصطخري: الحجر قرية صغيرة قليلة السكان، وهو من وادي القرى على يوم بين جبال، وبها كانت منازل ثمود. ينظر: معجم البلدان (221/2).

3- وادي القرى هو: واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى. ينظر: معجم البلدان (345/5).

وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا﴾، وهو فرعون واتباعه، وجنوده عن آخرهم، أغرقوا في صبيحة واحدة، فلم ينج منهم مخبر، ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ أي: فيما فعل بهم ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: إنما فعل بهم جزاء وفاقاً بما كسبت أيديهم. وفي الآية، لف ونشر<sup>(1)</sup>، فإنه تعالى ذكر الأمم المكذبة، ثم قال: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ أي: من هؤلاء المذكورين.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤١)</sup> إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(٤٢)</sup> وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ<sup>(٤٣)</sup>.

هذا مثل ضربه الله - تعالى - للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون منهم نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه وذهابه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن تمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يغني عنه شيئاً، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المؤمن المسلم قلبه مع الله، وهو مع ذلك يحسن العمل مستمسك بالعروة الوثقى.

ثم قال - تعالى - متوعداً لمن عبد غيره: إنه - تعالى - يعلم ما هم عليه من الأعمال وما يشركون به من الأنداد، وسيجازيهم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم.

1- اللف والنشر: هو أن يذكر شيئاً أو أشياء، إما تفصيلاً بالنص على كل واحد، أو إجمالاً بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد ثم يذكر أشياء على عدد ذلك، كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم، ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به. ينظر: الموسوعة القرآنية، لجعفر بن شرف الدين (666/1).

وقال عمرو بن مرة<sup>(1)</sup> رحمه الله: ما مررت بأية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحنزني، لأنني سمعت الله - تعالى - يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤٤)</sup> أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾<sup>(٤٥)</sup>.

أخبر تعالى: عن قدرته العظيمة، أنه خلق السموات والأرض بالحق يعني: لا على وجه العبث واللعب، ﴿لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لدلالة واضحة على أنه - تعالى - هو المتفرد بالخلق والتدبير والإلهية، ثم قال تعالى: أمرا رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن، وهو قراءته وإبلاغه للناس:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

تعني: أن الصلاة تشتمل على شيئين، على ترك الفواحش والمنكرات يعني: إن مواظبتها تحمل على ترك ذلك.

وقد جاء في الحديث المرفوع عن ابن عباس رضي الله عنهما: (مَنْ لَمْ تَنْتَههِ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، لَمْ تَزِدْهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا). رواه الطبراني<sup>(4)</sup>(5).

1- هو: عمرو بن مرة بن عبس بن مالك بن الحارث بن مازن بن سعد بن مالك ابن رفاعة بن نصر بن مالك بن غطفان بن قيس بن جهينة الجهني، ثم أحد بني غطفان، ويقال: الأسدي، ويقال: الأزدي والأول أكثر. يكنى أبا مريم. روى عنه عيسى بن طلحة، وسبرة بن معبد، ومضرس بن عثمان، وغيرهم. وكان عمرو بن مرة مجالس معاذ بن جبل، ويتعلم منه القرآن وسنن الإسلام. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (767/3).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (280/6).

3- سورة طه، من الآية 15.

4- المعجم الكبير للطبراني (54/11).

5- هو: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني: ولد سنة ستين ومائتين وسمع في سنة ثلاث وسبعين بمداين الشام والحرمين واليمن ومصر وبغداد والكوفة والبصرة وأصبهان والجزيرة =

وتشتمل الصلاة أيضا على ذكر الله، وهو المطلوب الأكبر؛ ولهذا قال:  
﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: أعظم و أجل من كل طاعة، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ أي:  
يعلم جميع أفعالكم وأعمالكم.

وقال أبو العالية<sup>(1)</sup> رحمه الله: إن الصلاة فيها ثلاث خلال وكل صلاة لا  
يكون فيها شيء من هذه الخلال، فليست بصلاة، الإخلاص، والخشية، وذكر الله  
فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر القرآن يأمره  
وبينها<sup>(2)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: ولذكر الله لعباده أكبر، إذا ذكره من  
ذكرهم إياه<sup>(3)</sup>.

وعنه أيضا: ذكر الله عند طعامك وعند منامك، وعنه أيضا: ولذكر الله إيانا  
أكبر من ذكرنا إياه<sup>(4)</sup>. وبه قال كثيرون، واختاره ابن جرير<sup>(5)</sup>.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي  
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمَّ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٤٦)</sup>.

وغير ذلك، وحدث عن ألف شيخ أو يزيدون. حدث عنه: أبو خليفة الجمحي وابن عقدة وأحمد بن محمد  
الصحاف وهؤلاء من شيوخه وغيرهم. من مؤلفاته: السنة والمعجم الكبير و المعجم الأوسط والمعجم  
الصغير ومسد الشاميين. ينظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (85/3).

1- هو: أبو العالية: رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي البصري مولى امرأة بني رباح أدرك عصر النبي -  
صلى الله عليه وسلم - وأسلم بعد سنين من وفاته. روى عن: أبي بكر فيما قيل وعمر وعلي وابن مسعود  
وغيرهم وروى عنه قتادة وداود بن أبي هند وثابت البناني ومحمد بن واسع وغيرهم قال أحمد العجلي أبو  
العالية بصري تابعي ثقة وتوفي سنة تسعين في قول. ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (94-93/14).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (255/6).

3- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (422).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (255/6).

5- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (146/10).

قال قتادة - رحمه الله - وغير واحد: هذه الآية منسوخة بآية السيف، فلم يبق معهم مجادلة، وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف.

وقال آخرون: بل هي باقية أو محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين فيجادل بالتي هي أحسن، ليكون أنجع فيه<sup>(1)</sup>، كما قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾<sup>(2)</sup>، وهو اختيار ابن جرير<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي: مالوا وأعرضوا عن وجه الحجة، وعموا عن واضح المحجة، وعاندوا، فحينئذ ينتقل من الجدل إلى الجلال، ويقاثلون بما يردعهم ويمنعهم.

قال جابر<sup>(4)</sup> رضي الله عنه: أمرنا من خالف كتاب الله أن نضربه بالسيف. قال مجاهد رحمه الله: أهل الحرب، ومن امتنع منهم عن أداء الجزية<sup>(5)</sup>. وقوله: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، يعني: إذا أخبروا بما لا يعلم صدقه ولا كذبه، لا يكذبه لإمكان صدقه ولا نصدقه لإمكان كذبه، ولكن نؤمن به إيماناً اجمالياً معلقاً على شرط أن يكون منزلاً.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون). تفرّد به البخاري<sup>(6)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (256/6).

2- سورة النحل، من الآية 125.

3- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (150/10).

4- هو: جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة الأولى. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (492/1).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (256/6).

6- صحيح البخاري. كتاب: تفسير القرآن. باب: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: 136] رقم الحديث (4485) (20/6).

ثم ليعلم أن أكثر ما يُحدّثون به غالبه كذب وبهتان؛ لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل، وما أقل الصدق فيه، ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحاً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسوله - صلى الله عليه وسلم - أحدث تفرؤونه محضاً لم يُسب، وقد حدّثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله، وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم). رواه البخاري (1).

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۖ فَالَّذِينَ ءَانَيْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

قال ابن جرير رحمه الله: أي: كما أنزلنا الكتاب على من قبلك يا محمد من الرسل ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ هذا الكتاب. وهذا حسن جيد (2).

وقوله: ﴿فَالَّذِينَ ءَانَيْتَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: الذين أخذوه فتلوه حق تلاوته من علمائهم كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي (3)، وأشباهما، ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾. وقوله: ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾، يعني العرب من قريش وغيرهم، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾، أي: ما يكذب بها ويجحد حقها إلا من يستر الحق بالباطل.

1- صحيح البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ». رقم الحديث (7363) (111/9).

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (151/10).

3- هو: سلمان الفارسي أبو عبد الله ويعرف بسلمان الخير، مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسئل عن نسبه فقال: أنا سلمان بن الإسلام. أصله من فارس، من رامهرمز، وقيل إنه من جي، وهي مدينة أصفهان، وتوفي سنة خمس وثلاثين، في آخر خلافة عثمان، وقيل: أول سنة ست وثلاثين، وقيل: توفي في خلافة عمر والأول أكثر. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (265/2-269).

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾، أي: قد لبثت في قومك يا محمد - صلى الله عليه وسلم - من قبل أن تأتي بهذا القرآن مدة لا تقرأ كتاباً قط ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب وهو موصوف به في الكتب المتقدمة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الآية (1).  
 فقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا﴾ أي: تقرأ ﴿مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ لتأكيد النفي ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ تأكيد أيضاً، إذ خرج مخرج الغالب، كقوله: ﴿وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ (2).  
 وقوله: ﴿إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطُلُونَ﴾ أي: لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة قائلاً: إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة، ﴿وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (3).

وقوله: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَظِرُ﴾ أي: هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق، أمراً ونهياً وخبراً، يحفظه العلماء، يسرّه الله عليهم حفظاً وتلاوة وتفسيراً، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (4).  
 وفي الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن البشر وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة) (5).

1- سورة الأعراف، من الآية 157.

2- سورة الأنعام، من الآية 38.

3- سورة الفرقان، الآية 5.

4- سورة القمر، الآية 17.

5- صحيح البخاري. كتاب: فضائل القرآن. باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل. رقم الحديث (4981)

(182/6). صحيح مسلم. كتاب: الإيمان. باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -

إلى جميع الناس، ونسخ الممل بملته. رقم الحديث (152) (134/1).

وقيل: المراد بالدين أتوا العلم أهل الكتاب، أي: العلم بأنك ما كنت تتلوا من قبل هذا الكتاب كتاباً ولا تخطه بيمينك آياتِ بيناتٍ في صدور الذين أتوا العلم من أهل الكتاب (1)، هكذا نقل عن قتادة - رحمه الله - وغير واحدٍ، وأختره ابن جرير (2).

وقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ أي: ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها إلا الظالمون، أي: المعتدون المكابرون، الذين يعلمون الحق ويعرضون عنه.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾  
 ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَٰلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

أخبر تعالى: عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات يعنون ترشدهم إلى أن محمداً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما جاء صالح - عليه السلام - بناقته قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: إنما أمر ذلك إلى الله فإنه لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى سؤالكم، ولكنه يعلم منكم أنما قصدكم التعتت والامتحان فلا يجيبكم إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ (3) الآية.

وقوله: ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: إنما بعثت نذيراً لكم بين النذارة فعلي أني أبلغكم رسالة الله والله يهدي من يشاء.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (259/6).

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (153/10).

3- سورة الإسراء، من الآية 59.

ثم قال تعالى: مبينا كثرة جهلهم، وقلة عقلهم، حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد فيما جاءهم وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي هو أعظم من كل معجزة، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته، بل عن معارضة سورة من مثله، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أولم يكفهم أننا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم، الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبأ ما بعدهم، وحكم ما بينهم وأنت رجل أُمي لا تقرأ ولا تكتب، ولم تخالط أحداً من أهل الكتاب، فجننتهم بأخبار ما في الصحف الأولى، ببيان الصواب مما اختلفوا فيه، وبالحق الواضح البين الجلي.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً﴾ أي: إن في هذا القرآن بياناً للحق، وإزاحة للباطل ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ بما فيه حلول النقمات ونزول العقاب بالمكذابين والعاصين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

ثم قال: قل ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ أي: هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب، ويعلم ما أقول لكم من أنه أرسلني إليكم، فلو كنت كاذبا عليه لانتقم مني وإنما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به، ولهذا أيدني بالمعجزات الظاهرات. ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: لا تخفى عليه خافية.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: يوم معادهم سيجزيهم على ما فعلوا، ويقابلهم على ما صنعوا بي، تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل كذبوا رسل الله مع قيام الأدلة على صدقهم، وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل سيجازيهم على ذلك.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾  
 ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَعْشَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾.

أخبر تعالى: عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم كما ﴿قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الآية (1).

فقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لولا ما حتمَّ الله من تأخير العذاب إلى يوم القيامة ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ قريباً سريعاً كما استعجلوه.

ثم قال: ﴿وَلِيَأْيِنِّيهِمْ بَعْتَهُ﴾ أي: فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يستعجلونك بالعذاب وإنَّ جهنم لمحيطة بالكافرين ﴿أي: وهو واقع بهم لا محالة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿جهنم﴾ هو هذا البحر الأخضر، تنتشر الكواكب فيه وتكون فيه الشمس والقمر، ثم يستوقد فيكون جهنم (2).

وعن يعلى (3)، عن أبيه (4)، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (البحر هو جهنم). رواه أحمد وهو غريب (5).

ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، كقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ (6)، وقال: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ (7).

1- سورة الأنفال، من الآية 32.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (261/6).

3- هو: يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي الحنظلي أبو صفوان وقيل أبو خالد. وكان يعلى جوادا معروفا بالكرم، وشهد الجمل مع عائشة، ثم صار من أصحاب علي، وقتل معه بصفين. روى عنه: ابنه صفين، وعكرمة، ومجاهد وغيرهم. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (748-747/4).

4- هو: أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي الحنظلي. حليف بني نوفل بن عبد مناف، نسبه أبو عمر، وهو والد يعلى بن أمية الذي يقال له: يعلى بن منية، وهي أمة، ولأبيه أمية صحبة، ولابنه يعلى صحبة أيضا، وهو أشهر من أبيه. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (142/1).

5- مسند أحمد رقم الحديث (17960) (478/29).

6- سورة الأعراف، من الآية 41.

7- سورة الزمر، من الآية 16.

أي: إذا غشيه العذاب أحاطت بهم جهنم من جميع الجهات.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، تهديد وتوبيخ، وهذا عذاب معنوي على النفوس تقریباً.

﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبُدُونِ﴾ (٥٦) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٥٧) ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٥٨) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٥٩) ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٠).

أمر الله عباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي كان يؤدي فيه على إقامة الدين فيه إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم ولهذا قال: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبُدُونِ﴾، كما هاجر الضعفاء من مكة إلى أرض الحبشة<sup>(1)</sup>، لما ضاقت عليهم الحال، فوجدوا هناك خير أصحمة النجاشي<sup>(2)</sup> ملك الحبشة آواهم وأيدهم بنصره وجعلهم سيوماً ببلادهم. ثم بعد ذلك هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الباقيون إلى المدينة النبوية.

ثم قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: أينما كنتم يدرلكم الموت، فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم الله، فهو خير لكم، فإن الموت لا بد منه، ولا خلاص عنه ثم إلى الله المرجع والمآب، فَمَنْ كَانَ مَطِيعًا لَهُ جَازَاهُ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، ووافاه تمام الثواب؛ ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ أي:

1- بلاد الحبشة: هي أرض واسعة شمالها الخليج البربري، وجنوبها البر، وشرقها الزنج، وغربها البجة. ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد، للقرويني (20/1).

2- هو: أصحمة النجاشي ملك الحبشة، أسلم في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه وأخباره معهم ومع كفار قريش الذي طلبوا منه أن يسلم إليهم المسلمين مشهوره وتوفي ببلادهم قبل فتح مكة وصلى عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة وكبر عليه أربعاً، وأصحمة اسمه، والنجاشي لقب له ولملوك الحبشة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (119/1-120).

لنسكنهم منازل عاليةً في الجنة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ على اختلاف أصنافها من ماء وخمر، وعسل ولبن، يصرفونها ويجرونها حيث شاؤوا، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكتين فيها أبداً ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾، نعمت هذه الغرفُ أجراً على أعمال المؤمنين.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على دينهم، وهاجروا إلى الله، وناذبوا الأعداء وفارقوا الأهل والأقرباء، ابتغاء وجه الله، ورجاء ما عنده وتصديق مواعده.

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. أي: في أحوالهم كلها، في دينهم ودنياهم.

ثم أخبرهم تعالى: أن الرزق لا يختص ببقعة، بل رزقه - تعالى - عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار؛ ولهذا قال: ﴿وَكَايُنْ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي: لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تذخر شيئاً، ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: الله يقدر لها رزقها على ضعفها، وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض، والطيور في الهواء والحيتان في الماء قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ الآية (1).

وقد قال الشافعي (2)(3): (سافروا تصحوا وترزقوا وبه ترزقوا) (4)، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (سافروا تصحوا وتغنموا). رواه

1- سورة هود، من الآية 6.

2- هو: أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي الشيخ أبو عثمان القاضي. ومولده: سنة خمسين ومائة، وقد قيل: إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة، توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى، وقبره يزار بها بالقرب من المقطم، رضي الله عنه. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (71/2-73).

3- قال الشافعي: في جملة كلام له في الأوامر كقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (سافروا تصحوا وترزقوا) فإنما هذا دلالة لا حتم أن يسافر لطلب صحة ورزق. ينظر: الأم: الشافعي محمد بن إدريس دار المعرفة - بيروت - سنة النشر: 1410هـ/1990م. (5/153).

4- مسند أحمد رقم الحديث (8945) (14/507).

البيهقي (1).

وفي رواية أحمد رحمه الله: (سافروا تريحوا، وصوموا تصحوا، واغزوا تغموا) (2).

وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ أي: لأقوال عباده ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحركاتهم وسكناتهم.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (١١)  
 اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾.

يعني: ولئن سألت المشركين عن خالق السموات والأرض، ومسخر الشمس والقمر لتعرفون أن الله هو المستقل بخلق ذلك المسخر لهما، وأنه الخالق الرازق لعباده ومقدر آجالهم، واختلافها واختلاف أرزاقهم، ففاوت بينهم، فمنهم الغني والفقير، وهو العليم بما يصلح كلاً منهم، ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فإذا كان الأمر كذلك، فكيف يكذبون رسوله ويعاندون ويعبدون غير الله ولماذا يتوكلون على من سواه، فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته وكثيراً ما يقرر - تعالى - مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية. وقد كان المشركون يعترفون بذلك ولهذا قال: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: على أن خالق هذه الأشياء هو الله.

وقيل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على اعترافهم ولزوم الحجة عليهم (3).

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: ينكرون التوحيد مع اقرارهم بأنه خالق الأشياء.

1- السنن الكبرى للبيهقي (164/7).

2- ورد الحديث في مسند أحمد "سافروا تصحوا، واغزوا تستغنوا" عن أبي هريرة. رقم الحديث (8945) (507/14).

3- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (567/3).

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فُسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

أخبر تعالى: عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها، وغاية ما فيها لهو ولعب: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أي: الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد.

وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لآثروا ما يبقى على ما يفنى، ثم أخبر: عن المشركين أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له، فهلا يكون هذا منهم دائماً.

وقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّيْنَاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ (1).

وقال هاهنا: ﴿فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا﴾ قالوا: هذه اللام لام العاقبة؛ لأنهم لا يقصدون ذلك، ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم، وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم فهو لام التعليل، كما سبق في قوله: ﴿يَكُونُ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ (2).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَنْتَظِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِئَّةً يَوْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

1- سورة الإسراء، من الآية 67.

2- سورة القصص، من الآية 8.

لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾.

لقد من الله على قريش فيما أحلهم من حرمة، الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والبادي، ومن دخله كان آمناً، فهم في أمر عظيم، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم بعضاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ (1). والخطف والسلب.

وقوله: ﴿أَفِإِلْبَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ أي: أفكان شكرهم على هذه النعمة أن أشركوا به، وعبدوا معه الأصنام، و﴿بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (2) وكفروا برسوله - صلى الله عليه وسلم - وكذبوه وأخرجوه من بين أظهرهم؛ ولهذا سلبهم الله ما كان أنعم به عليهم، وقتل من قتل منهم ببدر، ثم صارت الدولة لله ولرسوله، ففتح الله على رسوله مكة، وأرغم أنافهم وأذل رقابهم.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا أحد أشد عقوبة ممن كذب على الله فقال: إن الله أوحى إليه شيء، ولم يوح إليه شيء. وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾، فالأول مفتر والثاني مكذب؛ ولهذا قال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ أي: أما لهؤلاء الكفرة المكذبة مأوى في جهنم.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ يعني: الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، أي: لنبصرنهم طرقنا في الدارين.

وقيل: أي: الذين يعملون بما يعلمون، نهديهم لما لا يعلمون.

1- سورة قريش، من الآية 4.

2- سورة إبراهيم، من الآية 28.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال عيسى بن مريم عليه السلام: إنما الإحسان أن تحسن إلى مَنْ أساء إليك، وليس الإحسان أن تحسن إلى مَنْ أحسن إليك<sup>(1)</sup>. أي: أنه - تعالى - معهم بالنصرة والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقابهم.

---

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/266).

## تفسير سورة الروم

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدَنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾.

نزلت هذه الآيات حين غلب سابور<sup>(1)</sup> ملك الفرس، على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة<sup>(2)</sup> وأقاصي بلاد الروم<sup>(3)</sup>، واضطر هرقل ملك الروم<sup>(4)</sup> حتى ألجأه إلى القسطنطينية<sup>(5)</sup>، وحاصره فيها مدة طويلة، ثم عادت الدولة لهرقل، كما سيأتي، وعن ابن عباس - رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿الْم غَلَبَتِ الرُّومُ فِي آدَنَى الْأَرْضِ﴾ قال: غَلَبَتْ وَغَلَبَتْ.

كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم؛ لأنهم أصحاب أوثان وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب، فذكره ذلك

- 1- هو: سابور ذو الاكتاف ابن هرمز بن نرسی بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير مملكا بوصية أبيه هرمز له بالملك. ينظر: تاريخ الطبري (490/1)
- 2- وإنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر. معجم البلدان (137/2).
- 3- جيل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم، واختلفوا في أصل نسبهم فقال قوم: إنهم من ولد روم بن سماح بن هريمان بن علقان بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وقال آخرون: إنهم من ولد روميل ابن الأصفر بن اليفز بن العيص بن إسحاق. ينظر: معجم البلدان (97/3).
- 4- هو: هرقل: الإمبراطور البيزنطي الذي بعث له النبي - صلى الله عليه وسلم - رسالة الإسلام، ينظر: تاريخ الطبري (436/1).
- 5- قسطنطينية: وهي دار ملكهم إلى اليوم واسمها اصطنبول وهي دار ملك الروم، بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح، عمرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه. ينظر: معجم البلدان (347/4).

لأبي بكر - رضي الله عنه - فذكره أبو بكر لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أما إنهم سيغلبون " فذكره أبو بكر لهم فقالوا: اجعل بيننا وبينكم أجلاً فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، فجعل أجلاً خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: " ألا جعلتها " أراه قال: " العشر".

قال ابن جبير رحمه الله: البضع ما دون العشر، ثم ظهرت الروم بعد، قال: فذلك قوله: ﴿الْمَ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي آدَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿الرَّحِيمُ﴾. رواه أحمد و الترمذي (1).

وفيه أنه: لما نزلت، ﴿الْمَ غَلِبَتِ الرُّومُ﴾، فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم؛ لأنهم وإياهم أهل كتاب وفي ذلك قول الله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ وكانت قريش تحب ظهور فارس؛ لأنهم وإياهم ليسوا أهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر يصيح في نواحي مكة: ﴿الْمَ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي آدَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾، فقال ناس من قريش لأبي بكر رضي الله عنه: فذاك بيننا وبينك، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى وذلك قبل تحريم الرهان (2) فارتهن أبو بكر والمشركون، وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر رضي الله عنه: كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسم بيننا وبينك وسطاً ننتهي إليه، فسموا بينهم ست سنين قال: فمضت ست السنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي

1- مسند أحمد. رقم الحديث (2495)(296/4). سنن الترمذي. باب: ومن سورة الروم. رقم الحديث (3193) (342/5).

2- مادة: (رهن) الرهن معروف قال ابن سيده الرهن ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه يقال رَهْنْتُ فلاناً داراً رهنّاً وارتهنه إذا أخذه رهنّاً والجمع رهون ورهان ورهن بضم الهاء. ينظر: لسان العرب (188/13).

بكر- رضي الله عنه - فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر- رضي الله عنه - تسمية ست سنين، فأسلم عند ذلك ناس كثير). هكذا ساقه الترمذي و قال: حديث حسن صحيح<sup>(1)</sup>. وفي تفسير سنيد بن داود<sup>(2)</sup>، قال عكرمة رحمه الله: ولقي المشركون أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنّ عليكم، فأنزل الله هذه الآيات فخرج أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - إلى الكفار فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا، ولا يُقرن الله أعينكم، فوالله ليظهرن الله الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا - صلى الله عليه وسلم - فقام إليه أبي بن خلف<sup>(3)</sup> فقال: كذبت يا أبا فضيل<sup>(4)</sup> فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: أناحُبُّكَ بعشر قلائص<sup>(5)</sup> مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمتُ عليك وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر - رضي الله عنه -

1- سنن الترمذي. باب: ومن سورة الروم. رقم الحديث (3194)(344/5).

2- هو: سنيد بن داود المصيصي أبو علي المحتسب واسمه الحسين وسنيد لقب، روى عن يوسف بن محمد ابن المنكدر وحماد بن زيد وهشيم وسفيان ومحمد ابني عيينة وابن المبارك، وغيرهم. روى عنه ابنه والناس. ينظر: تهذيب التهذيب (246/4).

3- هو الذي قتله النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم أحدٍ مبارزةً بحربةٍ، وأخذ سيفه ذا الفقار. وفي أبي بن خلفٍ نزلت: " وضربنا مثلاً ونسي خلقه "؛ فإنه جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - بعظم حائل، فجعل يفتنه وينفخه في الریح ويقول له: من يُحبي هذا يا محمد؟! ينظر: الاشتقاق لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد دار النشر: مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر - ط3، تح: عبد السلام محمد هارون. (128).

4- لم أفق على ترجمة له وإنما هي كنية أراد بها أبي بن خلف - لعنه الله- أبا بكر - رضي الله عنه- كما هو مفهوم من هذه الرواية. والله أعلم.

5- مادة: (ق ل ص): (قَلَصَ) الشَّيْءُ ارْتَفَعَ وَبَابُهُ جَلَسَ وَكَذَا (قَلَصَ تَقْلِيصًا) وَ (تَقَلَّصَ) كُلُّهُ بِمَعْنَى انْضَمَّ وَأَنْزَوَى. وَ (قَلَصَ) التَّوْبُ بَعْدَ الْغَسْلِ. وَشَفَّةٌ (قَالِصَةٌ) وَظِلُّ (قَالِصٌ) إِذَا نَقَصَ. وَ (الْقُلُوصُ) مِنَ النُّوقِ الشَّابَّةِ وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الْجَارِيَةِ مِنَ النِّسَاءِ وَجَمَعَهَا (قُلُوصٌ) بِضَمَّتَيْنِ وَ (قَلَائِصٌ) مِثْلُ قُدُومٍ وَقُدُمٍ وَقَدَائِمٍ وَجَمَعُ الْقُلُوصِ (قَلَائِصٌ). ينظر: مختار الصحاح 259/1.

إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره، فقال: (ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخَطَر ومادّة في الأجل، فخرج أبو بكر - رضي الله عنه - فلقي أبيّاً فقال: لعلك ندمت؟ فقال: لا فقال أزيدك في الخَطَر وأمادك في الأجل، فاجعلها مئة قلوص لمئة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت، فظهرت الروم على فارس قبل ذلك، فغلبهم المسلمون.

وفي رواية البراء<sup>(1)</sup> رضي الله عنه: فلم تمض تلك السنون حتى غلبت الروم فارس، وربطوا خيولهم بالمدائن<sup>(2)</sup>، وبنو الرومية<sup>(3)</sup>، فأخذ أبو بكر القلائص، فجاء بها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: (هذا التخييب، قال: تصدق به)<sup>(4)</sup>.

فقوله تعالى: ﴿آلَمَ غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ قد سبق البحث عن حروف في أوائل السور في أول سورة "البقرة"<sup>(5)</sup>، وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم وهم أبناء عم بني إسرائيل، ويقال لهم: بنو الأصفر، وكانوا على دين اليونان واليونان من سلالة يافث بن نوح، أبناء عم الترك، وكانوا يعبدون الكواكب السبعة السيارة، إلى أن يعني: إلى مبعث عيسى - عليه السلام - بنحو من ثلاثمئة سنة

1- هو: البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي يكنى أبا عمرو، وقيل: أبا عمارة، وهو أصح. رده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن بدر استصغره وأول مشاهده أحد، وقيل: الخندق، وغزا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربع عشرة غزوة. ومات أيام مصعب بن الزبير. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (362/1).

2- المدائن: كانت سبع مدن من بناء الأكاسرة على طرف دجلة، وقيل: إنها من بناء كسرى الخير أنوشروان. سكنها هو وملوك بني ساسان بعده إلى زمن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. وإنما اختار هذا الموضع للطافة هوائه وطيب تربته وعذوبة مائه؛ قال حمزة: هذا الموضع سمته العرب مدائن لأنها كانت سبع مدن بين كل واحدة والخرى مسافة، وآثارها إلى الآن باقية وهي: اسفابور، به اردشير، هنبو سابور، دوزبندان به از انديوخسرو، نونياباد، كردافاذ. ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد، للقرظيني (453/1).

3- هو: اسم إحدى مدائن كسرى السبع وهي المسماة رومية المدائن بنيت على مثال أنطاكية وبها قتل المنصور أبا مسلم الخراساني. ينظر: معجم البلدان (170 /2).

4- ينظر: الدر المنثور للسيوطي (480 /6).

5- ينظر: اللوحة رقم 9-أ/ من المخطوط.

وكان من ملك الشام مع الجزيرة قيصر<sup>(1)</sup>، وكان أول من دخل في دين النصارى من ملوك الروم قسطنطين<sup>(2)</sup>، وتابعه الملوك، والأركان، وأحدثوا في النصرانية أشياء قبيحة فظلّوا وأظلّوا، واستمروا عليها، كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده، حتى كان آخرهم هرقل وكان من عقلاء الرجال، ومن أحزم الملوك، فتملّك عليهم في رئاسة عظيمة وأبهة كبيرة، فعاداه كسرى ملك الفرس، وملك ممالك الشرق كالعراق وخراسان، وجميع بلاد العجم، وكانوا مجوساً يعبدون النار، ثم أن كسرى مع جيشه غزا قيصر في بلاده وقهره وكسره، حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه، وكانت النصارى تعظمه تعظيماً، ثم دبّر قيصر تدبيراً وكاد مع كسرى وخادعه وصالحه، حتى أغفله وتوجه بلاد فارس وقتل رجاله، ونهب الخزائن، وسبى الذراري<sup>(3)</sup>، وهنا غلبت الروم فارساً وكانت الواقعة بينهم حين غلبت الروم بين أذرع<sup>(4)</sup> وبُصرى<sup>(5)</sup>، على ما ذكره ابن عباس، فأعجب ذلك المؤمنين وفرحوا به.

1- هو: لقب من تملك الروم منه هرقل الذي كتب إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - ينظر: نزهة الألباب في الألقاب لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ) تح: عبد العزيز محمد بن صالح السديري الناشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، 1409هـ-1989م. (106/2).

2- هو: قسطنطين بن قسطنس يعرف، بأمه هيلاني، واليه ينسب، ملك اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وهو الذي أظهر دين النصرانية وحارب عليها حتى قبلت وانتشرت في البلاد. ينظر: التنبيه والإشراف المؤلف: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ) تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي الناشر: دار الصاوي القاهرة مجهولة التاريخ. (119/1).

3- مادة: (ذ ر ر) الذر جمع ذرة وهي أصغر النمل ومنه سمي الرجل ذرا وكني أبو ذر و ذرية الرجل ولده والجمع الذراري و الذريات و ذر الحب والملح والدواء فرقه من باب رد ومنه الذريرة و الذرور بالفتح لغة في الذريرة ويجمع على أذرة بوزن أسرة. مختار الصحاح (93/1).

4- أذرع: بالفتح، ثم السكون، وكسر الراء، وعين مهملة، وألف وتاء. كأنه جمع أذرعة، جمع ذراع جمع قلة: وهو بلد في أطراف الشام، يجاور أرض البلقاء وعمان، ينسب إليه الخمر، وقال الحافظ أبو القاسم: أذرع مدينة بالبلقاء. معجم البلدان (130/1).

5- بُصرى: من أرض الشام من أعمال دمشق وهي مدينة حوران وفي شرقي هذه المدينة بحيرة تجتمع فيها مياه دمشق وتسير منها في صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخاً فتدخل دمشق. ينظر: الروض =

وقوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي: من قبل ذلك ومن بعده، مبني على الضم لما قطع عن الإضافة (1).

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾، أصحاب قيصر، على أصحاب كسرى وهم المجوس، و كانت نصره الروم على فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كبيرة كابن عباس- رضي الله عنه -، واتباعه، كما في الترمذي، عن أبي سعيد- رضي الله عنه- قال: (لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين وفرحوا به، وأنزل الله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (الآية)(2).

وقال آخرون: بل كان نصره الروم على فارس يوم الحديبية(3).  
وقال الزبير الكلابي(4) رحمه الله: رأيت غلبة فارس الروم، ثم غلبت الروم فارس، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم، كل ذلك في خمس عشرة سنة(5).  
وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: في انتصاره وانتقامه من أعدائه، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

---

المعطار في خبر الأقطار المؤلف: محمد بن عبد المنعم الحميري المحقق: إحسان عباس الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج الطبعة: 2 - 1980 م. (109/1).  
1- ينظر: البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة سنة النشر 1391هـ، بيروت. (153/3).  
2- سنن الترمذي. باب ومن سورة الروم. رقم الحديث (2935) (39/5).  
3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/274).  
4- هو: العلاء بن أبي الزبير ويقال ابن الزبير الكلابي من فقهاء دمشق حدث عن أبيه روى عنه أسيد الكلابي وغيره، ويحدث عن أبيه قال: رأيت غلبة فارس الروم ثم رأيت غلبة الروم فارسا ثم رأيت غلبة المسلمين فارسا والروم وظهورهم على الشام والعراق كل ذلك في خمس عشرة سنة. ينظر: تاريخ دمشق لابن القلانسي، تح: د سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق ط1، 1403 هـ - 1983 م. (219/47).  
5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/274).

وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ﴾ أي: هذا الذي أخبرناك به يا محمد - صلى الله عليه وسلم - من أنا سننصر الروم على فارس، وعد من الله حق، وخبر صدق لا يخلف الله، ولا بد من كونه ووقوعه؛ لأن الله قد جرت سنته أن ينصر أقرب الطائفتين المقتلتين إلى الحق، ويجعل لها العاقبة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: بحكم الله في كونه وأفعاله المحكمة البالغة.

وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ أي: أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وإكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق في أمور الدنيا، مغفل عما ينفعهم في الآخرة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: هم الكفار، يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال (1).

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ ۗ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَىٰ ۗ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

قد نبه الله عباده على التفكير في مخلوقاته، الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وأنه لا إله إلا هو، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: به النظر والتفكير في خلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت عبثاً ولا باطلاً بل ﴿بِالْحَقِّ﴾، وأنها مؤجلة إلى ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، وهو يوم القيامة؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ﴾.

1- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (425).

ثم نبههم على صدق رسله فيما جاءوا به، بما أيدهم به من المعجزات والدلالات الواضحات من إهلاك مَنْ كَفَرَ بِهِمْ، ونجاة مَنْ صدقهم، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بأفهامهم وعقولهم وسماع أخبار الماضين؛ ولهذا قال: ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

أي: كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم أيها المبعوث إليهم وأكثر أموالاً وأولاداً، وما أوتيتهم معشار ما أوتوا، ومكنوا في الدنيا تمكيناً لم تبلغوا إليه وعُمرُوا فيها أعماراً طويلاً فعمروها أكثر منكم، ومع هذا لما جاءتهم رسالهم بالبينات ففرحوا بما أوتوا أخذهم الله بذنوبهم، وما لهم من الله من واق، ولا حالت أموالهم ولا أولادهم بينهم وبين بأس الله، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ أي: فيما أحل بهم من العذاب والنكال ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: حيث كذبوا بآيات الله، واستهزؤوا بها، وما ذلك إلا بسبب ذنوبهم السالفة؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوَاءِ﴾ أي: أسوأ العمل السوء.

وقيل: ﴿السُّوَاءِ﴾ اسم لجهنم، كما أن الحسنى اسم للجنة<sup>(1)</sup>.

﴿أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(2)</sup>، فيكون السوءى منصوباً مفعولاً لأساءوا<sup>(3)</sup>، وقيل معناه: كانت السوءى عاقبتهم؛ لأنهم كذبوا بآيات الله، فكون خير كان. هكذا وجهه ابن جرير - رحمه الله - ناقلاً عن ابن عباس - رضي الله عنه - وقتادة - رحمه الله - ووافقه ابن أبي حاتم<sup>(4)</sup> رحمه الله.

﴿اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(11)</sup> وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾  
وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ

1- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (263/6).

2- سورة الصف، من الآية 5.

3- البرهان في علوم القرآن (515-516).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (276/6).

يَوْمَئِذٍ يَنْفِرُ قَوْمٌ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾  
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾.

أي: كما هو قادر على بداية الخلق، فهو قادر على إعادته، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾  
(أي: يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله، ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾  
أي: يفتضح المجرمون، و بئس حالهم.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ أي: ما  
شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، وكفروا بهم وخانوهم وهم  
أحوج ما كانوا إليهم.

ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ يَنْفِرُ قَوْمٌ﴾.

قال قتادة رحمه الله: هي والله الفرقة التي لا اجتماع بعدها<sup>(1)</sup>، يعني: إذا رفع  
هذا إلى عليين، وخفض ذاك إلى أسفل السافلين، فذاك آخر العهد بينهما؛ ولهذا قال:  
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ أي: يتنعمون ويسمعون  
الغناء، والحبرة أعم من هذا كله.

قال العجاج:

الحمد لله الذي أعطى الحبر مَوَالِيَ الْحَقِّ إِنْ الْمَوْلَى شَكَرَ (2)

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا  
وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾.

قد سبح الله نفسه المقدسة، وإرشاد عباده إلى التسبيح وتحميده، في هذه  
الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه: عند المساء، وهو إقبال  
الليل بظلامه وعند الصباح، وهو إسفار النهار عن ضيائه.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/276).

2- البيت من الرجز وهو للعجاج في ديوانه (1/24).

ثم اعترض بحمده، مناسبة للتسبيح وهو التحميد، فقال: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو المحمود على ما خلق في السموات والأرض. ثم قال: ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾، فالعشاء هو شدة الظلام، والإظهار قوة الضياء. فسبحان خالق هذا وهذا.

وعن أنس بن معاذ الجهني - رضي الله عنه - (1) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليلاً الذي وفى لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون). رواه أحمد (2).

وعن ابن عباس - رضي الله عنه -، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من قال حين يصبح: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الآية بكمالها أدرك ما فاتته في يومه، ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاتته في ليلته). ورواه أبو داود (3).

وقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ هو مما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة، وهذه الآيات المتباينة كلها من هذا، فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها دليلاً على كمال قدرته، فمن ذلك إخراج النبات من الحب والحب من النبات والإنسان من النطفة، والنطفة من الإنسان، وعلى هذا.

وقوله: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ كقوله: ﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ الآية (4)، وقال: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ الآية (5).

1- هو: أنس بن معاذ الجهني الأنصاري، عداده في أهل المدينة، روى حديثه سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه عن جده. ينظر: أسد الغابة في تميز الصحابة (1/299).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (15624). (24/388).

3- سنن أبي داود. باب. ما يقول إذا أصبح. رقم الحديث (5076). (4/319).

4- سورة يس، من الآية 33.

5- سورة الحج، من الآية 5.

﴿وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ أي: تبعثون من القبور.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٢١﴾.

يعني: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾، أي: تبسطون في الأرض فأصلكم من تراب، ثم من ماء مهين، ثم تصوّر فكان علقة، ثم مضغة، ثم صار عظماً مشكلاً، ثم كسا الله تلك العظام لحماً، ثم نفخ فيه الروح، فإذا هو سميع بصير، ثم يولد صغيراً ضعيفاً ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون، ويسافر في الأقطار براً، وبحراً، ويتكسب ويجمع الأموال وله فكر ورأي وعلم، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه، فسبحان مَنْ قَدَّرَهُم وَسَيَّرَهُمْ وَسَخَّرَهُمْ وَصَرَفَهُمْ فِي فَنُونِ الْأَشْيَاءِ، وفاوت بينهم في العلوم والأشكال والأحوال، والصفات.

عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن، وبين ذلك). رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وصححه (1).

وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: من أنفسكم إناثا تكون لكم أزواجاً، ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾، ولو أنه جعل بني آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو من حيوان، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج بل كانت تحصل نفرة، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من

1- مسند أحمد. رقم الحديث (19582). (353/32). سنن أبي داود. باب: في القدر. رقم الحديث (4693).

سنن الترمذي باب: ومن سورة البقرة. رقم الحديث (2955). (204/5).

جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة: وهي المحبة، ورحمة: وهي الرأفة، فالرجل يمسك المرأة إما لمحبه لها، أو لرحمة بها، بأن لها منه ولد، ومحتاجة إليه في الإنفاق وغير ذلك، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ أي: لدلالات واضحات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في عظمة الله وقدرته.

﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْمَنَازِلَ وَالْوَنُجُومَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٢) ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٢٣).

أي: ومن دلائل قدرته العظيمة ﴿خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في ارتفاعها واتساعها، وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات والأرض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية، وبحار وقفار، وحيوان وأشجار. وقوله: ﴿وَأَخْلَفَ الْمَنَازِلَ﴾ يعني: لغاتكم، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء بلغة العجم، بأنواعها، وعلى هذا سائر لغة الأقاليم وأنواع خلائقها، مما لا يعلمه إلا الله لغات بني آدم، واختلاف ألوانهم، فجميع أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان، وأنف وجبين، وفم وخدان، وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمات أو الهيئة أو الكلام، ظاهرا كان أو خفيا، يظهر عند التأمل، كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه الأخرى.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾، قرأ بعضهم بكسر اللام، والآخرين بفتحها<sup>(1)</sup>. ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، فيه تحصل الراحة وسكون الحركة، وذهاب الكلل والتعب، وجعل لكم الانتشار في السعي في الأسباب والأسفار، وهذا ضد النوم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي: يعون.

1- قرأ حفص ﴿لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ بكسر اللام أي للعلماء، وقرأ الباقون ﴿لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام أي للناس أجمعين من الجن والإنس. ينظر: حجة القراءات (1/557-558).

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ۝ .

أي: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾ الدالة على عظمته أنه ﴿ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ ﴾ تارة وتخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة، أو صواعق متلفة، وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه؛ ولهذا قال: ﴿ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: بعدما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء، فلما جاءها الماء ﴿ أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ وَأُنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (1).

وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة؛ ولهذا قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

ثم قال: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ هو كقوله: ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (2).

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا اجتهد في اليمين يقول: لا والذي تقوم السماء والأرض بأمره (3)، أي: هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيرها إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسموات، وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم؛ ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ لِجَسَدِهِمْ وَعَنْتَنُوكُمْ إِذْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (4).

1- سورة الحج، من الآية 5.

2- سورة الحج، من الآية 65.

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (280/6).

4- سورة الإسراء الآية 52.

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَنْتُونٌ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ  
أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴿٣٧﴾ وَهُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

يعني: ملكه وعبده، ﴿كُلُّ لَهٗ قَنْتُونٌ﴾ أي: مطيعون خاضعون طوعاً وكرهاً، وعن أبي سعيد، مرفوعاً: (كل حرف في القرآن يُذكر فيه القنوت فهو الطاعة)<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإعادة أيسر أهون عليه من البداءة والبداءة عليه هين<sup>(2)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقله: لن يعيدني كما بدائي، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته. وأما شتمه إياي فقله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد). رواه البخاري<sup>(3)</sup>.

وقال آخرون: كلاهما بالنسبة إلى القدرة على السواء<sup>(4)</sup>.

قال بعضهم: ويحتمل أن يعود الضمير في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ إلى الخلق أي: وهو أهون على الخلق يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً إلى أن يصيروا رجالاً ونسياً. وهذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(5)</sup>.

وقوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ أي: الصفة العليا.

1- مسند أحمد. رقم الحديث (11711). (239/18)

2- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/280). تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (427).

3- صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن. باب قوله: (وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) رقم الحديث (4974). (180/6).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/280).

5- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخوي (6/268).

قال ابن عباس- رضي الله عنه - هي أنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(1)</sup>، وقال قتادة رحمه الله: مثله أنه لا إله إلا هو، ولا رب غيره، وقال مثل هذا ابن جرير<sup>(2)</sup>.

وقد أنشد بعض المفسرين عند ذكر هذه الآية لبعض أهل المعارف:

إِذَا سَكَنَ الْغَدِيرُ عَلَى صَفَاءٍ      وَجَنِبَ أَنْ يُحْرَكَهُ النَّسِيمُ  
تَرَى فِيهِ السَّمَاءَ بَلَا امْتِرَاءٍ      كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْدُو وَالنَّجُومُ  
كَذَلِكَ قُلُوبُ أَرْبَابِ التَّجَلِّي      يُرَى فِي صَفْوَاهَا اللَّهُ الْعَظِيمُ<sup>(3)</sup>

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قد غلب كل شيء، وقهر كل شيء بقدرته وسلطانه، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله وأقواله، شرعاً وقدرًا.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢٨)</sup> بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ<sup>(٢٩)</sup>.

هذا مثل ضربه الله للمشركين به، العابدين معه غيره، وهم مع ذلك معترفون أن الأصنام والأنداد عبيد وملك له، كما كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك.

فقال: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم، ﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ أي: لا يرتضي أحد منكم أن عبده شريكاً له في ماله، فهو وهو فيه على السواء.  
﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تخافون أن يقاسموكم الأموال.

1- سورة الشورى، من الآية 11.

2- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (181/10).

3- البيت من الوافر وهو في تفسير القرآن العظيم لابن كثير (281/6).

قال أبو مجلز<sup>(1)</sup> رحمه الله: إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك، وليس له ذلك، كذلك الله لا شريك له<sup>(2)</sup>.

والمعنى: أن أحدكم يأنف من ذلك، فكيف تجعلون الله الأنداد من خلقه. ولما كان التنبيه بهذا المثل على براءته تعالى ونزاهته عن ذلك بطريق الأولى قال: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: نبينها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

ثم قال تعالى: مبينا أنهم إنما عبدوا غيره سفهاً من أنفسهم ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: المشركون ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: في عبادتهم الأنداد، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ أي: لا أحد يهديهم إذا كتب الله إضلالهم، ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ أي: ليس لهم عن قدره منقذ ولا مجير؛ لأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣٠)</sup> مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ<sup>(٣١)</sup> مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ<sup>(٣٢)</sup>.

أي: فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، من الدين الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه أي: خلقهم على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، كما سبق عند قوله: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾<sup>(3)</sup>.

1- هو: لاحق ابن حميد ابن سعيد السدوسي البصري أبو مجلز بكسر الميم وسكون الجيم وفتح اللام بعدها زاي مشهور بكنيته ثقة من كبار الثالثة مات سنة ست وقيل تسع ومائة وقيل قبل ذلك. ينظر: تهذيب التهذيب (11/ 171).

2- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/ 182).

3- سورة الأعراف، من الآية 172.

وفي الحديث: (أن الله - تعالى - فطر خلقه على الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية<sup>(1)</sup>).

وقوله: ﴿لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ قيل: أي، لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، فيكون خبرا بمعنى الطلب.

وقيل: هو خبر على بابه، معناه: أنه - تعالى - ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلية المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك ولهذا قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وكثيرون، في قوله: ﴿لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ أي: لدين الله وهو الإسلام<sup>(2)</sup>.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّتِي أَلَيْمٌ﴾<sup>(3)</sup>).

وعن جابر - رضي الله عنه - قال، قال: (كل مولود يولد على الفطرة، حتى يُعرب عنه لسانه، فإذا عبر عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً). رواه أحمد<sup>(4)</sup>.  
وفي الصحيحين، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن أولاد المشركين فقال: (الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم)<sup>(5)</sup>.

1- ورد الحديث في صحيح البخاري ولفظه: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءً). باب ما قيل في أولاد المشركين. رقم الحديث (1385). (100/2).

2- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (428).

3- صحيح البخاري. باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه. رقم الحديث (1358). (94/2). صحيح مسلم. باب فضائل عيسى عليه السلام. رقم الحديث (2366). (1838/4).

4- مسند أحمد. رقم الحديث (14805). (113/23).

5- صحيح مسلم. كتاب القدر. باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين رقم الحديث (2659). (2049/4). صحيح البخاري. كتاب الجنائز. باب: ما قيل في أولاد المشركين. رقم الحديث (1384). (100/2).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُمْ﴾ أي: التمسك بالشرعية والفطرة السليمة هو الدين القويم المستقيم، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فلهذا أكثر الناس لا يعرفون، فهم عنه ناكبون.

وقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ أي: راجعين إليه، ﴿وَأَتَّقُوهُ﴾ أي: خافوه وراقبوه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وهي الطاعة العظيمة، ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: بل من الموحدين المخلصين له العبادة.

روي أن عمر - رضي الله عنه - مر بمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - فقال: ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث، وهن المنجيات: الإخلاص، وهي الفطرة، فطرة الله التي فطر الناس عليها والصلاة وهي الملة، والطاعة وهي العصمة، فقال عمر: صدقت. رواه ابن جرير<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ أي: لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم أي: بدلوه، وآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

وقرأ بعضهم<sup>(2)</sup>: ﴿فَرَّقُوا﴾ أي: تركوه وراء ظهورهم، وهؤلاء كاليهود وسائر الأديان الفاسدة، ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ أي: فرقا مختلفة ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ أي: طائفة ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي: راضون بما عندهم، فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ومثل باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله والسنة، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين قديما وحديثا.

1- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (183/10).

2- قراءة حمزة والكسائي، ومعنى فارقوا أي زابلوا وقد روي أن رجلا قرأ عند علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إن الذين فرقوا دينهم فقال علي لا والله ما فرقوه ولكن فارقوه ثم قرأ إن الذين فارقوا دينهم أي تركوا دينهم الحق الذي أمرهم الله باتباعه ودعاهم إليه. ينظر: حجة القراءات، لأبي زرعة (278/1).

كما روا الحاكم<sup>(1)</sup> - رحمه الله - في مستدركه أنه سئل - صلى الله عليه وسلم - عن الفرقة الناجية منهم فقال: (ما أنا عليه اليوم وأصحابي)<sup>(2)</sup>.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾.

أخبر تعالى: عن الناس إنهم في حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له وأنه إذا أسبغ عليهم النعم، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ في حال الاختبار. ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالله. وقوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾، هي لام العاقبة عند بعضهم<sup>(3)</sup>، ولام التعليل عند آخرين<sup>(4)</sup>، كما سبق غير مرة، ثم توعدهم بقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قال بعضهم: والله لو توعدني حارس دربٍ لخفت منه، فكيف والتوعد هاهنا من الذي يقول للشيء كن فيكون<sup>(5)</sup>.

1- هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري الحافظ أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع. ولد صبيحة الثالث من شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. صاحب التصانيف في علوم الحديث منها المستدرک على الصحيحين وغير ذلك، وثبتت وفاته سنة خمس وأربعمائة ووهم من قال سنة ثلاث وأربعمائة رحمه الله. ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (171-155/4).

2- المستدرک على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ) تح: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، 1411 - 1990. كتاب الإيمان (6/1).

3- ينظر: المجتبی من مشكل إعراب القرآن، أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1426 هـ. (936/3).

4- ينظر: إعراب القرآن الكريم المؤلف: أحمد عبيد الدعاس - أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم الناشر: دار المنير ودار الفارابي - دمشق الطبعة: الأولى، 1425 هـ. (17/3).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (285/6).

ثم قال: منكرًا على المشركين في عبادتهم الأوثان بلا حجة ولا برهان ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ أي: حجة ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ أي: ينطق ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ وهذا استفهام إنكار، أي: لم يكن شيء من ذلك.

ثم قال: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾، هذا إنكار على الإنسان من حيث هو إلا من عصمه الله فإنه إذا أصابته نعمة بطر وقال: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾<sup>(1)</sup> أي: يفرح في نفسه ويفخر على غيره، وإذا أصابته شدة قنط وأيس عن حصول مراده، قال الله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾<sup>(2)</sup> أي: في الضراء وعملوا الصالحات في الرخاء، كما ثبت في الصحيح: (عجباً للمؤمن، لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيراً له إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)<sup>(3)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: هو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله، فيوسع على قوم ويضيّق على آخرين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الآية، أي: دلالة ظاهرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢٨)</sup> وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّ لِيَرْبُؤُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤُوا عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن ذَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ<sup>(٢٩)</sup> اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُمْ مِّن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٤٠)</sup>.

أمر تعالى: بإعطاء ذي ﴿الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ أي: من البر والصلة.

1- سورة هود، من الآية 10.

2- سورة هود، من الآية 11.

3- ورد في صحيح مسلم ولفظه (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). باب المؤمن أمره كله خير. رقم

الحديث (2999). (2295/4).

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ وهو: الذي لا شيء له ينفق عليه، أو له شيء لا يقوم بكفايته  
 ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج إليه في سفره، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ  
 لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي: النظر إليه يوم القيامة، وهو الغاية القصوى ﴿وَأُولَئِكَ  
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: في الدنيا وفي الآخرة.

ثم قال: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّ الْيَتِيمِ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ أي: في اختطاف أموالهم  
 واجتتابها ﴿فَلَا يَرِيئُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما  
 أُهدى لهم فهذا لا ثواب له عند الله بهذا فسرره ابن عباس - رضي الله عنهما -  
 وأتباعه<sup>(1)</sup>، وهذا مباح وإن لم يكن فيه ثواب إلا أنه قد نهى عنه رسول الله - صلى  
 الله عليه وسلم - خاصة، لشرف منصبه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْبِرُ﴾<sup>(2)</sup> أي:  
 لا تعط العطاء تريد أكثر منه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الربا نوعان، فرباً لا يصح يعني: في  
 المعاملات، ورباً لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها وأضعافها، ثم تلا هذه  
 الآية<sup>(3)</sup>، وإنما الثواب عند الله في الزكاة؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ  
 اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ أي: الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء.

كما جاء في الصحيح: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: من  
 تصدق بعدل تمر من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم  
 يُرَبِّيها لصاحبها كما يُرَبِّي أحدكم فلوله أو فصيله، حتى تكون مثل الجبل)<sup>(4)</sup>.

وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ أي: هو الخالق الرازق يخرج الإنسان  
 من بطن أمه عريانا لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قُوَى، ثم يرزقه جميع ذلك  
 بعد ذلك مع المال والزينة واللباس، والمكاسب، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

1- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس (429).

2- سورة المدثر، الآية 6.

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (286/6).

4- صحيح البخاري. كتاب الزكاة. باب: الصدقة من كسب طيب. رقم الحديث (1410). (108/2).

وسلم - لَحَبَّةٍ وَسِوَاءِ ابْنِي خَالِدٍ: (لا تياسا من الرزق ما تَهَزَّزَتْ رُؤُوسُكُمْ؛ فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة، ثم يرزقه الله تعالى). رواه أحمد<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ أي: بعد هذه الحياة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ أي: الذين يعبدونهم من دون الله، ﴿مَنْ يَفْعَلْ مِنْ دَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك، بل الله سبحانه هو المستقل بالخلق والرزق، والإحياء والإماتة، ثم بعث الخلائق يوم القيامة؛ ولهذا قال بعده: ﴿سُبْحٰنَهُ، وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تعالى وتقدس وتنزه وتعظيم وعز وجل عن أن يكون له شريك أو نظير.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٤١)</sup> قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وأتباعه: المراد بالبر هاهنا الفيافي وبالبحر الأمصار والقرى، وقال آخرون: بل المراد بالبر هو البر المعروف وبالبحر البحر المعروف<sup>(2)</sup>.

وقال زيد بن رُفَيْع<sup>(3)</sup> رحمه الله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾ يعني: انقطاع المطر عن البر تعقبه القحط وعن البحر تعمى دوابه. رواه ابن أبي حاتم<sup>(4)</sup>.

وقال مجاهد رحمه الله: فساد البر، قتل ابن آدم، وفي البحر، أخذ السفينة غصبا والأول أظهر، وعليه الأكثر، ويؤيده ما جاء في الحديث، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صالح ملك أيلة، وكتب إليه ببحره، يعني: ببلده)<sup>(5)</sup>.

1- مسند أحمد. رقم الحديث (15855). (186/25).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (287/6).

3- هو: زيد بن رُفَيْع من أهل نصيبين، وله أحاديث، مات سنة ثلاثين ومائة، في آخر خلافة مروان بن محمد. ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (7/334).

4- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (3092/9).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (287/6).

وقوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ أي: بان النقص في الثمار والزررع بسبب المعاصي.

وقال أبو العالية رحمه الله: مَنْ عصى الله في الأرض فقد أفسد ها؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة؛ ولهذا جاء في الحديث: (لَحْدٌ يَاقم فِي الأَرْضِ أَحَبُّ إِلى أَهلها من أن يَمطروا أربعين صباحاً). رواه أبو داود<sup>(1)</sup>، لأن بالحد تنزجر الخلق عن المعاصي، فينزل البركات كما ثبت في الصحيح: (إنَّ الفاجر إذا مات تستريح منه العباد والبلاد، والشجر والدواب)<sup>(2)</sup>.

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله: (أنه وجد في عهد زياد، أو ابن زياد<sup>(3)</sup> صرة فيها حبّ يعني من بر أمثال النوى، عليه مكتوب هذا نبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل)<sup>(4)</sup>.

وقوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: من المعاصي ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات، اختباراً منه، ومجازاةً على صنيعهم، لكي يرجعوا عن المعاصي.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كيفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبلكم، لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية، ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ فأهلكوا بكفرهم.

1- لم أجد الحديث بهذا اللفظ في سنن أبي داود، والحديث بلفظ: «حدّ يعمل في الأرض خير لأهل الأرض من مطر...» أخرجه النسائي باب الترغيب في إقامة الحد، رقم الحديث (4904). (75/8). وابن ماجه باب إقامة الحد، رقم الحديث (2538). (2/848).

2- أخرجه البخاري بلفظ «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد، والشجر والدواب». كتاب الرقاق. باب: سكرات الموت. رقم الحديث (6512). (107/8).

3- هو: زياد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وهو المعروف بزياد بن أبيه وبزياد بن سمية، وهو الذي استلحقه معاوية بن أبي سفيان، وكان يقال له قبل أن يستلحقه: زياد بن عبيد الثقفي ولد عام الهجرة، وقيل: ولد قبل الهجرة، وقيل: ولد يوم بدر، وليست له صحبة، ولا رواية. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (336/2).

4- مسند أحمد. رقم الحديث (7949). (331/13).

﴿ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ ﴾ (٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ .

أمر الله تعالى: بالمبادرة إلى الاستقامة في طاعته، وإلى الخيرات: ﴿ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ ﴾ أي: يوم القيامة، لا يقدر أحد أن يردّه من الله، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ﴾ أي: يتفرقون، ففريق في الجنة وفريق في السعير ولهذا قال: ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ أي: يسوئون مضاجعهم في قبورهم ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: يجازيهم مجازاة الحسنه بعشر أمثالها، إلى سبعمئة ضعف، إلى ما يشاء الله، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، ومع هذا هو العادل فيهم، الذي لا يجور.

﴿ وَمَنْ ءَايَنَاهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۗ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ .

ذكر الله نعمه على خلقه، في إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقبيها؛ ولهذا قال: ﴿ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ أي: بالمطر الذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد، ﴿ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ ﴾ أي: في البحر، وإنما سيرها بالريح، ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي: في التجارات والمعاش، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لكي تشكروا الله على ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة و الباطنة، التي لا تعد ولا تحصى.

ثم قال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ ﴾ هذه تسليية من الله لرسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - بأنه أرسل قبله الرسل إلى أممهم بالمعجزات البيّنات من الدلائل الواضحات ولكن الله انتقم ممن كذبهم وخالفهم، فأنجى المؤمنين بهم ﴿ وَكَانَ

حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ هو حقٌّ أوجبهُ على نفسه الكريمة، تكرماً وفضلاً كما قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (1).

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (ما من مسلم يرُدُّ عن عرض أخيه، إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة)، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. رواه ابن أبي حاتم ومحي السنة في شرحها (2).

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ ۖ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾.

يبين تعالى: كيف يخلق السحاب التي ينزل منها الماء، فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾، إما من البحر على ما ذكره غير واحد، أو مما يشاء الله عليه السلام.

﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي: يمدّه فيكثره ويُنميه، ويجعل من القليل كثيراً وتارة يأتي من جانب البحر ثقلاً مملوءة ماءً، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (3).

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ يعني: قطعاً. وقيل: متراماً، وقيل: أسود من كثرة الماء مقبلاً قريباً من الأرض.

1- سورة الأنعام، من الآية 54.

2- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (3092/9). و مسند أحمد. رقم الحديث (27536). (523/45).

3- سورة الأعراف، من الآية 57.

وقوله: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ أي: فتري المطر وهو القطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خَلِيلِهِ﴾ أي: من بين ذلك السحاب، ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يفرحون بالمطر ووصوله إليهم.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْسِينَ﴾، يعني: أن هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا قانطين من نزول المطر إليهم قبل ذلك، فلما جاءهم جاءهم على فاقعة، فوقع منهم موقعا عظيما.

وقوله: ﴿لَمُبْسِينَ﴾ أي: آيسين، قيل من قبل راجع إلى انزال المطر ومن قبله إلى إنشاء السحاب.

وقال ابن جرير رحمه الله: الثاني وقع تأكيداً<sup>(1)</sup>، و يحتمل أن يكون المعنى أنهم كانوا محتاجين إليه قبل نزوله، ومن قبله أيضاً، أي قد فات عنهم المطر وقتاً بعد وقت فترقبوه في إبانته فتأخر، ومضت مدة فترقبوه فتأخر، ثم جاءهم بغتة بعد اليأس والقنوط منه، فبعد ما كانت أرضهم مقشعرة هامة أصبحت وقد اهتزت وربت، وأنبئت من كل زوج بهيج ولهذا قال: ﴿فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ يعني: المطر ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

ثم نبه بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها وتمزقها وتفرقها، فقال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى﴾ أي: إن الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الأموات، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ثم قال: ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ أي: ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ يابسة على الزرع الذي زرعه، ونبت وشب واستوى على سوقه فرأوه مصفرا، أي: قد اصفر وشرع في الفساد، لظلوا من بعد هذا الحال يكفرون، أي: يجحدون ما سبق إليهم من النعم.

1- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10 / 196).

قال عبد الله بن عمرو رحمه الله: الرياح ثمانية، أربعة منها رحمة، وأربعة عذاب فأما الرحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات، وأما العذاب فالعقيم والصرصر، وهما في البر، والعاصف والقاصف، وهما في البحر<sup>(1)</sup>.

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَىٰ عَنِ ضَلَالِهِمْ إِنْ سَمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

يعني: كما أنك ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجدائها، ولا يبلغ كلامك الصم الذين لا يسمعون، وهم مع ذلك مُدْبِرُونَ ومعرضون عنك، كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق، وردهم عن ضلالتهم، بل ذلك إلى الله، فإنه - تعالى - بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء، ويهدي مَنْ يَشَاءُ، ويضل مَنْ يَشَاءُ وليس ذلك لأحدٍ سواه؛ ولهذا قال: ﴿إِنْ سَمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: خاضعون مطيعون فأولئك هم الذين يستمعون الحق ويتبعونه، فهذا حال المؤمنين المرتب على مثل الكافرين.

وقد استدلت عائشة - رضي الله عنها - بهذه الآية: ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ على توهيم عبد الله بن عمرو في روايته مخاطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - القنلى الذين ألقوا في القليب قليب بدر، بعد ثلاثة أيام، ومعاتبته إياهم وتقريعه لهم، حتى قال له عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما تخاطب من قوم قد جيئوا؟ فقال: (والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون)<sup>(2)</sup>، وتأولته عائشة على أنه قال: (إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق)<sup>(3)</sup>. وقال قتادة: أحياءهم الله له حتى سمعوا مقالته تفرغاً وتوبيخاً ونقمة<sup>(4)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (290/6).

2- صحيح البخاري. كتاب الجنائز. باب: ما جاء في عذاب القبر. رقم الحديث (1370). (98/2).

3- صحيح البخاري. كتاب المغازي. باب: قتل أبي جهل. رقم الحديث (3978). (77/5).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (291/6).

والصحيح رواية ابن عمر - رضي الله عنهما - لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة من أشهر ذلك ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً: (ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه، حتى يرد عليه السلام)<sup>(1)</sup>.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾<sup>(٥٤)</sup>.

ينبه تعالى: على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالاً بعد حال، فأصله من تراب ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم يصير عظماً ثم يكسى لحماً ويُنفخ فيه الروح، ثم يولد ضعيفاً نحيفاً واهن القوى، ثم يشبُّ على التدرج يكون صغيراً، ثم حدثاً ثم مراهقاً، ثم شاباً، وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع في النقص فيكتهل، ثم يشيخ ثم يهرم، وهو الضعف بعد القوة، وتشيب اللمة فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يفعل ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ يَكْفُرُونَ﴾ أي: بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(٥٥)</sup> وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذرتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾.

أخبر تعالى: عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان، وفي الآخرة مثل إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة ومقصودهم به عدم قيام الحجة عليهم، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كذبوا في قولهم غير الساعة، كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (291/6).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ﴾ أي: فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا، ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أي: في كتاب الأعمال ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ﴾ أي: من يوم خلقتم إلى أن بعثتم، ﴿وَلَا كُنْتُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . قال الله: ﴿فِيَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ ﴾ أي: اعتذارهم عما فعلوا، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ أي: ولا هم يرجعون إلى الدنيا، ولا يطلب منهم العتبي.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْنَ حِجَّتِهِمْ بَيِّنَاتٍ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ .

أي: قد بينا للناس الحق، و وضحاها لهم، و ضربنا لهم فيه الأمثال ليتبينوا الحق ويتبعوه.

﴿وَلَيْنَ حِجَّتِهِمْ بَيِّنَاتٍ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ ﴾ أي: لو رأوا أي آية كانت، سواء كانت باقتراحهم أو غيره، لا يؤمنون بها، ويعتقدون أنها سحر وباطل كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه؛ ولهذا قال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ أي: اصبر على مخالفتهم وعنادهم فإن الله سينجز لك ما وعده من نصره إياك، وجعله العاقبة لك وللمن اتبعك في الدنيا ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ ﴾ أي: لا يحملنك ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ على الجهل واتباعهم في الغي، بل اثبت على ما بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هُدًى، بل الحق منحصر فيه.

عن أبي روح - رضي الله عنه - (1) قال: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى بهم الصبح، فقرأ فيها الروم فأوهم فلما انصرف قال: إنه لبس علينا

1- هو: شبيب بن نعيم ويقال بن أبي روح الوحاظي أبو روح الحمصي روى عن الأغر رجل له صحبة وعن

أبي هريرة ويزيد بن خمير وعنه حريز بن عثمان وعبد الملك بن عمير وسنان بن قيس الشامي وجابر بن

=

القرآن، إن أقواماً منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء، فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء). رواه أحمد<sup>(1)</sup>.  
 وفيه سرٌّ عجيب، وهو أنه - صلى الله عليه وسلم - تأثر بنقصان وضوء من أئتم به، والله أعلم.

---

غانم السلفي قال الأجرى عن أبي داود شيوخ حريز كلهم ثقات وذكره بن حبان في الثقات. ينظر: تهذيب التهذيب (271/4).

1- مسند أحمد. رقم الحديث (15874). (210/25).

## تفسير سورة لقمان

وهي مكية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿آلَمَ ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُقَلِّحُونَ ﴿٥﴾

سبق في أول سورة "البقرة"<sup>(1)</sup> ما يتعلق بصدر هذه السورة، وهو أنه -  
تعالى- جعل هذا القرآن هدىً وشفاءً ورحمةً للمحسنين، وهم الذين أحسنوا العمل  
في متابعة الشريعة فأقاموا الصلاة المفروضة لحدودها وأوقاتها، وما يتبعها من  
الرواتب والنوافل، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها، ووصلوا أرحامهم  
وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك، لم يراؤوا به ولا  
أرادوا جزاءً من الناس، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى  
هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: على بصيرة ومنهج واهج ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقَلِّحُونَ﴾ أي: في الدارين.  
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا  
أُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ مُهِينٍ﴾ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا  
فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

لما ذكر تعالى: حال السعداء، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه  
عطف بذكر حال الأشقياء، الذين أعرضوا عن الانتفاع واستماع كلام الله، وأقبلوا  
على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب، كما قال ابن مسعود في  
قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ قال: هو والله الغناء<sup>(2)</sup>.

1- ينظر: اللوحة رقم /9- أ/ من المخطوط.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (295/6).

وفي رواية ابن جرير رحمه الله: أن ابن مسعود - رضي الله عنه - سئل عن هذه الآية: فقال: هو الغناء والذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات. وكذا قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وجابر - رضي الله عنه - وكثيرون<sup>(1)</sup>.

وقال قتادة رحمه الله: والله لعله لا ينفق فيه مالاً ولكن شراؤه استحباباً، بحسب أمرٍ من الشر أن يختارَ حديثَ الباطل على حديثِ الحق، وما يضر على ما ينفق وقيل: اشتراء المغنيات من الجواري<sup>(2)</sup>.

كما روى أبو إمامة رضي الله عنه<sup>(3)</sup>: عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن وأكل أثمانهن حرام، وفيهن أنزل الله - عليه السلام - عليّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهَوَ الْحَدِيثِ﴾). رواه الترمذي وابن جرير، وابن أبي حاتم<sup>(4)</sup>.

وقال الضحاك رحمه الله: يعني، الشرك<sup>(5)</sup>، واختار ابن جرير رحمه الله: أنه كل كلام يصد عن آيات الله وإتباع رسوله<sup>(6)</sup>.

وقوله: ﴿يُضِلُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: إنما يصنع هذا ليخالف الإسلام وأهله وعلى قراءة فتح الياء، تكون لام العاقبة، أو تعليلاً للأمر القدرى، أي: قَبَضُوا لِدَلِيلِ اللَّهِ لِيَكُونَ كَذَلِكَ<sup>(7)</sup>.

1- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/ 202 - 203).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 296).

3- هو: أبو أمامة بن ثعلبة الأنصاري الحارثي. اسمه عند الأكثرين إياس. وقيل اسمه عبد الله. وبه جزم أحمد بن حنبل. وقيل ثعلبة بن سهيل. وقيل ابن عبد الرحمن؛ قال أبو عمر اسمه إياس، وقيل ثعلبة، وقيل سهل ولا يصح غير إياس، وهو ابن أخت أبي بردة بن نيار. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (7/ 16).

4- ورد الحديث في سنن الترمذي عن أبي أمامة ولفظه: (لَا تَبِيعُوا الْقَيْنَاتِ، وَلَا تَشْتَرُوهُنَّ، وَلَا تَعْلَمُوهُنَّ، وَلَا خَيْرَ فِي تِجَارَةٍ فِيهِنَّ، وَتَمْنُهُنَّ حَرَامٌ). رقم الحديث (1282). (3/ 571). وجامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/ 202). تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (9/ 3096).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 296).

6- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/ 205).

7- ينظر: حجة القراءات. (1/ 563).

وقوله: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ أي: ويتخذ سبيل الله هزوا، يستهزئ بها. قاله مجاهد (1).

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: كما استهانوا بآيات الله على قول قتادة: وسيلة أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر (2).

ثم قال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنَّا مُّسْتَكْبِرِينَ﴾ أي: هذا المقبل على الطرب واللهو إذا تليت عليه آيات القرآن، ولى وأعرض عنها وأدبر وتصام كأنه ما يسمعها؛ لأنه يتأذى بسماعها، إذ لا انتفاع له بها، ولا أرب له فيها ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: يوم القيامة فيألم، كما يألم بسماع كتاب الله وآياته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾.

ذكر تعالى مال الأبرار في الآخرة، وهم ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله وصدقوا المرسلين ﴿وَعَمِلُوا﴾ الأعمال الصالحة بأن ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ أي: يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسار، الذي لم يخطر ببال أحد وهم في ذلك مقيمون دائما فيها بلا زوال.

وقوله: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ يعني: هذا كائن لا محالة؛ لأنه من وعد الله والله لا يخلف الميعاد؛ لأنه الكريم، القادر على كل شيء، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي قد قهر كل شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾، في أقواله وأفعاله، الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَآلَتْنِي فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأَرْوِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (296/6).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (296/6).

يبين تعالى: بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض، وما فيهما وما بينهما فقال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾.

قال الحسن وقتادة رحمهم الله: ليس لها عمد مرئية ولا غير مرئية<sup>(1)</sup>. وسبق البحث عنه في أول سورة "الرعد"<sup>(2)</sup>.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا﴾ يعني: الجبال أرسى الأرض وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء؛ ولهذا قال: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: لئلا تميد بكم. وقوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ أي: وذرأ فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها.

وكما قرر أنه الخالق نبه على أنه الرازق بقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أي: من كل زوج من النبات كريم، أي: حسن المنظر. قال الشعبي رحمه الله: والناس أيضاً من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ أي: هذا الذي ذكره تعالى من خلق السموات والأرض وما بينهما، صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره، وحده لا شريك له في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَارُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: مما تعبدون من الأصنام والأنداد، ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: المشركين بالله ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: في جهل وعمى ظاهر واضح لا خفاء به.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ

غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (297/6).

2- ينظر: اللوحة /235-أ/ من المخطوط.

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (297/6).

اختلفوا في لقمان عليه السلام: هل كان نبياً، أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟  
على قولين الأكثرين على الثاني.

قال ابن عباس رضي الله عنه: كان لقمان -عليه السلام- عبداً حبشياً نجاراً.  
وقال جابر رحمه الله: كان قصيراً أفطس نوبياً.

وقال ابن المسيب رحمه الله: كان لقمان -عليه السلام- من سودان مصر  
ومشافر، أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة.

وقال مجاهد -رحمه الله- وغيره: كان لقمان -عليه السلام- عبداً حبشياً  
غليظ الشفتين، مُصَفَّح القدمين قاضياً على بني إسرائيل في زمن داود، -عليه  
السلام- (1).

روي أن لقمان -عليه السلام- أتاه رجل وهو في مجلس أناس يحدثهم، فقال  
له: أأنت الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا، قال: بلى، فقال: فما بلغ  
بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، والصمت عما لا يعنيني (2).

وفي هذه الآثار دلالة صريحة على أنه لم يكن نبياً، ومنها ما هو مشعر بذلك  
لكونه عبداً مَسَّهُ الرق (3)، والرسول تبعث في أحساب قومها؛ وعلى هذا جمهور  
السلف.

وقال قتادة رحمه الله: خيّر الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة، فاختر  
الحكمة على النبوة قال: فأتاه جبريل وهو نائم فذره أو رش عليه الحكمة، فأصبح  
ينطق بها.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (298/6).

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10 / 209).

3- مادة (رقق): الرق بالكسر، من الملك، وهو العبودية. والرق أيضا: الشئ الرقيق. ويقال للارض اللينة: رق  
عن الأصمعي. والرق بالفتح: ما يُكْتَبُ فيه، وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى: { في رِقِّ مَنَشُورٍ } والرقُّ  
أيضاً: العظيم من السلاحف. قال أبو عبيد: وجمعه رقوق. والرققة: كل أرض إلى جنب واد ينسبط عليها  
الماء أيام المد ثم ينضب فتكون مكرمة للنبات. والرققة: اسم بلد. والرقاق بالفتح: أرض مستوية لينة التراب  
تحت صلابة. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي  
تح: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين - بيروت - ط4 - 1407 هـ - 1987 م (1483/4).

وقيل له: كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك؟ فقال: إنه لو أرسل إليّ بالنبوة عزيمةً لرجوت فيه الفوز منه، ولكنك أرجو أن أقوم بها، ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة، فكانت الحكمة أحب إليّ. وهذا خبر ضعيف (1).

فقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ قال قتادة: أي الفقه في الإسلام، ولم يكن نبياً ولم يُوحَ إليه، والمراد إنه أُعطي الفهم والعلم والتعبير، ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ﴾ أي: أمرناه أن يشكر الله، على ما أتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل، الذي خصّصه به عن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: إنما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكر، كقوله: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمَّهْدُونَ﴾ (2).

وقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي: غني عن العباد، لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعاً، فإنه الغني عن سواه.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥).

أخبر تعالى: عن وصية لقمان -عليه السلام- لولده واسمه لقمان بن عنقا بن سدون، وقيل: اسم ولده أنعم، وقيل: مشكم (3).

1- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/299-300).

2- سورة الروم، من الآية 44.

3- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (3/588).

وقد ذكره الله بأحسن الذكر، فإنه آتاه الحكمة، وهو يوصي ولده، فأوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، ثم قال محذراً له: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ أي: هو أعظم الظلم.

وفي الصحيحين: عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: (لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾<sup>(1)</sup>، شق ذلك على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: أينما لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه ليس بذلك، ألا تسمع إلى قول لقمان عليه السلام: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>، ثم قرَنَ بوصيته إياه بذلك البر بالوالدين، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿وَهَذَا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: مشقة على مشقة، وجهداً على جهدٍ وضعفاً على ضعفٍ. ﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ أي: تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين، كما قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ الآية<sup>(4)</sup>.

ومن هاهنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر؛ لأنه - تعالى - قال: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾<sup>(5)</sup>. وإنما يذكر - تعالى - تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في شهرها ليلاً ونهاراً ليذكر الولد بإحسانها المتقدم إليه، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَارِيًّا صَغِيرًا﴾<sup>(6)</sup> ولهذا قال: ﴿أَنْ أَسْكُرَّ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ فإني سأجزيك على ذلك أوفر الجزاء.

1- سورة الأنعام، الآية 82.

2- صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن. باب: لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. رقم الحديث (4776). (114/6).

3- سورة الإسراء، من الآية 23.

4- سورة البقرة، من الآية 233.

5- سورة الأحقاف، من الآية 15.

6- سورة الإسراء، من الآية 24.

وقوله: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ أي: إن حرصاً عليك غاية الحرص على أن تتابعهما على دينهما، فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما ﴿فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: محسناً إليهما ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يعني: المؤمنين، من الصحابة ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وعن سعد بن وقاص (1) - رضي الله عنه - قال: نزلت في هذه الآية: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ الآية، قال: كنت رجلاً براً بأبي، فلما أسلمت قالت: يا سعد، ما هذا الذي أراك قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي، فيقال: "يا قاتل أمه"، فقلت: لا تفعلني، فإني لا أدع ديني هذا لشيء فمكثت يومين وليلتين لم تأكل وأشدت جهدها فقلت: يا أمه، تعلمين والله لو كانت لك مئة نفس فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئت كلي، وإن شئت لا تأكلي، فأكلت (2).

﴿يَبْنِيٰ إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦) يَبْنِيٰ أَقْبِرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرِ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩).

هذه وصايا نافعة قد حكاها الله عن لقمان الحكيم؛ ليمنتلها الناس، فقال: ﴿يَبْنِيٰ إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل، ويجوز أن يكون الضمير للقصة، ورفع ﴿مِثْقَالَ﴾ والأول أولى.

1- هو: سعد بن مالك بن أهيب ويقال له ابن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أبو إسحاق بن أبي وقاص: أحد العشرة وآخرهم موتاً، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - كثيراً. روى عنه بنوه. مات سنة إحدى وخمسين. وقيل ست. وقيل سبع. وقيل ثمان. والثاني أشهر. وقد قيل: إنه مات سنة خمس. وقيل سنة أربع. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (3/61-62).

2- ينظر: أسباب نزول القرآن. للواحدي النيسابوري، تح: عصام بن عبد المحسن الحميداني (1/352).

وقوله: ﴿يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾ أي: أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط وجازى عليها بحسب ذلك، ولو كانت تلك الذرة مستورة محصنة في داخل صخرة صمّاء، أو غائبٍ ذاهبٍ في أرجاء السموات أو الأرض فإن الله يأتي بها لأنه لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ﴾ أي: لطيفُ العلم، فلا يخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت ﴿خَيْرٌ﴾ بدبيب النمل في الليل البهيم.

وقيل المراد: الصخرة التي تحت الأرضين السبع، قاله ابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهما - وغير واحد<sup>(1)</sup>.

ولعل هذا من الإسرائيليات الجائزة النقل، فإن المراد أن هذه الحبة الحقيرة لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيديها ويظهرها بلطيف علمه، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لو أن أحدكم يعمل في صخرة صمّاء، ليس لها باب ولا كوة، يخرج عمله للناس كائنًا ما كان)<sup>(2)</sup>.

ثم قال: ﴿يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ﴾ أي: لحدودها وفروضها وأوقاتها ﴿وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ بحسب طاقتك وجهدك، ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ أي: من الناس أي: بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: الصبر على الأذى في الطاعة من الأمور التي يعزم عليها لو جوبها.

وقوله: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: بوجهك للناس إذا كلمتهم و كلموك احتقارًا منك لهم، واستكبارًا عليهم ولكن أَلِنْ جانبك، وابسط وجهك إليهم، كما جاء في الحديث: (ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق)<sup>(3)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (302/6).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (11230). (329-330).

3- صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء رقم الحديث (6783).

ولفظه (لَا تَحْفَرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ). (37/8).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: لا تتكبر فتحقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. وبه قال جماعة<sup>(1)</sup>.

وقيل: يعني بذلك: التشديق في الكلام<sup>(2)</sup>. والصواب الأول.

قال ابن جرير رحمه الله: وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها، حتى تلتفت أعناقها عن رؤوسها، فشبه به الرجل المتكبر<sup>(3)</sup>.  
ومنه قول ابن حني التغلبي<sup>(4)</sup>:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ      أَقْمَنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا<sup>(5)</sup>

وقال أبو طالب في شعره:

وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نَقْرُ ظُلَامَةَ      إِذَا مَا تَنَوَّا صَعْرَ الرُّؤُوسِ نُقِيمَهَا<sup>(6)</sup>

وقوله: ﴿وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: جدًا متكبرًا جبارًا عنيدًا، لا تفعل ذلك

بيغضك الله؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: مختال معجب على نفسه فخور على غيره.

وعن ثابت بن قيس<sup>(7)</sup> - رضي الله عنه - قال: ذكر الكبر عند رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - فشدد فيه، فقال: (إن الله لا يحب كل مختال فخور، فقال

1- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (433).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (303/6).

3- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/ 214).

4- هو: عمرو بن حني التغلبي فارس جاهلي مذكور. ينظر: معجم الشعراء المؤلف: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، ت: كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط2، 1402هـ - 1982 م. (207/1).

5- البيت من الطويل لعمر بن حني التغلبي يروى في قصيدة المتلمس التي أولها يعيرني.. إلخ. ينظر: الأصمعيات اختيار الأصمعي: الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصم، تح: أحمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون الناشر: دار المعارف - مصر الطبعة: السابعة، 1993 م. (245/1).

6- البيت من الطويل لأبي طالب في السيرة النبوية لابن هشام (104/2).

7- هو: ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك، وهو الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج وأمه امرأة من طيء، يكنى: أبا محمد بابنه محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وكان ثابت خطيب

رجل من القوم: والله يا رسول الله إني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها، ويعجبني شراك نعلي، وعلاقة سوطي، فقال: ليس ذلك الكبر، إنما الكبر أن تسفه الحق وتغصص الناس). رواه الطبراني (1) رحمه الله.

وقوله: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: امش مشياً مقتصداً ليس بالبطيء المنتبظ ولا بالسريع المفرط، بل عدلاً وسطاً.

وقوله: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أي: لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع أصواتك فيما لا فائدة فيه؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

قال مجاهد - رحمه الله - وغير واحد: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير أي: غاية من رفع صوته أنه يشبه صوت الحمار في علوه ورفعه، وفيه غاية الذم (2)، لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ليس لنا مثل السوء) (3) فيكون ذلك بغيضاً إلى الله - تعالى - فهذه وصايا نافعة، قصها الله في القرآن عن لقمان عليه السلام.

وقد روي من الحكم والمواعظ أشياء كبيرة، منها عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أخبرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن لقمان الحكيم كان يقول: إن الله إذا استودع شيئاً حفظه). رواه أحمد (4).

وقال صلى الله عليه وسلم: (قال لقمان: لابنه وهو يعظه، يا بني إياك والتقنع فإنه مخوفة بالليل مذمة بالنهار). رواه ابن أبي حاتم مع ما بعده (5).

الأنصار، وخطيب النبي - صلى الله عليه وسلم - كما كان حسان شاعره، وشهد أحداً وما بعدها، وقتل يوم اليمامة، في خلافة أبي بكر شهيداً. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (451/1).

1- ينظر: المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني: مكتبة العلوم والحكم - الموصل ط2 1404 - 1983 تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي. (70/2).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (303/6).

3- صحيح البخاري. كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته. رقم الحديث (2622). (164/3).

4- مسند أحمد. رقم الحديث (5606). (431/9).

5- المستدرک على الصحيحين. باب تفسير سورة لقمان. رقم الحديث (3543). (446/2).

وقال: لابنه أيضاً (يا بني، إن الحكمة أجلسست المساكين مجالس الملوك)<sup>(1)</sup>.  
 عن ابن عباس- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
 (اتخذوا السودان أي من الحبش فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة، لقمان الحكيم  
 والنجاشي، وبلال المؤمن). رواه الطبراني<sup>(2)</sup> رحمه الله.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾.

نبه تعالى: خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة، بأنه سخر لهم ما في  
 السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحب  
 وأمطارٍ وتلجٍ وبردٍ وغير ذلك، وما خلق لهم في الأرض من قرارٍ وأنهارٍ وأشجارٍ  
 وزروعٍ وثمارٍ، وأسبغ عليكم نعمه الظاهرة و الباطنة من إرسال الرسل وإنزال  
 الكتب، وإزاحة الشبه والعلل ومع هذا ما آمن الناس كلهم، بل منهم من ﴿يُجَادِلُ﴾  
 في توحيد الله وإرساله الرسل.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ في جداله، ولا حجة صحيحة، ولا كتاب ماثور صحيح ﴿مُنِيرٍ﴾  
 أي: مبين مضيء.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لهؤلاء المجادلين في توحيد الله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ  
 اللَّهُ السَّمَوَاتِ﴾ على رسوله من الشرائع المطهرة، ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾  
 أي: لم يكن لهم حجة إلا إتباع الآباء الأقدمين، ﴿أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ  
 السَّعِيرِ﴾ وجواب لو محذوف أي: فيتبعون، أي: فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع

1- جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي تح:  
 أبي الأشبال الزهيري: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ-1994م. للقرطبي.  
 (212/1).

2- المعجم الكبير للطبراني. رقم الحديث (11482). (198/11).

آبائهم أنهم كانوا على ضلالة تابعة للشيطان اتبعون، أنتم الشيطان إذ كان يدعوكم إلى عذاب النار المسعرة الدائمة.

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢٢) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ؛ إَلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾.

أخبر تعالى: عمن أسلم وجهه لله، أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: في عمله، بإتباع ما أمر، وترك ما عنه زجر ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ أي: فقد أخذ موثقاً من الله متيناً أنه لا يعذبه، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ أي: لا تحزن يا محمد عليهم في كفرهم بالله وبما جئت به فإن قدر الله نافذ فيهم، وإلى الله ﴿مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: يعذبهم عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فلا تخفى عليه خافية.

ثم قال: ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا﴾ أي: في الدنيا، ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ أي: نلجئهم إلى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿أي: فظيع صعب مشق على النفوس.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٥) لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾.

أخبر تعالى: عن هؤلاء المشركين به إنهم يعرفون أن الله خالق السموات والأرض وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خلق له وملك له؛ ولهذا قال: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: قل يا محمد الحمد لله إذا قامت عليهم الحجة باعترافكم، بل أكثرهم لا يعلمون.

ثم قال: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هن خلقه وملكه، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي: عما سواه ﴿الْحَمِيدُ﴾ في جميع ما خلق، وهو المحمود في الأمور كلها.

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٧) مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ .

أخبر تعالى: عن عظمته وكبريائه، وأسمائه الحسنی وصفاته العلا وكلماته الثامة التي لا يحيط بها أحد، ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)<sup>(1)</sup>.

فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ﴾ أي: ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاماً، وجعل البحر مداداً وأمدّه سبعة أبحر معه، فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام، ونفدت ماء البحار، ولو جاء أمثالها مدداً.

وإنما ذكرت "السبعة" على وجه المبالغة، ولم يرد الحصر ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطة بالعالم، كما يقوله من تلقاه من كلام الإسرائيليات التي يجوز نقلها؛ لأنه لا حصر لآيات الله.

قال قتادة: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، فقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ﴾ أي: لو كان شجر الأرض أقلاماً، ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب كلمات ربي وحكمته وخلقه وعلمه<sup>(2)</sup>. وقال الربيع بن أنس<sup>(3)</sup> رحمه الله: إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها، وهذا بعينه كما قال الخضر لموسى، عليهما السلام<sup>(4)</sup>.

1- صحيح مسلم. كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود. رقم الحديث (486). (352/1).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (312/6).

3- هو: الربيع بن أنس البكري ويقال الحنفي البصري ثم الخراساني. روى عن أنس بن مالك وأبي العالبيّة وغيرهم. قال ابن سعد مات في خلافة أبي جعفر المنصور. وذكر الذهبي أنه توفي سنة "139" أو سنة "140". ينظر: تهذيب التهذيب (3/238-239).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (312/6).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: قد عز كل شيء وقهره وغلبه، فلا مانع لما أراد ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه وأمره، وأقواله وأفعاله، وجميع شؤونه.

وقوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته إلا كنسبة نفس واحدة، إلى الجميع هين عليه و﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(1)</sup> أي: لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي: كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢٩)</sup> ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ<sup>(٣٠)</sup>.

أخبر تعالى: أنه ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ بمعنى: يأخذ منه في النهار فيطول ذلك ويقصر هذا، وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية ثم يشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار، وهذا يكون في الشتاء، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

قيل: إلى غاية محدودة، وقيل: إلى يوم القيامة<sup>(2)</sup>.

وكلا القولين صحيح، ويستشهد للقول الأول بما في الصحيحين: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (يا أبا زر، هل تدري أين تذهب هذه الشمس؟، قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت)<sup>(3)</sup>.

1- سورة يس، الآية 82.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (313/6).

3- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب الشمس والقمر بحسبان. رقم الحديث (3199). (107/4). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمان الذي لا يقبل فيه. رقم الحديث (159). (139/1).

قال ابن عباس رضي الله عنه: الشمس بمنزلة الساقية، تجري بالنهار في السماء في فلکها، فإذا غربت جرت بالليل في فلکها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها قال: وكذلك القمر. رواه ابن أبي حاتم (1).

وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، كقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمًا﴾ (2).

وقوله: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق، أي: الموجود الحق، الإله الحق، وأن كل ما سواه باطل فإنه الغني عما سواه وكل شيء فقير إليه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ أي: الذي لا أعلى منه ﴿الْكَبِيرُ﴾: الذي هو أكبر من كل شيء.

﴿الْمُتَرَانَ الْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْدِينَ فَلَمَّا بَجَّهَهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾.

أخبر تعالى: أنه الذي سخر البحر لتجري فيه الفلك بأمره، أي: بلطفه وتسخيره فإنه لولا ما جعل في الماء من قوة تحمل بها السفن لما جرت؛ ولهذا قال: ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ۚ﴾ أي: من قدرته، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: صبار في الضراء، شكور في الرخاء.

ثم قال: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ﴾ أي: كالجبال والغمام، ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْدِينَ﴾. ثم قال: ﴿فَلَمَّا بَجَّهَهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ﴾.

قال مجاهد رحمه الله: أي كافر، جاحد، وقال ابن زيد: هو المتوسط في العمل (3)، كما في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (313/6).

2- سورة الطلاق، من الآية 12.

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (314/6).

بِالْخَيْرَاتِ ﴿<sup>(1)</sup>﴾ فالمراد هاهنا المتوسط، وحينئذ يكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام في البحر، ثم بعدما أنعم عليه من الخلاص كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام، والمبالغة في العبادة، والمبادرة إلى الخيرات. فمن اقتصد بعد ذلك فهو مقصر والحالة هذه.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ الختار هو الغدار، وهو الذي كلما عاهد نقض عهده، والختَر أتم الغدر وأبلغه.  
قال عمرو بن معد يكرب<sup>(2)</sup>:

وَإِنَّكَ لَوِ رَأَيْتَ أَبَا عَمِيرٍ      مَلَأَتْ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتَرٍ<sup>(3)</sup>  
والكفور الجحود للنعم لا يشكرها، بل يتناساها ولا يذكرها.

﴿يَتَأَيَّمُ النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾<sup>(٢٣)</sup>.

أنذر الله الناس من يوم المعاد، وأمرهم بتقواه والخوف منه، والخشية من يوم القيامة حيث ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ أي: لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يتقبل منه، ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ يعني: الشيطان، فإنه يغر ابن آدم ويعدّه ويمنيه، وليس من

1- سورة فاطر، من الآية 32.

2- هو: عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمـن. وفد على المدينة سنة (9) هـ في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. ولما توفي النبي - صلى الله عليه وسلم - ارتد عمرو في اليمـن. ثم رجع إلى الإسلام فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وقيل: قتل عطشاً يوم القادسية. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. (261/4).

3- البيت من الوافر لعمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي في الأغاني أبو الفرج الأصبهاني سنة الولادة 284هـ/ سنة الوفاة 356هـ تحقيق علي مهنا وسمير جابر، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر، مكان النشر لبنان. (203/15).

ذلك شيء بل كما قال: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَيِّتُهُمْ وَيَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (1).

قال ابن جبير رحمه الله: هو أن يعمل المعصية ويتمنى المغفرة (2).

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا

تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢٤).

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله - تعالى - بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها؛ فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه أحد إلا الله، ولكن إذا علم أمر به الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه - تعالى - سواه لكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى، أو شقي أو سعيد علمه الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخرها، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أفي بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك.

وهذه شبيهة لقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الآية (3).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: (قال رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ

وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

خَبِيرٌ﴾). رواه البخاري في مواضع من صحيحه (4).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجل يمشي فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال:

"الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر"، قال: يا

رسول الله، ما الإسلام؟ قال: "الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقويم

1- سورة النساء، الآية 120.

2- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (294/6).

3- سورة الأنعام، من الآية 59.

4- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ }. رقم الحديث (4778). (115/6).

الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان"، فقال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة رببتها، فذاك من أشراطها. وإذا كان الحفاة العُراة رؤوس الناس، فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ الآية، ثم انصرف الرجل فقال: "رئوه عليّ" فأخذوا ليردوه، فلم يروا شيئاً، فقال: "هذا جبريل، جاء ليعلم الناس دينهم". رواه البخاري في "كتاب الإيمان"، ومسلم من طرق (1).

قال قتادة رحمه الله: أشياء استأثر الله بهن، فلم يُطلع عليهن ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر، أو ليل أو نهار، ﴿وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيُولِجُ﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلاً أو نهاراً، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾، فلا يعلم أحد ما في الأرحام، أذكر أم أنثى أحمر أو أسود، وما هو، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾، خير أم شر ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض أفي بحر أم بر أو سهل أو جبل؟ (2).

وقد جاء في السنن: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا قضى الله منية عبدٍ بأرضٍ جعل له إليها حاجة) (3).

وفي مسند أحمد مرفوعاً: (إذا أراد الله قبض روح عبدٍ بأرضٍ، جعل له فيها حاجة أو قال بها حاجة) (4).

1- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان، والإسلام والإحسان، وعلم الساعة. رقم الحديث (50). (19/1). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام، والقدر وعلامة الساعة. رقم الحديث (8). (36/1).

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (226/10).

3- سنن الترمذي. باب ما جاء أن النفس تموت حيث ما كتب لها. رقم الحديث (2146). (21/4).

4- مسند أحمد. رقم الحديث (15539). (30/24).

## تفسير سورة السجدة

وهي مكية.

قال عطاء<sup>(1)</sup>: إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ إلى آخرها<sup>(2)</sup>.

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في الفجر يوم الجمعة: ﴿الْم تَنْزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾<sup>(3)</sup><sup>(4)</sup>.

وعن جابر قال: (كان النبي - صلى الله عليه وسلم - لا ينام حتى يقرأ ﴿الْم تَنْزِيلُ﴾ السجدة و﴿تَبْرَكَ الَّذِي يَدِيَهِ الْمُلْكُ﴾<sup>(5)</sup>. تفرد به أحمد<sup>(6)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِمَّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

سبق البحث عن حروف أوائل السور في أول سورة "البقرة"<sup>(7)</sup>.

وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك فيه ولا مرية أنه منزل ﴿مِنْ رَبِّ﴾

1- هو: عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني القاص مولى ميمونة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - روى عن أبي ذر وأبي الدرداء وأبي هريرة وزيد بن خالد الجهني وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأبي رافع مولى النبي - صلى الله عليه وسلم - وعائشة وجماعة روى عنه: أبو سلمة بن عبد الرحمن وهو من أقرانه ومحمد بن عمر بن عطاء وآخرون. كان مولده سنة 19 ومات سنة 103 وكان موته بالإسكندرية. ينظر: تهذيب التهذيب (218/7).

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (245/10).

3- سورة الإنسان، من الآية 1.

4- صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة. رقم الحديث (891). (5/2). صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة. رقم الحديث (880). (599/2).

5- سورة الملك، من الآية 1.

6- مسند أحمد. رقم الحديث (14659). (26/23).

7- ينظر: اللوحة رقم 9-أ/ من المخطوط

الْعَلَمِينَ، ثم قال مخبراً عن المشركين: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ أي: اختلقه من تلقاء نفسه ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ أي: لم يأتهم نذير من قبلك. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى -عليه السلام- ومحمد صلى الله عليه وسلم (1).

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: يتبعون الحق.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مَن وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤) يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٦﴾. أخبر تعالى: أنه الخالق للأشياء، ف﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾. وقد سبق الكلام على ذلك.

﴿مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مَن وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ أي: بل هو المالك لأزمة الكون، الخالق لكل شيء ومدبره وقاهره، فلا ولي لخالقه سواه، ولا شفيع إلا من بعد إذنه. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يعني: أيها العابدون غيره، المتوكلون على من عداه تقدره وتنزهه أن يكون له شريك أو نظير، أو وزير أو عدل.

وفي النسائي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ بيدي فقال: إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش في اليوم السابع فخلق التربة يوم السبت والجبال يوم الأحد، والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر وخالقه من أديم الأرض، بأحمرها وأسودها وطبيها وخبيثها من أجل ذلك جعل الله من آدم الطيب والخبيث) (2).

1- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (296/6).

2- السنن الكبرى للنسائي. باب سورة السجدة. رقم الحديث (11328). (213/10).

وروى مسلم نحوه (1).

وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي: ينزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة، وترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمئة سنة، وسمك السماء خمسمئة سنة، والملك يقطعها في طرفة عين؛ ولهذا قال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ذَلِكَ عِلْمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: المدبر لهذه الأمور الذي هو شهيد على أعمال عباده، يرفع إليه جليلها وحقيرها، هو ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي قد عزَّ كلَّ شيء فقهره وغلبه ودان له العباد والبلاد والرقاب، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين، فهو عزيز في رحمته رحيم في عزته.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٧) ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (٨) ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ﴾ وجعل لكم السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿﴾

يعني: إنه الذي أحسن خلق الأشياء وأثبتها وأكملها.

وقيل: أي: أحسن خلق كل شيء. فمنه تقديم وتأخير (2).

ثم شرع في ذكر خلق الإنسان فقال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ يعني: خلق أبا البشر آدم من طين.

1- ورد الحديث في صحيح مسلم، ولفظه: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِي فَقَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الثَّانِيَيْنِ وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِي آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ). كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم ﷺ. رقم الحديث (2789).

(2149/4).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (321/6).

﴿ ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُؤْلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ﴾ أي: يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة.

﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ ﴾ يعني: آدم، لما خلقه من تراب خلقه سويا مستقيما ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾، يعني: العقول ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: بهذه القوى التي يرزقها الله فالسعيد مَنْ استعملها في طاعة ربه.

﴿ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَنُوفِّئُكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

أخبر تعالى: عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث ﴿ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت، ﴿ آءِذَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾؟ أي: إنا لنعادُ بعد تلك الحال، يستبعدون ذلك، وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قُدْرَتِهِم العاجزة، لا بالنسبة إلى قُدْرَةِ الذي بدأهم وخلقهم وواجدهم من العدم؛ ولهذا قال: ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ أي: بالبعث بعد الموت.

ثم قال: ﴿ قُلْ يَنُوفِّئُكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾، الظاهر أن ملك الموت شخص معين من الملائكة، كما نطقت به هذه الآية، ويتبادر إلى الذهن من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة "إبراهيم"<sup>(1)</sup>، واسمه على ما هو المشهور عزرائيل. قال قتادة- رحمه الله- وغيره: وله أعوان<sup>(2)</sup>.

كما ورد في الحديث (أن أعوانه ينتزعون الروح من سائر الجسد، حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت)<sup>(3)</sup>.

قال مجاهد رحمه الله: طُويت له الأرض فجعلت له مثل الطست، يتناول منها حيث يشاء<sup>(4)</sup>.

1- ينظر: اللوحة /242-أ/ من المخطوط.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/322).

3- مسند أحمد. رقم الحديث (18534). (30/499).

4- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/236).

وعن جعفر بن محمد<sup>(1)</sup> - رحمه الله - قال: سمعت أبي يقول: (نظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ملك الموت عند رجل من الأنصار، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يا ملك الموت، ارفق بصاحبي فإنه مؤمن" فقال ملك الموت: يا محمد، طِبُّ نَفْسًا وَقَرَّ عَيْنًا فَإِنِّي بِكُلِّ مُؤْمِنٍ رَفِيقٌ وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدْرٌ وَلَا شَعْرٌ، فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، إِلَّا وَأَنَا أَتَصَفِّحُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ حَتَّى إِنِّي أَعْرِفُ بِصَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ مِنْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ يَا مُحَمَّدُ لَوْ أَنِّي أُرَدْتُ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَ بَعُوضَةٍ مَا قَدَّرْتُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الْأَمْرُ بِقَبْضِهَا)<sup>(2)</sup>.

قال جعفر رحمه الله: بلغني أنه إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة، فإذا حضر عند الموت فإن كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك، ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" في تلك الحال العظيمة<sup>(3)</sup>.

وقال كعب الأحمبار<sup>(4)</sup>: والله ما بيتٌ فيه أحدٌ من أهل الدنيا إلا وملك الموت يقوم على بابه كل يوم سبع مرات. ينظر هل فيه أحد أمر به يتوفاه. رواه ابن أبي حاتم<sup>(5)</sup>.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم معادكم وقيامكم من قبوركم.

1- هو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - كنيته أبو عبد الله يروى عن: أبيه وكان من سادات أهل البيت فقها وعلما وفضلا روى عنه: الثوري ومالك وشعبة والناس وكان مولده سنة ثمانين سنة سيل الجفاف الذي ذهب بالحاج من مكة، ومات سنة 148 وهو بن ثمان وستين سنة. ينظر: الثقات لابن حبان. (131/6).

2- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. (3105/9).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (322/6).

4- هو: كعب بن ماتب بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في خلافة عمر - رضي الله عنه - فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، عن مئة وأربع سنين. ينظر: تهذيب التهذيب (438/8).

5- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. (3105/9).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا  
نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ  
جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ  
وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

أخبر تعالى: عن حال المشركين يوم القيامة، وحالهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله حقيرين ذليلين، ناكسي رؤوسهم، أي: من الحياء والخجالة يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي: نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك.

﴿فَارْجِعْنَا رَبَّنَا﴾ أي: إلى الدار الدنيا، ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: قد أيقنا وتحققنا أن وعدك حق ولقاءك حق، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى الدنيا لكانوا فيها كما كانوا فيها كفاراً مكذبين بآيات الله ومخالفين لرسوله، كما قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا هُوَ عَنَّهُمْ لِكَذِبُوْنَ﴾ (1).

ثم قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ أي: رشدها وتوفيقيها.

﴿وَلَٰكِن حَقَّ﴾ أي: وجب ﴿الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من الصنفين قد خلقهم للنار لا مفر لهم عنها ولا محيص لهم منها، نعوذ بالله من ذلك.

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: يقال لهم على سبيل التقرير والتوبيخ ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به، واستبعادكم وقوعه، وتناسيكم له؛ إذ عاملتموه معاملة من هو ناسٍ له، ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي: سنعاملكم معاملة الناسي؛ لأنه لا ينسى شيئاً ولا يضل عنه شيء، بل هذا من باب المقابلة، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَسْنَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ (2).

1- سورة الأنعام، من الآية 28.

2- سورة الجاثية، من الآية 34.

وقوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال في آية أخرى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (1).

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧).

يعني: إنما يصدق بها ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي: استمعوا لها وأطاعوها قولاً وفعلاً سقطوا على وجوههم ساجدين ﴿وَسَبَّحُوا﴾ أي: صلوا وتلفظوا ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: عن اتباعها والانقياد لها، كما يفعله الجهلة من الكفرة و الفجرة.

ثم قال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ يعني: بذلك قيام الليل، وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة، قال بعضهم: هو الصلاة بين العشاءين (2). وقال أنس رضي الله عنه: هو انتظار صلاة العتمة (3). رواه ابن جرير. وقيل: هو صلاة العشاء في جماعة، وصلاة الغداة في جماعة (4).

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: خوفاً من ويل عذابه، وطمعاً في جزيل ثوابه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية، ومتقدم هؤلاء وسيدهم في الدارين محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

وَقِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ  
إِذَا انشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعٌ  
أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقَلُّوبُنَا  
بِهِ مَوْقِنَاتٌ أَنْ مَا قَالَ وَاقِعٌ

1- سورة النبأ، الآية 30.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (324/6).

3- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (239/10).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (324/6).

بَيْتٌ يُجَافِي جَنْبَهُ عَن فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَنْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ (1)

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (عجب ربنا من رجلين: رجل ثار من وطأته ولحافه، من بين حياءه وأهله إلى صلاته، رغبةً فيما عندي، وشفقاً مما عندي ورجل غزا في سبيل الله، فانهزموا فعلم ما عليه من الفرار، وما له في الرجوع، فرجع حتى أهرىق دمه، رغبةً فيما عندي ورهبةً مما عندي، حتى أهرىق دمه). رواه أحمد وأبو داود (2).

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: (كنت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر فأصبحت قريباً منه، ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال: " ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل". ثم تلا: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ثم قال: " ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ " فقلت: بلى، يا رسول الله فقال: " رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد "، ثم قال: " ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ " فقلت: بلى، يا نبي الله، فأخذ بلسانه، ثم قال: " كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا "، فقلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال: تكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم). رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه (3).

1- البيت من الطويل وهو لعبد الله بن رواحة في صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى. رقم الحديث (1155). (54/2).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (3949). (61/7). سنن أبي داود. باب في الرجل يشري نفسه. رقم الحديث (2536). (19/3).

3- مسند أحمد. رقم الحديث (22016). (344/36). سنن الترمذي. باب ما جاء في حرمة الصلاة. رقم الحديث (2616). (4/308). السنن الكبرى للنسائي. باب قوله تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾. رقم الحديث (11330). (10/214). سنن ابن ماجه. باب كف اللسان في الفتنة. رقم الحديث (3973). (2/1314).

وعن أسماء بنت يزيد<sup>(1)</sup> - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، جاء مناد فنادى بصوت يُسمعُ الخلائق: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم، ثم يرجع فينادي: ليقم الذين كانت ﴿تُجَافِي جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ﴾ الآية فيقومون وهم قليل). رواه ابن أبي حاتم<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾ أي: فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لَمَّا أخفوا أعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب، جزاءً وفاقاً؛ فإن الجزاء من جنس العمل. قال الحسن رحمه الله: أخفى قوم عملاً فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر. رواه ابن أبي حاتم<sup>(3)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة رضي الله عنه: فاقروا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾). رواه في الصحيحين<sup>(4)</sup>.

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - <sup>(5)</sup> قال: (شهدت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال في آخر حديثه:

1- هي: أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية وهي ابنة عمه معاذ بن جبل. قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاطها. روى عنها شهر بن حوشب، ومجاهد، وإسحاق بن راشد، ومحمود بن عمرو وغيرهم. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (16/7).

2- شعب الإيمان للبيهقي. رقم الحديث (2974). (538/4)

3- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. (3107/9).

4- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. رقم الحديث (3244). (118/4). صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. رقم الحديث (2824). (2174/4).

5- هو: سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، وشهد قضاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المتلعة، وأنه فرق بينهما، وكان اسمه حزناً، فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سهلاً، قال الزهري: رأى سهل بن سعد النبي - صلى الله عليه وسلم - وسمع منه، وذكر أنه كان له يوم توفي النبي - صلى الله عليه وسلم - خمس عشرة سنة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. (575/2).

فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قرأ الآية: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ إلى قوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾. رواه مسلم وأحمد<sup>(1)</sup>.

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه<sup>(2)</sup>: يرفعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (سأل موسى - عليه السلام - ربه تعالى: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله، ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتتهت نفسك وتلذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: رب فأعلامهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، قال: و مُصَدِّقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. رواه مسلم<sup>(3)</sup>.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوِينَ﴾<sup>(١٨)</sup> أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَ لَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا لَهُمْ نَارُ كَلِمًا أَرَادُوا أَن يُخْرِجُوا مِنْهَا أَعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِيِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾.

1- صحيح مسلم. كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. رقم الحديث (2825). (2175/4). مسند أحمد. رقم الحديث (22826). (482/37-483).

2- هو: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس، وهو تقيف. يكنى أبا عبد الله. وقيل: أبو عيسى. وأمه أمامة بنت الأرقم أبي عمر، ومن بنى نصر بن معاوية. أسلم عام الخندق، وشهد الحديبية، وتوفي بالكوفة سنة خمسين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (4/471-473).

3- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها. رقم الحديث (189). (176/1).

أخبر تعالى: عن عدله وكرمه أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾ بآياته متبعًا لرسله، بمن ﴿كَانَ فَاسِقًا﴾ أي: خارجا عن طاعة ربه مكذبا لرسله، كما قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (1).

ولهذا قال هاهنا: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ أي: عند الله يوم القيامة.

قالوا: نزلت في علي بن أبي طالب، وعقبة بن أبي معيط؛ ولهذا فصل حكمهم فقال: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها.

﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾ أي: التي فيها المساكن والدور والغرف العالية ﴿نُزُلًا﴾ أي: ضيافة وكرامة ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ أي: خرجوا عن الطاعة ﴿فَمَا وَهُمْ نَارُ طُ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾.

قال فضيل بن عياض (2) رحمه الله: والله إن الأيدي لموتقة، وإن الأرجل لمقيدة، وإن اللهب ليرفعهم والملائكة لتقمعهم (3).

﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريبا وتوبيخا.

وقوله: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى﴾.

1- سورة ص، الآية 28.

2- هو: الفضيل بن عياض الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو علي التميمي اليربوعي المروزي شيخ الحرم: حدث عن منصور بن المعتمر وبيان بن بشر وغيرهم. روى عنه ابن المبارك ويحيى القطان وخلق كثير. سكن مكة وكان إماما ربانيا صمدانيا فانتا ثقة كبير الشأن. قيل: توفي الفضيل يوم عاشوراء سنة سبع وثمانين ومائة. ينظر: تذكرة الحفاظ (181/1).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (329/6).

قال ابن عباس- رضي الله عنه - وكثيرون: يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتهما، وما يحل بأهلها مما يبئلي الله به عباده ليتوبوا إليه، ومن إقامة الحدود عليهم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: سنون أصابتهم وما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر.

قال السُّدِّي رحمه الله: لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير فأصيبوا أو غرموا، ومنهم مَنْ جمع له الأمران.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي: لا أظلم ممن ذكَّره الله بآياته وبينها ووضحها له، ثم بعد ذلك تركها وجدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها.

قال قتادة رحمه الله: إياكم والإعراض عن ذكر الله، فإن مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ فَقَدْ اغْتَرَّ أَكْبَرَ الْغُرَّةِ، وَأَعْوَزَ أَشَدَّ الْعَوَزِ، وَعَظَمَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ (1). ولهذا قال تعالى: متهددا لمن فعل ذلك ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرون.

﴿مُنْتَقِمُونَ﴾ أي: سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيْمَةَ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤) ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢٥).

أخبر تعالى: عن موسى، الكليم-عليه السلام- أنه آتاه الكتاب وهو التوراة.

وقوله: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾.

قال قتادة رحمه الله: يعني به ليلة الإسراء (2).

وفي الصحيحين: عن النبي صلى الله عليه وسلم: (رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى، رَجُلًا آدَمَ طَوَّالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (330/6).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (331/6).

الخلق، إلى الحمرة والبياض سبط الرأس، ورأيت مالكا خازن النار والدجال، في آياتٍ أراهنَّ الله إياه ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ أي: من أنه رأى موسى، وإياهم ليلة المعراج<sup>(1)</sup>.

وقال السدي رحمه الله: أي: من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول<sup>(2)</sup> وهو المراد بقوله: في الحديث من لقاء موسى ربه<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: الكتاب الذي آتيناها، كما قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(4)</sup>.

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، قال: (جعل موسى هدى لبني إسرائيل، وفي قوله: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ قال: من لقاء موسى). رواه الطبراني<sup>(5)</sup> رحمه الله.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ أي: لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك زواجه وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ثم لما بدلوا وحرّفوا، سلب ذلك المقام عنهم، فصارت قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعه، فلا عمل صالحاً، ولا اعتقاد صحيحاً؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: من الاعتقادات والأعمال.

1- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء. رقم الحديث (3239).

(116/4). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات

وفرض الصلوات. رقم الحديث (2824). (2174/4).

2- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (309/6).

3- المعجم الكبير للطبراني. رقم الحديث (12758). (160/12).

4- سورة الإسراء، من الآية 2.

5- المعجم الكبير للطبراني. رقم الحديث (12758). (160/12).

﴿أَوْلَمْ يَهْدِهِمْ كَمَا أَهَلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٦٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

يعني: أولم نبيين لهؤلاء المكذبين بالرسول ما أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياهم، فلم يبق منهم باقية ولا أثر؛ ولهذا قال: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾ أي: وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين فلا يرون فيها أحداً ممن كان يسكنها ويعمرها، ذهبوا منها، ﴿كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾<sup>(1)</sup>؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: إن في ذهاب أولئك القوم وهلاكهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل، ونجاة من آمن بهم لآيات وعبرا ومواعظ.

﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: أخبارهم، كيف كانت؟.

وقوله: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: بين تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إرساله الماء إما من السماء أو من الأنهار والعيون إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته؛ ولهذا قال: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾، وهي التي لا نبات فيها وهي أعم من أرض مصر وغيرها، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة محتاجة إلى ري أي: موضع كانت ولهذا قال ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: من القوت والعشب والتبن ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ أي: من الحبوب والأقوات ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: آثار قدرته ولطفه بخلقه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الأرض التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً، إلا ما يأتيها من السيول<sup>(2)</sup>.

وقال الحسن رحمه الله: هي قرى فيما بين اليمن والشام<sup>(3)</sup>.

1- سورة الأعراف، من الآية 92.

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/252).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/333).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ ﴿٣٠﴾ وَأَنْتَظِرُوكُمْ﴾ (٣٠).

أخبر تعالى: عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم، وحلول غضبه ونقمته عليهم استبعادًا وتكذيبًا وعنادًا، فقال: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾؟ أي: متى تنصر علينا يا محمد؟ كما تزعم أن لك وقتًا يُدَال علينا، ويُنتقم لك منا، فمتى يكون هذا؟.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ أي: إذا حلَّ بكم بأس الله وسَخَطه وغضبه في الدنيا وفي العقبى، ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: يمهلون ليتوبوا ويعتذروا ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أخطأ وأبعد، فإن يوم الفتح قد قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريبًا من ألفين، ولو كان المراد ذلك لما قبل إسلامهم، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل، كقوله تعالى: ﴿فَأَفْنَحُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ (1) الآية.

وقال: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ (2).

ثم قال: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ أي: عن هؤلاء المشركين، ﴿وَأَنْتَظِرُوكُمْ﴾ فإن الله سينجز لك ما وعدك، وسينصرك على من خالفك، إنه لا يخلف الميعاد. فإنك منتظر، وهم منتظرون، ويتربصون بكم الدوائر، وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله، في نصرتك وتأييدك، وسيجدون غبها ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك، من وبيل عقاب الله لهم، وحلول عذابه بهم.

1- سورة الشعراء، من الآية 118.

2- سورة الأنفال، من الآية 19.

## تفسير سورة الأحزاب

وهي مدنية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَّيِبُهَا لِنَبِيِّ اتَّقَى اللَّهَ وَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾  
وَأَتَّبِعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ  
وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾.

هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنه - تعالى - إذا كان يأمر عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بهذا فلأن ياتم من دونه بطريق الأولى. وقد قال طلق بن حبيب<sup>(1)</sup> رحمه الله: التقوى، أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: لا تسمع منهم ولا تستشرهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: هو أحق أن تتبع أو امره وتطيعه، فإنه عليم بعواقب الأمور، حكيم في أفعاله و أقواله؛ ولهذا قال: ﴿وَأَتَّبِعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: من قرآن وسنة، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: فلا تخفى عليه خافية. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، في جميع أمورك وأحوالك، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، لمن توكل عليه وأتاب إليه.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وما جعل أزواجكم التي تظهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾

1- هو: طلق بن حبيب العنزي، سمع جابرا وعن ابن الزبير، روى عنه مصعب بن شيبة وعمر بن دينار حدثنا مسدد نا حماد بن زيد عن أيوب: ما رأيت أحدا أعبد من طلق بن حبيب فرأني سعيد ابن جبير جالسا معه فقال: ألم أرك مع طلق؟ لا تجالس طلقا، وكان طلق يرى الإرجاء. ينظر: تهذيب التهذيب (31/5).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (335/6).

أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾

قال تعالى: موطناً قبل المقصود المعنوي أمراً معروفاً حسياً، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصوير زوجته التي يظاهر منها بقوله: أنت عليّ كظهر أمي، أمّا له، كذلك لا يصير الدّعيّ ولداً للرجل إذا تبناه فدعاه ابناً له، فقال: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وما جعل أزواجكم التي تظهرون منهن أمهتكم، كقوله تعالى: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّاتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ (1).

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ هذا هو المقصود بالنفي؛ فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة (2) - رضي الله عنه - مولى النبي - صلى الله عليه وسلم - كان قد تبناه قبل النبوة (3)، فكان يقال له: "زيد بن محمد" فأراد الله - تعالى - أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ كما قال في أثناء السورة: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ (4) وقال هاهنا: ﴿ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ يعني: تبنيكم لهم قولاً لا يقتضي أن يكون ابناً حقيقياً، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر فما يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

1- سورة المجادلة، من الآية 2.

2- هو: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن لحياف بن قضاة. وهو مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل زيد في مؤتة من أرض الشام في جمادى من سنة ثمان من الهجرة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (129/2-131).

3- ينظر: أسباب نزول القرآن للواحي. (352/1).

4- سورة الأحزاب، من الآية 40.

قال ابن جبير رحمه الله: الحق العدل، وقال قتادة: أي: يهدي إلى الصراط المستقيم. قال ابن عباس- رضي الله عنه - وغير واحد: أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش، كان يقال له: " ذو القلبين "، وأنه كان يزعم أن له قلبين، كل منهما بعقل وافر، فأنزل الله هذه الآية رداً عليه (1). واختاره ابن جرير (2).

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما - قال: (قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً يصلي، فخطرَ خطرَةً، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترون له قلبين، قلباً معكم وقلباً معهم؟ فأنزل الله: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾). رواه أحمد والترمذي (3).

وقوله: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾ هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأعداء، فأمر تعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة وأن هذا هو العدل والقسط.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن زياداً بن حارثة مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾) (4).

وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه، في الخلوة بالمحارم وغير ذلك ولهذا لما نسخ هذا الحكم، أباح تعالى زوجة الدعي، وتزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بزینب بنت جحش (5) مطلقة زيد بن حارثة- رضي الله عنه- وقال

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (336/6).

2- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (255/10).

3- سنن الترمذي. رقم الحديث (3199). (348/5).

4- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ادعواهم لآبائهم هو أقسط عند الله. رقم الحديث (4782).

(116/6). صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - باب: فضائل زيد بن حارثة

وأسماء بن زيد رضي الله عنهما. رقم الحديث (2425). (1884/4).

5- هي: زينب بنت جحش زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أخت عبد الله بن جحش. وهي أسدية من أسد بن

خزيمة، وأمها أميمة بنت عبد المطلب، عمة النبي - صلى الله عليه وسلم - وتكنى أم الحكم. توفيت سنة

عشرين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (126/7).

تعالى: ﴿لَكِنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعَايَهُمْ﴾<sup>(1)</sup> الآية.

وأما دعوة الغير ابناً على سبيل التكريم والتحبيب، فليس مما نهى عنه في هذه الآية بدليل ما روى ابن عباس - رضي الله عنه - قال: (قدمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أغيلمة<sup>(2)</sup> بني عبد المطلب على حُمُرَاتٍ لَنَا مِنْ جَمْعٍ، فَجَعَلَ يَلْطَخُ أَفْخَانَنَا وَيَقُولُ: أُبَيْنِي لَا تَرْمُوا الْجَمْرَةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ)<sup>(3)</sup>.

قال أبو عبيد<sup>(4)</sup> رحمه الله: "أُبَيْنِي" تصغير لبني<sup>(5)</sup>. وكان هذا في حجة الوداع.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾، أمر تعالى: ببرد أنساب الأدعياء إلى آبائهم، إن عرفوا، فإن لم يعرفوا آباءهم، فهم إخوانهم في الدين ومواليهم، أي: عوضاً عما فاتهم من النسب، ولهذا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لزيد بن حارثة رضي الله عنه: (أنت أخونا ومولانا)<sup>(6)</sup>.

1- سورة الأحزاب، من الآية 37.

2- مادة (غلم): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَغِيلْمَةَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنْ جَمْعِ بَلِيلٍ ثُمَّ جَعَلَ يَلْطَخُ أَفْخَانَنَا بِيَدِهِ وَيَقُولُ: أُبَيْنِي لَا تَرْمُوا جَمْرَةَ الْعُقْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ. الْأَغِيلْمَةُ: تَصْغِيرُ أَعْلَمَةٍ قِيَاسًا كَمَا أَنَّ أُصْبِيَّةَ تَصْغِيرُ أُصْبِيَّةٍ وَلَمْ تَسْتَعْمَلْ إِثْمًا الْمُسْتَعْمَلُ غَلْمَةٌ وَصِيبَةٌ. يَنْظُرُ: الْفَائِقُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ، مَحْمُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الزَّمْخَشَرِيِّ، دَارُ الْمَعْرِفَةِ - لُبْنَانُ ط2 تح: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم. (74/3).

3- سنن أبي داود: بَابُ التَّعْجِيلِ مِنْ جَمْعٍ. رَقْمُ الْحَدِيثِ (1940). (194/2). سنن النسائي. باب النهي عن رمي جمرة العقبة قبل طلوع الشمس. (3064). (270/5).

4- هو: القاسم بن سلام الأزدي. مولاهم. أبو عبيد، الإمام في الفنون، أخذ عن الكسائي، وعن شجاع بن نصر وعن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي واليزيدي وابن الأعرابي وغيرهم. جاور بمكة إلى أن توفي سنة أربع وعشرين ومائتين. ومن تصانيفه: الغريب المصنف، وغريب الحديث، وكتاب الأموال وكتاب الأمثال وغير ذلك. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي دار النشر/ جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - 1407 ط1، تح: محمد المصري (233/1-234).

5- ينظر: غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، دار الكتاب العربي - بيروت ط1، 1396 تح: د. محمد عبد المعيد خان. (129/1).

6- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء. رقم الحديث (4251). (141/5).

وقد جاء في الصحيح: (من ادعى لغير أبيه، وهو يعلمه، فالجنة عليه حرام)<sup>(1)</sup>.

ثم قال: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ أي: إذا نسبتهم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ، بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع؛ فإن الله قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمه، كما جاء في الحديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان)<sup>(2)</sup>.  
وقوله: ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: وإنما الإثم على من تعدد الباطل في الادعاء إلى غير أبيه، بعد النهي ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لمن تاب وندم على ذلك.

﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾<sup>(3)</sup>.

قد أعلم الله شفقة رسوله - صلى الله عليه وسلم - على أمته، ونصحته لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم وحكمه فيهم مقدماً على اختيارهم لأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(3)</sup> الآية.  
وفي الصحيح: (والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين)<sup>(4)</sup>.

ولهذا قال - تعالى - في هذه الآية: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما من

1- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم. رقم الحديث (61). (79/1).

2- سنن ابن ماجه. باب: طلاق المكره والناسي. رقم الحديث (2043). (659/1).

3- سورة النساء، من الآية 65.

4- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الإيمان. رقم الحديث (14). (12/1).

مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾. رواه البخاري (1).

وقوله: ﴿وَأَرْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع، وإن سمي بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين.

وقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في حكم الله. ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار. وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم.

كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره: كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه للأخوة التي آخى بينهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (2).

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ أي: ذهب الميراث، وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية.

وقوله: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْأَكْتَابِ مَسْطُورًا﴾ أي: هذا الحكم، وهو أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض، حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول الذي لا يبدل، ولا يغير، وإن كان تعالى شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار في قدره الأزلي، وقضائه القدري الشرعي.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾.

1- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}. رقم الحديث (4781). (116/6).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (341/6).

أخبر تعالى: عن أولي العزم الخمسة، وبقية الأنبياء: أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله، وإيلاغ رسالته، والتعاون و التناصر والاتفاق، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾، فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة، وهم أولو العزم، وهو من باب عطف الخاص على العام، فبدأ بخاتمهم؛ لشرفه، ثم رتبهم بحسب وجودهم.

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال: (قال النبي - صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ﴾ الآية: كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث، فبدأ بي قبلهم). رواه ابن أبي حاتم (1).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه - موقوفاً: (خيار ولد آدم خمسة نوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد، وخيرهم محمد (صلى الله عليه وسلم) (2).

وقيل: إن المراد بهذا الميثاق الذي أخذ من ذريته حين أخرجوا في صورة الذر من صلب آدم (3).

وعن أبي بن كعب (4) قال: ورفع أباهم آدم، فنظر إليهم يعني: ذريته وأن فيهم الغني والفقير، وحسن الصورة، ودون ذلك، فقال: رب، لو سويت بين عبادك؟ فقال: إني أحببت أن أشكر، وأرى فيهم الأنبياء مثل السرج، عليهم النور، وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة، فهو الذي يقول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ﴾ الآية. وبه قال مجاهد رحمه الله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الميثاق الغليظ، العهد (5). أي: عهداً شديداً

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (342/6).

2- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار للبخاري. رقم الحديث (9737). (141/17).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (342/6).

4- هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار. شهد العقبة وبدراً روى عنه عبادة بن الصامت، وابن عباس، وغيرهم. وقيل: إنه مات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين والأكثر أنه مات في خلافة عمر. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. (186/1).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (342/6).

على الوفاء بما حملوا.

﴿لَسْتَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾. قال مجاهد رحمه الله: أي: المبلغين المؤدين عن الرسل (1).

وقوله: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: من أممهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: موجعاً، فنحن نشهد أن الرسل قد بلغوا رسالة ربهم، ونصحوا الأمم فيما جاءوا به، ومن خالفهم فهو على الضلال.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾﴾.

أخبر تعالى: عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين، في صرف الأعداء عنهم تحزبوا عليهم في شوال سنة خمس من الهجرة على الأصح، وهو عام الخندق قيل: كانت في سنة أربع (2)، وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرًا من أشرف يهود بني النضير (3)، الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المدينة إلى خيبر، منهم: سلام بن أبي الحقيق (4) وسلام بن مشكم (5)، وكنانة بن

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (343/6).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (343/6).

3- وهم جماعة من اليهود، سكنوا حصنا قريبا من المدينة فتحه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحرق نخلهم. ينظر: الأنساب. لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، تح: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر. (502/5).

4- هو: سلام بن أبي الحقيق وقيل عبد الله بن أبي الحقيق اليهودي، لعنه الله. قال البكائي، عن ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة، كان سلام بن أبي الحقيق أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. دار الكتاب العربي. بيروت. 1407هـ - 1987م، ط1، تح: د. عمر عبد السلام تدمري. (341/2).

5- هو: سلام بن مشكم بن الحكم بن حارثة بن الخزرج بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب، كان زوج صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير زوج الرسول - صلى الله عليه وسلم - ينظر: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم بن علي =

الربيع<sup>(1)</sup>، خرجوا إلى مكة فاجتمعوا بأشراف قريش وانفقوا على حرب النبي - صلى الله عليه وسلم - ووعدهم من أنفسهم النصر والإعانة، فأجابوهم إلى ذلك ثم خرجوا إلى غطفان<sup>(2)</sup>، فدعوهم فاستجابوا لهم أيضاً. وخرجت قريش في أحابيشها، ومن تابعها، وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب<sup>(3)</sup> وعلى غطفان عيينة بن حصن<sup>(4)</sup>، والجميع قريب من عشرة آلاف، فلما سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق وذلك بإشارة سلمان الفارسي، فعمل المسلمون فيه واجتهدوا ونقل معهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التراب وحفر وكان في حفره ذلك آيات بينات.

أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الروبغعي الإفريقي تح: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا الطبعة: الأولى، 1402 هـ - 1984م. (272/2).

1- هو: كنانة بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف العشمي هو الذي خرج بزئيب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما سيرها زوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة، وهو ابن أخي أبي العاص. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (472/4).

2- غطفان: قبيلة عدنانية، كانت منازلهم بنجد، مما يلي وادي القرى وجبل طيئ. ومن ديارهم: ذو أرل والهباءة، ومن جبالهم: ضرغد، ومن أوديتهم: «الرمة»، كانوا يعبدون العزى في الجاهلية. ينظر: المعالم الأثرية في السنة والسيرة محمد بن محمد حسن شراب، دار القلم والدار الشامية - دمشق - بيروت، ط1، 1411هـ. (209/1).

3- هو: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، وهو والد يزيد ومعاوية وغيرهما. ولد قبل الفيل بعشر سنين، وكان من أشرف قريش، كان من المؤلفين، وحسن إسلامه وتوفي في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (148/5-149).

4- هو: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لؤذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان الفزاري، أسلم قبل الفتح، وشهد حنيناً أو الطائف أيضاً. وكان ممن ارتد وتبع طليحة الأسدي، وقاتل معه. فأخذ أسيراً، وحمل إلى أبي بكر رضي الله عنه - فكان صبيان المدينة يقولون: يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك؟! فيقول ما آمنت بالله طرفة عين. فأسلم، فأطلقه أبو بكر. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (31/4).

وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريباً من أحد، ونزلت طائفة منهم في أعالي أرضي المدينة، كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن معه من المسلمين، في نحو من ثلاثة آلاف فأسندوا ظهورهم إلى سلع ووجههم إلى نحو العدو، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم يحجب الفرسان والرجالة أن تصل إليهم، وجعل النساء و الذراري في أطام المدينة، وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرقي المدينة، ولهم عهد من النبي - صلى الله عليه وسلم - وزمة، وهم قريب من ثمانئة مقاتل فذهب إليهم حبي بن أخطب النضري<sup>(1)</sup>، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، ولحقوا بالأحزاب، فعظم الخطب واشتد الأمر، وضاق الحال، كما قال الله تعالى: ﴿هَٰلِكَ أَتَى الْمُؤْمِنُونَ زُلْزَلًا شَدِيدًا﴾.

ومكثوا محاصرين للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه قريباً من شهر إلا أنهم لا يصلون إليهم ولم يقع بينهم قتال، إلا أن عمرو بن عبد ود العامري<sup>(2)</sup> وكان من الشجعان المشهورين في الجاهلية ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق وخلصوا إلى ناحية المسلمين، فندب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليه، فأمر علياً - رضي الله عنه - فخرج إليه، فتجاولا ساعة، ثم قتله علي - رضي الله عنه - فكان علامة على النصر.

ثم أرسل الله على الأحزاب ريحاً شديدة الهبوب، حتى لم تبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد لهم نار، ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾.

1- هو: حبي بن أخطب النضري: جاهلي، من الأشداء العتاة. كان ينعت بسيد الحاضر والبادي. أدرك الإسلام وأذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة، ثم قتلوه. ينظر: الأعلام للزركلي. (2/292).

2- هو: عمرو بن عبد ود العامري، من بني لؤي، من قريش: فارس قريش و شجاعها في الجاهلية. أدرك الإسلام ولم يسلم، وعاش إلى أن كانت وقعة الخندق فحضرها وقد تجاوز الثمانين، فقتله علي بن أبي طالب. ينظر: الأعلام للزركلي. (5/81).

قال مجاهد رحمه الله: هي الصبا<sup>(1)</sup>.

ويؤيده الحديث الآخر: (نصرت بالصبا، وأهلك عاد بالدبور)<sup>(2)</sup>.

﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة، زلزلت بهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول: يا بني فلان إليّ، فيجتمعون إليه فيقول: النجاء، النجاء. لما ألقى الله من الرعب في قلوبهم.

وفي صحيح مسلم أن رجلاً قال لحذيفة بن اليمان<sup>(3)</sup> رحمه الله: (لو أدركتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاتلتُ معه فأبليتُ، فقال له حذيفة: أنت كنتَ تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ليلة ذات ريح شديدة وقرٌّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا رجل يأتي بخبر القوم، يكون معي يوم القيامة؟"، فلم يجبه منا أحد، ثم الثانية، ثم الثالثة مثلهن ثم قال: " يا حذيفة قم فأتنا بخبر من القوم"، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم فقال: " انتتني بخبر القوم، ولا تدعهم عليّ"، فمضيت كأنما أمشي في حمّام حتى أتيتهم، فإذا أبو سفيان يصلى ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد قوسي، وأردت أن أرميه، ثم ذكرتُ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تدعهم عليّ"، ولو رميته لأصبته. قال: فرجعت كأنما أمشي في حمّام، فأنتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أصابني البرد حين فرغتُ وقررتُ فأخبرتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (344/6).

2- صحيح البخاري. باب: قول النبي - صلى الله عليه وسلم - نصرت بالصبا. رقم الحديث (1035). (33/2).

3- هو: حذيفة بن اليمان وهو حذيفة بن حسل. ويقال حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن مازن بن فطيمة بن عيس بن بغيض بن ريث بن غطفان أبو عبد الله العبسي واليمان لقب حسل بن جابر. روى عنه: ابنه أبو عبيدة، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم. كان موته بعد قتل عثمان بأربعين ليلة سنة 36هـ. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. (706/1).

وسلم - فألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائما حتى الصباح فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قم يا نومان" (1).

وقوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ﴾ أي: الأحزاب ﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ أي: من قبل المشرق، وهم أسد، وغطفان، ويهود قريضة ﴿وَمِنَ اسْفَلِ مِنْكُمْ﴾ وهم قريش وكنانة، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: مالت، وشخصت من الرعب

﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ أي: زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلقوم من الفزع والحجرة جوف الحلق، وهذه مبالغة في شدة الخوف على طريق التمثيل.

﴿وَتَطَّنُونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَ﴾ أي: اختلفت الظنون، فظن المنافقين استئصال المؤمنين وظن المؤمنون الظفر والنصر.

وعن أبي سعيد- رضي الله عنه - قال: قلنا يوم الخندق: (يا رسول الله، هل من شيء نقول، فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال: "نعم، قولوا: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا". قال: فضرب وجوه أعدائه بالريح، فهزمهم بالريح). رواه أحمد (2).

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (١١) ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢) ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٣).

أخبر تعالى: عن حال نزول الأحزاب حول المدينة، والمسلمون في غاية الجهد والضيق والحصار، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أظهرهم أنهم ابتلوا واختبروا.

﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ أي: اضطربوا وحركوا حركة شديدة، فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم.

1- صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب. رقم الحديث (1788). (3/1414).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (19996). (17/27).

﴿وَأَذِيْقُولُ الْمُتَنَفِقُونَ﴾ أي: عبد الله بن أبي (1) ومعتب بن قشير (2) وآخرون.  
 ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي: شك، وشبهة، وضعف فتتنفس بما يجده من  
 الوسواس في نفسه؛ لشدة ما هو فيه من ضيق الحال، ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾  
 وهو قول أهل المنافق، يعدنا محمد فتح قصور الشام، وفارس وأحدنا لا يستطيع أن  
 يجاوزَ رحله هذا والله الغرور.

وقوم آخرون قالوا كما قال تعالى: ﴿وَأَذِيْقَالَتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأَهَّلُ يَثْرِبَ﴾. يعني:  
 المدينة (3).

قال أبو عبيدة (4) رحمه الله: "يثرب" (5): اسم أرض، ومدينة الرسول - صلى  
 الله عليه وسلم - في ناحية منها (6).

1- هو: عبد الله بن أبي ابن سلول وكان رأس المنافقين وإليه يجتمعون وهو الذي قال: ﴿يَقُولُونَ لَنْ نَرَجِعَ إِلَى  
 الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابَ مِنْهَا الْأَذِلَّةَ﴾ في غزوة بني المصطلق. وفي قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها.  
 قال ابن إسحاق: وكان ممن تعوذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار يهود.  
 ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد  
 السهيلي، تح: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: ط1  
 1421هـ/2000م. (217-216/4).

2- هو: معتب بن قشير: بقاف ومعجمة مصغراً، ابن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن  
 عوف بن عمرو بن عوف بن الأوس الأنصاري الأوسي. ذكروه فيمن شهد العقبة. وقيل: إنه كان منافقاً  
 وإنه الذي قال يوم أحد: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَاهُنَا﴾. [آل عمران: 154] وقيل: إنه تاب.  
 ينظر: الأصابة في تميز الصحابة. (138-137/6).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (348/6).  
 4- هو: معمر بن المثنى التيمي أبو عبيدة النحوي البصري العلامة. قال الجاحظ في حقه: لم يكن في الأرض  
 خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم منه وكان المذكور يميل إلى مذهب الخوارج وكانت تصانيفه  
 تقارب مائتي مصنف منها كتاب مجاز القرآن وكتاب غريب القرآن وكتاب معاني القرآن وكتاب غريب  
 الحديث مصنفاته ومناقبه مذكورة في وفيات ابن خلكان. توفي سنة تسع أو عشر أو إحدى عشر أو ثلاث  
 عشرة ومائتين بالبصرة. ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي. (31-30/1).

5- يثرب: مدينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفريق يثرب بن  
 قانية بن مهلائيل ابن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح - عليه السلام - فلما نزلها رسول  
 الله - صلى الله عليه وسلم - سماها طيبة وطابة كراهية للتثريب، وسميت مدينة الرسول - صلى الله عليه  
 وسلم - لنزوله بها. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي. (430/5).

6- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (332/6).

وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم: (نهى أن تسمى المدينة يثرب وقال: "هي طابة")<sup>(1)</sup>.

كما في مسند أحمد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله، هي طابة، هي طابة)<sup>(2)</sup>.  
 قيل: وسميت "يثرب" برجل نزلها من العماليق<sup>(3)</sup>.

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ أي: هاهنا، يعنون عند النبي - صلى الله عليه وسلم - في مقام المرابطة ﴿فَارْجِعُوا﴾ أي: إلى بيوتكم ومنازلكم.

﴿وَيَسْتَعِزُّنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم بنو حارثة قالوا: بيوتنا نخاف عليها السرِّق<sup>(4)</sup>. قائله: هو أوس بن قبيظي<sup>(5)</sup>.

يعني: اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة، أي: ليس دونها ما يحجبها عن العدو، فهم يخشون عليها منهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ أي: ليست كما يزعمون، ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أي: هرباً من الزحف.

﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنزَلْنَا بِهَا مَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾<sup>(١٤)</sup> وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا الْآدْبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا<sup>(١٥)</sup> قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(١٦)</sup> قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا<sup>(١٧)</sup>.

1- مسند أحمد. رقم الحديث (18519). (483/30).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (18519). (483/30).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (348/6).

4- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (442).

5- هو: أوس بن قبيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن أوس الأنصاري الأوسي والد عرابية. شهد أحدا هو وابناه: عرابية، وعبد الله. ويقال: إن أوس بن قبيظي كان منافقا، وإنه الذي قال إن بيوتنا عورة. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة. (305/1).

أخبر تعالى: عن هؤلاء الذين قالوا: إن بيوتنا عورة أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة، ثم سئلوا الفتنة، وهي الدخول في الكفر لكفروا سريعاً وهم لا يحافظون على الإيمان، ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفرع؛ ولهذا ذمهم شديداً.

ثم قال تعالى: يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف، ألا يولون الأدبار ولا يفرون من الزحف، ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ أي: إن الله سيسألهم عن ذلك العهد ولا بد من ذلك.

ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم، ولا يطول أعمارهم، بل ربما كان سبباً في تعجيل أخذهم غرّة؛ ولهذا قال: ﴿وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: بعد هربكم وفراركم.

ثم قال: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ أي: يمنعكم، ﴿مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجيراً ولا مغيثاً.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨) أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالْأَسِنَّةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (١٩).

أخبر تعالى: عن إحاطة علمه على ﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾ أي: المثبطين لغيرهم عن شهود الحرب، والقائلين لإخوانهم، أي: أصحابهم وخطائهم ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي: إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وهم مع ذلك ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: بخلاء بالمودة، والشفقة عليكم. وقيل أي: في الغنائم (1).

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (349/6).

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْرَبُونَكَ تَدْرِأَعَيْنَهُمْ﴾ أي: في الرُّؤوس من الخوف ﴿كَالَّذِي﴾ أي: كدوران عين الذي ﴿يُعْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: من شدة خوفه وجزعه فإنه يذهب عقله، ويشخص بصره، فلا يطرف وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾ أي: فإذا كان الأمن تكلموا كلاماً بليغاً عاليّاً، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة، وهم يكذبون في ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿سَلَفُوكُمْ﴾ أي: استقبلوكم<sup>(1)</sup>.

قال قتادة رحمه الله: أما عند الغنيمة فأشح قوم، وأسوأه مقاسمة: أعطونا أعطونا، قد شهدنا معكم، وأما عند البأس فأجبن القوم، وأخذله للحق<sup>(2)</sup>. وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جمَعُوا الجبن والكذب وقلة الخير، فهم كما قال الشاعر:

أفي السِّمِّ أعياراً جفَاءً وغلظةً      وفي الحربِ أمثالَ النساءِ العوارِكِ<sup>(3)</sup>

أي: في حال المسالمة كأنهم الحمير.

والأعيار: جمع عير، وهو الحمار، وفي الحرب كأنهم النساء الحيض ولهذا

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُوْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: بطل الله جهادهم

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: سهلاً هيناً عنده.

﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ

يَسْأَلُونَ عَن آبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾.

1- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/ 276).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 350).

3- البيت من الطويل لهند بنت عتبة في نثر الدر في المحاضرات، لمنصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الأبي، تح: خالد عبد الغني محفوظ دار الكتب العلمية - بيروت ط1، 1424هـ - 2004م. (27/4).

هذا أيضاً من صفاتهم الذميمة في الجبن والخوف، ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ أي: بل هم قريب منهم، وإن لهم عودة إليهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية، يسألون الأعراب عن أخباركم، وما كان من أمركم مع عدوكم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: ولو كانوا بين أظهركم، لما قاتلوا معكم إلا قليلاً لكثرة جبنهم وذلهم وضعف يقينهم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾  
 وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢﴾.

هذه الآية الكريمة أصل عظيم في التأسى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أفعاله وأقواله وأحواله ولهذا أمر الناس بالافتداء به يوم الأحزاب، في صبره ومرابطته وانتظاره الفرج من ربه ولهذا قال - تعالى - للذين تضجروا واضطربوا في أمرهم يومئذ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: هلاً اقتديتم به وتأسيتم في شمائله؟ ولهذا قال: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ أي: يرجوا ثواب الله ويخشاه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: يوم البعث ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: في جميع المواطن، في السراء والضراء.

ثم وصف المؤمنين المصدقين بوعود الله لهم يوم الأحزاب فقال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره: يعنون قوله - تعالى - في "سورة البقرة". ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرَزِلْوْا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝١﴾.

أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار الذي يعقبه النصر القريب؛ ولهذا قال: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾: دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم، كما قاله جمهور: إنه يزيد وينقص<sup>(1)</sup>. وقد قررنا ذلك في أول "شرح البخاري"<sup>(2)</sup>. أي: وما زادهم ذلك الحال والضيق والشدة إلا انقيادا لأوامره، وطاعة لرسوله.

﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾<sup>(١٣)</sup> لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾<sup>(١٤)</sup>، لما أخبر تعالى: عن المنافقين أنهم نقضوا العهد، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد و﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أي: عهده، وقيل: أجله<sup>(3)</sup>.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ أي: أحد الأمرين الشهادة أو النصر.

﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ أي: وما غيروا عهد الله، ولا نقضوه ولا بدلوه.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: (نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النصر)<sup>(4)</sup>. رواه البخاري<sup>(5)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (351/6).

2- ينظر: المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية - صلى الله عليه وسلم - من صحيح الإمام البخاري المؤلف: شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي، تح: أحمد فتحي عبد الرحمن دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ - 2004 م. (294/1).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (351/6).

4- هو: أنس بن النصر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم ابن عدي بن النجار الأنصاري عم أنس بن مالك الأنصاري قتل يوم أحد شهيداً. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. (108/1).

5- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب { فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا }. رقم الحديث (4783). (116 /6).

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني مشهداً فيما بعد، ليرين الله ما أصنع، فشهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد فاستقبل سعد بن معاذ<sup>(1)</sup> - رضي الله عنه - فقال له يا أبا عمرو، أين واهًا لريح الجنة أجده دون أحد، قال: فقاتلهم حتى قُتل قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ فقالت أخته عمتي الربيع ابنة النضر<sup>(2)</sup>، فما عرفت أخي إلا ببنايه، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ قال: فكانوا يُروون أنها نزلت فيه، وفي أصحابه). رواه أحمد ومسلم وأكثر أهل السنن<sup>(3)</sup>.  
وعن معاوية - رضي الله عنه - <sup>(4)</sup> قال: (أشهد، لسمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " طلحة ممن قضى نحبه "). رواه ابن جرير<sup>(5)</sup>.  
قال مجاهد رحمه الله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ﴾ قال: يوماً فيه قتالٌ فيصدق في اللقاء.  
وقال الحسن رحمه الله: ﴿فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أي: موته على الصدق والوفاء  
﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ﴾ الموت على مثل ذلك، ومنهم من لم يبدل تبديلاً<sup>(6)</sup>.

1- هو: سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ابن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت واسمه عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، ثم الأشهلي، أبو عمرو، أسلم على يد مصعب بن عمير، فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام، وشهد بدرًا، لم يختلفوا فيه، وشهد أهدًا والخندق. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (2/ 461).

2- هي: الربيع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصارية، أخت أنس بن النضر، وعمة أنس بن مالك خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . ينظر: الإصابة في تميز الصحابة (8/ 135).

3- مسند أحمد. رقم الحديث (13085). (20/ 366). صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد. رقم الحديث (1903). (3/ 1512). سنن الترمذي. باب: ومن سورة الأحزاب. رقم الحديث (3201). (5/ 349).

4- هو: معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. وهو معاوية بن أبي سفيان، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أسلم هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند، في الفتح. وتوفي معاوية النصف من رجب سنة ستين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (3/ 26-27).

5- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/ 281).

6- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 353).

وقوله: ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ أي: وما غيروا عهدهم، ولا بدلوا الوفاء بغدر بل استمروا على ما عاهدوا الله، وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا: ﴿إِنَّ يَبُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ الآية.

وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: إنما يختبر عباده بالخوف والزلال ليميز الخبيث من الطيب، فيظهر أمر هذا بالفعل، وهذا بالفعل، مع أنه - تعالى - يعلم الشيء قبل كونه، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم، حتى يعملوا بما يعلمه منهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ (1) فهذا علم بالشيء قبل كونه، وإن كان العلم السابق حاصلًا به قبل وجوده ولهذا قال هاهنا:

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه وقيامهم به، ومحافظةهم عليه.

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾، وهم الناقضون لعهد الله، المخالفون لأوامره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا، إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه به فيعذبهم عليه، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى ترك النفاق إلى الإخلاص في الإيمان، والعمل الصالح بعد الفسوق، ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة لغضبه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا

عَزِيمًا ﴿٢٥﴾﴾.

أخبر تعالى: عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة، بما أرسل إليهم من الرياح والجنود الغيبية وفرق جماعتهم، وردهم خائبين خاسرين ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ وحنقهم، ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ في الدنيا، مما كان في أنفسهم من الظفر والغنم، ولا في الآخرة بما

1- سورة محمد، الآية 31.

تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالعداوة، وبهمهم بقتله، واستئصال جيشه.

وقوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ أي: لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم، بل كفى الله وحده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده؛ ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [يقول]<sup>(1)</sup>: (لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده). هكذا في الصحيحين<sup>(2)</sup>.

وفيهما أنه - صلى الله عليه وسلم - دعا على الأحزاب فقال: (اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم، اهزمهم وزلزلهم)<sup>(3)</sup>.

وفي قوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾، إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش وهكذا كان بعدها، لم يغزهم المشركون، بل غزاهم المسلمون في بلادهم. قال ابن إسحاق رحمه الله: فلما انصرفوا عن الخندق قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا: (لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم فلم تغز قريش بعد ذلك، وكان هو يغزوا قريشاً حتى فتح الله عليه مكة)<sup>(4)</sup>. وهذا الحديث صحيح. كما في البخاري: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم الأحزاب: (الآن نغزوهم ولا يغزونا)<sup>(5)</sup>.

1- زيادة يقتضيها السياق.

2- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. رقم الحديث (4114). (5/ 111). صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعمد من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل. رقم الحديث (2724). (4/ 2089).

3- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. رقم الحديث (4115). (5/ 111). صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو. رقم الحديث (1742). (3/ 1363).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (355/6).

5- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. رقم الحديث (4109). (5/ 110).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ أي: بحوله وقوته، ردهم خائبين لم ينالوا خيراً، وأعز الله الإسلام وأهله.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٣٦﴾ وَأَوْزَكْتُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٣٧﴾﴾.

قد سبق أن بني قريظة لما قدمت جنود الأحزاب، ونزلوا على المدينة نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من العهد، وكان سببه أن حِيَّ بن أخطب النَّضْرِي دخل حصنهم، ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد<sup>(1)</sup> حتى نقض العهد واشترط له حِيَّ إن ذهب الأحزاب، ولم يكن من أمرهم شيء، أن يدخل معهم في الحصن، فيكون له أسوتهم، فلما نقضت قريظة العهد، وبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ساءه، وشقَّ على المسلمين جدًّا، فلما أيد الله ونصر، وكبَّت الأعداء ورددَّهم خائبين بأخسر صفقة ورجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة مؤيداً منصوراً، ووضع الناس السلاح. فبينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يغتسل في بيت أم سلمة<sup>(2)</sup> إذ تبدى له جبريل معتجراً بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها قطيفة ديباج، فقال: أوضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: "نعم"، قال: ولكن الملائكة لم تضع أسلحتها، ثم قال: إن الله يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة، فإن الله أمرني أن أزلزل عليهم، فنهض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من فوره وأمر الناس بالمسير إلى بني قريظة وكانت على أميال من المدينة، وذلك بعد صلاة الظهر، وقال: "لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة"، فسار الناس فأدركتهم الصلاة في الطريق فصلى بعضهم في الطريق وقالوا: لم يرد منا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا تعجيل السير وقال

1- هو: كعب بن أسد بن سعيد القرظي، من بني قريظة: شاعر جاهلي. ينظر: الأعلام للزركلي (225/5).  
2- هي: أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - واسمها: هند. وكان أبوها يعرف بزاد الركب. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (329/7).

آخرون: لا نصليها إلا في بني قريظة. فلم يُعَنَّفَ واحداً من الفريقين، وتبعهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأعطى الراية علي بن أبي طالب، ثم نازلهم وحاصرهم خمساً وعشرين ليلةً، فلما طال عليهم الحال، نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية، واعتقدوا أنه يحسن إليهم في ذلك، ولم يعلموا أن سعداً - رضي الله عنه - كان قد أصابه سهم في أكله أيام الخندق، فكواه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أكله، وأنزله في قبة في المسجد ليعوده من قريب، فقال سعد - رضي الله عنه - فيما دعا به: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فأخرها ولا تمتني حتى تُقرَّ عيني من بني قريظة، فاستجاب الله دعاءه، وقدر عليهم أن نزلوا على حكمه باختيارهم طلباً من تلقاء أنفسهم فعند ذلك استدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المدينة ليحكم فيهم، فلما أقبل وهو راكب على حمارٍ قد وطئوا له عليه جعل الأوس يلونون به ويقولون: يا سعد، إنهم مواليك، فأحسن فيهم ويرفقونه عليهم وهو ساكت لا يرد عليهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد ألاً تأخذه لومة لائم فعرفوا أنه غير مستبقيهم، فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قوموا إلى سيدكم" فقام إليه المسلمون، فأنزلوه إعظماً وإكراماً في محل ولايته ليكون أنفذ لحكمه فيهم فلما جلس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هؤلاء وأشار إليهم قد نزلوا على حكمك فاحكم فيهم بما شئت"، فقال: وحكمي نافذ عليهم قال: "نعم" قال: وعلى من في هذه الخيمة؟ قالوا: "نعم"، قال: وعلى من هاهنا، وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إجلالاً وإعظماً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم"، فقال: "إني أحكم أن يقتل مقاتلتهم، وتُسبى ذريتهم وأموالهم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة" وفي رواية: "لقد حكمت بحكم الملك"، ثم أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأخاديد فخذت في الأرض، وجيء بهم مكثفين، فضرب أعناقهم، وكانوا ما بين

السبعمئة إلى الثمانمئة، وسبى مَنْ لم يُنبت منهم مع النساء وأموالهم، وهذا كله مقرر مفصل في كتاب السيرة<sup>(1)</sup>.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾ أي: عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من يهود قريظة من بني إسرائيل كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديماً طمَعاً في اتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿مِنْ صِيَاصِيهِمْ﴾ يعني: حصونهم. و احدتها صيصية، ومنه قيل لقرن البقر صياصي؛ لأنها أعلى شيء فيها<sup>(3)</sup>.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾، وهو الخوف؛ لأنهم مالوا إلى المشركين على حرب النبي - صلى الله عليه وسلم - وليس مَنْ يعلم كمن لا يعلم، وخوفوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزّوا عليهم في الدنيا فانعكس عليهم الحال، وانقلب إليهم الفال، فأذلوا واستؤصلوا وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة، ففازوا بالصفقة الخاسرة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ فالذين قتلوا هم المقاتلة، والأسراء هم الأصاغر والنساء.

وقوله: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ أي: جعلها لكم من قتلكم لهم ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطَّعُوهَا﴾.

قيل: خيبر. وقيل: مكة. وقيل: فارس والروم<sup>(4)</sup>.

قال ابن جرير رحمه الله: يجوز أن يكون الجميع مراداً<sup>(5)</sup>.

1- ينظر: كتاب المغازي، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي تح: مارسدن جونس الناشر: بيروت - عالم الكتب. (511-512).

2- سورة البقرة، من الآية 89.

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (357/6).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (357/6).

5- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/288).

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

هذا ما أمر الله - تعالى - رسوله - صلى الله عليه وسلم - بأن يخيّر نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى من عنده الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن - رضي الله عنهن وأرضاهن - الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.

عن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاءها حين أمره الله أن يخيّر أزواجه قالت: فبدأ بي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "إني ذاك لك أمرا، فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري أبويك"، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفرقه، قالت: قال: إن الله قال: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة<sup>(1)</sup>.

وفي رواية: (ثم خير نساءه كلهن فقلن ما قالت عائشة). هكذا في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد<sup>(2)</sup>، وله طرق وروايات، ومنها قالت عائشة: (خيرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاخترناه فلم يعدها علينا شيئا)<sup>(3)</sup>.

1- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب لَمَّا أَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا. رقم الحديث (4785). (6 / 117).

2- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها. رقم الحديث (5191). (7 / 28). صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية. رقم الحديث (1475). (2 / 1103). سنن الترمذي، باب: ومن سورة الأحزاب. رقم الحديث (3204). (5 / 350). مسند الشاميين المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ - المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة: الأولى، 1405 - 1984. رقم الحديث (3227). (4 / 262).

3- مسند أحمد. رقم الحديث (24208). (40 / 253-254).

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: (أقبل أبو بكر - رضي الله عنه - يستأذن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس ببابه جلوس والنبى - صلى الله عليه وسلم - جالس: فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر - رضي الله عنه - فاستأذن ولم يؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلوا والنبى - صلى الله عليه وسلم - جالس وحوله نساؤه، وهو ساكت فقال عمر - رضي الله عنه -: لأكلمن النبى - صلى الله عليه وسلم - لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله، لو رأيت ابنة زيد<sup>(1)</sup> امرأة عمر سألتني النفقة أنفا، فوجأت عنقها، فضحك النبى - صلى الله عليه وسلم - حتى بدا ناجذه وقال: "هن حولي يسألنني النفقة"، فقام أبو بكر، إلى عائشة ليضربها وقام عمر - رضي الله عنه - إلى حفصة<sup>(2)</sup> كلاهما يقولان: تسألان النبى - صلى الله عليه وسلم - النفقة ما ليس عنده، فنهاهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلن أي: نساؤه: والله لا نسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد هذا المجلس ما ليس عنده، قال: وأنزل الله - عليه السلام - الخيار فبدأ بعائشة فقال: "إني أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك". قالت: وما هو؟ قال: فتلا عليها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ﴾ الآية، قالت عائشة: أفيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله ورسوله، وأسألك ألا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت فقال: "إن الله - تعالى - لم يبعثني معنفاً، ولكن بعثني معلماً مبشراً، لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها". رواه مسلم وأحمد والنسائي<sup>(3)</sup>.

1- هي: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية. وهي ابنة عم عمر بن الخطاب، يجتمعان في نفيل كانت من المهاجرات إلى المدينة. وتزوجها عمر بن الخطاب. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (183/6-185).

2- هي: حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما تقدم نسبها عند ذكر أبيها، وهي من بني عدي بن كعب وأمها وأم أخيها عبد الله بن عمر: زينب بنت مطعون، أخت عثمان بن مطعون. توفيت حفصة حين بايع الحسن بن علي - رضي الله عنهما - معاوية وذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وقيل: توفيت سنة خمس وأربعين، وقيل: سنة سبع وعشرين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (67/7).

3- صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية. رقم الحديث (1478). (2/1104). مسند أحمد. رقم الحديث (14515). (391/22-392). سنن النسائي الكبرى. باب: إذا لم يجد الرجل ما ينفق على امرأته هل يخير امرأته. رقم الحديث (9208). (383/5).

وقوله: ﴿فَنَعَالَيْكَ أُمَّتَعَكُنَّ﴾ أي: أعطى يكن مهوركن ﴿وَأُسْرَحَكُنَّ﴾ أي: أخلى يكن بالطلاق. واختلفوا في جواز تزويج غيره لهن لو طلقهن، على قولين أصحهما نعم لو وقع ليحصل المقصود من السراح، والله أعلم.

قال عكرمة رحمه الله: وكانت تحته يومئذ تسع نسوة، خمس من قریش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة<sup>(1)</sup>، وسودة<sup>(2)</sup>، وأم سلمة، وكانت تحته صفية بنت حيي النضرية<sup>(3)</sup>، وميمونة بنت الحارث الهلالية<sup>(4)</sup>، وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية<sup>(5)</sup>، رضي الله عنهن.

- 1- هي: أم حبيبة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشية الأموية. زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -، إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنها. كُتبت بابنتها حبيبة بنت عبيد الله بن جحش واسمها رملة. توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (316-315/6).
- 2- هي: سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية. أمها الشموس بنت قيس بن زيد الأنصارية من بني عدي بن النجار. تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت أول امرأة تزوجها بعد خديجة. قال ابن أبي خيثمة: توفيت سودة بنت زمعة في آخر زمان عمر بن الخطاب، ويقال: ماتت سنة أربع وخمسين ورجحه الواقدي. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة. (197/8).
- 3- هي: صفية بنت حيي بن أخطب بن سعدة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن أبي حبيب، من بني النضير وهو من سبط لاوى بن يعقوب، ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى -عليهما السلام- كانت تحت سلام بن مشكم، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق، فقتل كنانة يوم خيبر، فصارت صفية مع السبي فأخذها دحية ثم استعادها النبي - صلى الله عليه وسلم - فأعتقها وتزوجها. وتوفيت صفية سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة. (212-210/8).
- 4- هي: ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية. تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد زوجها سنة سبع في عمرة القضاء في ذي القعدة، فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعفر بن أبي طالب إليها فخطبها، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب فزوجها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ابن شهاب وقتادة: هي التي وهبت نفسها للنبي - صلى الله عليه وسلم - فأرسل الله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُمِينَةً إِنَّ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ الآية. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (262/7).
- 5- هي: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة - وهو المصطلق - بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزقياء. وعمرو هو أبو خزاعة كلها. الخزايعية المصطلقية. سبها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم المريسيع. وهي غزوة بني المصطلق، سنة خمس، وقيل: سنة ست. وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلق، فوقع في سهم ثابت بن قيس بن شماس أو ابن عم له. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (58-56/6).

﴿يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

قال تعالى: واعظاً نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - اللاتي اخترن الله ورسوله ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: يعني: النشوز وسوء الخلق<sup>(1)</sup>.

وعلى كل تقدير فهو شرطه، والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾<sup>(2)</sup>، وغيره من الآيات ولما كانت مرتبتهن رفيعة، ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلاً يحسبه؛ ولهذا قال: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي: في الدارين. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: سهلاً هيناً.

ثم ذكر عدله وفضله في قوله: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: تطع الله ورسوله وداومت على العمل الصالح ﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ أي: مثلي أجر غيرها ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا﴾ أي: في الجنة، ﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ فإنهن في منازل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أعلى عليين.

﴿يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأذْكُرْ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (362/6).

2- سورة الزمر، من الآية 65.

هذه آداب أمر الله بها نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال مخاطباً لنساء النبي - عليه الصلاة والسلام - إذا اتقين الله كما أمركن، فإنه لا يشبهكن أحد من النساء، ولا يلحقكن في الفضيلة.

ثم قال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ أي: ترققن الكلام إذا خاطبن الرجال؛ ولهذا قال: ﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي: خيانة، وفجور، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: حسناً معروفاً في الخير. يعني: أنها تخاطب الأجانب بالغلظة في المقال، بحيث يقطع الأطماع من غير خضوع لكن يوجه الدين والسلام.

وقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: الزمن بيوتكن فلا تخرجن بغير حاجة. فمن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه، " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تقاتل" (1). وفي رواية: "وبيوتهن خير لهن" (2). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ قالوا: التبرج هو التكسر، والتنجج، والتبختر واطهار الزينة، وابرار المحاسن للرجال.

وقوله: ﴿تَبَرُّجَ الْجَنَهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت فيما بين نوح وإدريس - عليهما السلام - وكانت ألف سنة، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامة، و نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة، وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام فاجر وكان يخدمه وأخذ إبليس شيئاً مثل الذي يُزَمَّر فيه الرِّعَاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله، فبلغ ذلك من حوله، فأنتابوه يسمعون إليه، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة، فيتبرجُ النساء للرجال، قال: ويتزيّن الرجال لهن، وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء وصباحتهن، فأتى أصحابه فأخبرهم

1- سنن أبي داود. باب: ما جاء في خروج النساء إلى المسجد. رقم الحديث (565). (1/155). مسند أحمد.

رقم الحديث (10144). (16/133).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (5471). (9/340).

بذلك، فتحولوا إليهن فنزلوا معهن فظهرت الفاحشة فيهن، فهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

وقوله: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾، نهاهن أولاً عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي: عبادة الله، وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة، وهي الإحسان إلى المخلوقين ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، وهذا من باب عطف العام على الخاص.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

هذا نص في دخول أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح<sup>(1)</sup>.

وعن عكرمة رحمه الله: أنه كان ينادي بهذه الآية بالسوق إنها نزلت في نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وهكذا قال ابن عباس - رضي الله عنه -<sup>(2)</sup>.

والمراد أنهن كنَّ سبب النزول ولكن دلت الأحاديث على أنها أعم من ذلك. كما روى أنس رضي الله عنه: (إن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مرَّ بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: "الصلاة يا أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾). رواه أحمد والترمذي وحسنه وغبه<sup>(3)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (364/6).

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/ 298). تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (9/ 3132). تفسير القرآن العظيم لابن كثير (365/6).

3- مسند أحمد. رقم الحديث (14040). (434/21). سنن الترمذي. باب: ومن سورة الأحزاب. رقم الحديث (3206). (352/5).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - غداً، وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب<sup>(1)</sup> فأدخله ثم الحسين<sup>(2)</sup>، فدخل معه ثم جاءت فاطمة، فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(3)</sup>.  
وعن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه -<sup>(4)</sup> قال: (أتيت فاطمة - رضي الله عنها - أسألها عن عليّ - رضي الله عنه - فقالت: تَوَجَّهَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ، أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِهِ حَتَّى دَخَلَ، فَأَدْنَى عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَأَجْلَسَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى فَخْذِهِ، ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ بَثْوَبَهُ، أَوْ قَالَ: كِسَاءَهُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَأَهْلُ بَيْتِي أَحَقُّ). رواه أحمد؛ ولهذا الحديث رواية وطرق مشهورة<sup>(5)</sup>.

1- هو: الحسن بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو مُحَمَّد سبط النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وأمه فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيدة نساء العالمين وهو سيد شباب أهل الجنة ولد الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولد في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة وتوفي بالمدينة سنة تسع وأربعين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (13/2).

2- هو: الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو عَبْدِ اللَّهِ ریحانة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وشبهه من الصدر إلى أسفل منه، ولما ولد أذن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - في أذنه، وهو سيد شباب أهل الجنة وخامس أهل الكساء، أمه فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال قتادة ولد الحسين بعد الحسن بسنة وعشرة أشهر فولدته لست سنين، وخمسة أشهر ونصف شهر من الهجرة وتوفي أول سنة إحدى وستين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (24/2).

3- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - رقم الحديث (2424). (1883/4).

4- هو: واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني الليثي، أسلم والنبي - صلى الله عليه وسلم - يتجهز إلى تبوك، توفي سنة ثلاث وثمانين، وهو ابن مائة وخمس سنين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (399/5).

5- مسند أحمد. رقم الحديث (16988). (195/28).

وعن زيد بن أرقم - رضي الله عنه -<sup>(1)</sup> قال: (قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بماء يدعى خُماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثم قال: "أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به"، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: "وَأَهْلَ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي" ثلاثاً). رواه مسلم<sup>(2)</sup>.

ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - داخلات في هذه الآية لما سبق؛ ولهذا قال - تعالى - بعد ذلك: ﴿وَأَذْكُرَكُم مَّا تَلَيَنَّ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ يعني: وأعلمن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة واذكرن هذه النعمة التي خصصتن من بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وأما آله - صلى الله عليه وسلم - الذين حرمت عليهم الزكاة، فهم بنو هاشم<sup>(3)</sup> وبنو المطلب<sup>(4)</sup> ومواليه تابع لهم كما هو

1- هو: زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ثم من بني الحارث بن الخزرج، كنيته أبو عمر، روى عنه: ابن عباس وأنس بن مالك، وغيرهم. توفي بالكوفة سنة ثمان وستين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (342/2).

2- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - رقم الحديث (2408). (1873/4).

3- هم: ولد أسد بن هاشم: حنين بن أسد؛ وخلدة بنت أسد، وأمها: أم ولد رومية تدعى مارية؛ وفاطمة بنت أسد ولدت لأبي طالب بن عبد المطلب ولده كلهم، وأمها: فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجيرة بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي. فولد حنين بن أسد: عبد الله، وأمها من بني زهرة. فولد عبد الله بن حنين بن أسد: أم هارون وكانت عند موسى بن سعد بن أبي وقاص؛ فولدت له: هارون، وبجاءاً، ابني موسى. وقد انقرض ولد أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. هؤلاء بنو هاشم بن عبد مناف. ينظر: نسب قریش لمصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله الزبير بن علي بن بروفنسال دار المعارف، القاهرة الطبعة: الثالثة. (91/1).

4- هم: بنو المطلب بن عبد مناف، وكان للمطلب خمسة أولاد هم الحارث وخزيمة وعباد وهاشم وعبد يزيد وكان المطلب متألفاً بأخيه هاشم، وجرى بنوهما على ذلك بعدهما حتى قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يفترق هاشم والمطلب في جاهلية ولا إسلام ومن ثم حرمت الصدقة على بني هاشم وبني المطلب جميعاً.

مقرر في الفقه<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا﴾ أي: بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة وبخبرته بكن وأنكن أهل لذلك، أعطاكم ذلك وخصكن بذلك.

قال ابن جرير رحمه الله: واذكرن نعمة الله عليكم بأن جعلكن في بيوت يتلى فيها آيات الله والحكمة، واشكرن الله على ذلك واحمدنه<sup>(2)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ أي: ذا لطف بكن، إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته وحكمته. وهي سنته، ﴿خَيْرًا﴾ بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجًا.

وقيل أي: لطيفاً باستخراجها، خبير بموضعها<sup>(3)</sup>.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ﴾

عن أم سلمة- رضي الله عنها- قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: (ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟) قالت: فلم يرعني منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر قالت، وأنا أسرح شعري، فلففت شعري، ثم خرجت إلى حجرة من حجرة بيتي فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول عند المنبر: "يا أيها الناس، إن

ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب المؤلف: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، تح: إبراهيم

الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط2، 1400 هـ - 1980 م. (73/1).

1- ينظر: بلغة السالك لأقرب المسالك أحمد الصاوي، تح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية 1415 هـ - 1995 م، بيروت.. (659/1).

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/299).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (371/6).

الله يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى آخر الآية). رواه أحمد والنسائي (1).

فقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (دليل على أن الإيمان غير الإسلام، وهو أخص منه، كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ الآية (2)). وفي الصحيحين: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) (3). فيسلبه الإيمان، ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع، فدل على أنه أخص منه كما قررنا في أول شرح البخاري (4).

﴿وَالْقَنِينِ وَالْقَنِينَاتِ﴾ القنوت: هو الطاعة في سكون، كما قال تعالى: ﴿وَقَوْمًا لِلَّهِ قَنِينًا﴾ (5)، والعطف هاهنا للتزجي فإن القنوت ناشئ عنهما. ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾، هذا في الأقوال، فإن الصدق خصلة محمودة وهو علامة الإيمان، كما أن الكذب أمانة على النفاق.

وفي الصحيحين، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال

1- مسند أحمد. رقم الحديث (26575). (199/44). سنن الترمذي. باب: ومن سورة الأحزاب. رقم الحديث (3211). (354/5).

2- سورة الحجرات، من الآية 14.

3- صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب إثم الزناة. رقم الحديث (6810). (164/8). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله. رقم الحديث (57). (76 /1)

4- ينظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض ط2، 1423هـ - 2003م. (389/8).

5- سورة البقرة، من الآية 238.

الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً<sup>(1)</sup>.  
﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾، هذه سَجِيَّةُ الأَثَابَاتِ، وهي الصبر على المصائب  
والعلم بأن المقدر كائن لا محالة، وتَلَقَّى ذلك بالصبر والثبات.  
﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ أي: السكون والطمأنينة، والتؤدة والوقار.  
والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته، كما في الحديث: (اعبد الله كأنك تراه، فإن  
لم تكن تراه فإنه يراك)<sup>(2)</sup>.

﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾، الصدقة هي الإحسان إلى الناس المحاويج  
الضعفاء الذين لا كَسْبَ لهم ولا كاسب، حسبةً لله، وفي الحديث الصحيح: (والصدقة  
تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار)<sup>(3)</sup>.

﴿وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ﴾، في حديث ابن ماجه: (والصوم زكاة البدن)<sup>(4)</sup>.  
أي: تزكيه وتطهره وتنقيه من الأخلاط الرديئة طبعاً وشرعاً.  
ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة ناسب أن يذكر بعده:  
﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ أي: عن المحارم و المآثم إلا عن المباح كما  
قال: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ الآية<sup>(5)</sup>.  
وقوله: ﴿وَالذَّكِرَاتِ﴾ الله كثيراً والذَكَرَاتِ.

1- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة و الأدب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله. رقم الحديث (2607).

(2013/4). صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119] وَمَا يُنْهَى عَنِ الكَذِبِ. رقم الحديث (6094). (8/ 25).

2- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة. رقم الحديث (8).  
(36/1).

3- سنن الترمذي. باب: ما ذكر في فضل الصلاة. رقم الحديث (614). (512/2).

4- ورد الحديث في سنن ابن ماجه بلفظ: « لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الجَسَدِ الصَّوْمُ » باب: في الصوم زكاة  
الجسد. رقم الحديث (1745). (555/1).

5- سورة المؤمنون، من الآية 6.

عن أبي سعيدٍ - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل، فصلياً ركعتين، كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات). رواه أبو داود والنسائي (1).

عن أبي سعيدٍ - رضي الله عنه - أيضاً، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل: (أي العباد أفضل وأرفع درجةً عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات) (2).

عن أبي سعيدٍ - رضي الله عنه - أيضاً، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل: (أي العباد أفضل وأرفع درجةً عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيراً قيل: يا رسول الله، ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً فإن الذاكرين الله أفضل منه درجةً). رواه أحمد والترمذي (3).

وسنذكر الأحاديث الواردة في فضيلة الذكر قريباً في هذه السورة.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (٣٦)

عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستكفت منه، وقالت: أنا خير منه حسباً - وكانت امرأة فيها حدة - فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا﴾ الآية كلها فأجابت (4).

1- سنن أبي داود. باب: الحث على قيام الليل. رقم الحديث (1451). (70/2). سنن النسائي. باب: قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: 35]. رقم الحديث (11342). (219/10).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (11720). (248/18).

3- مسند أحمد. رقم الحديث (11720). (248/18). سنن الترمذي. باب: ... رقم الحديث (3376).

(458/5).

4- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (301 / 10).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: (خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - على جَلْبِيْب<sup>(1)</sup> امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال: حتى أستأمر أمها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم: فانطلق الرجل إلى امرأته، فذكر ذلك لها فقالت له: الله إذا، ما وجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا جَلْبِيْبَا، وقد منعناها من فلان وفلان والجارية في سررها تسمع، فقالت الجارية: أتريدون أن تزدوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمره؟ إن كان قد رضي لكم فأنكحوه، قالوا صدقت، فذهب أبوها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إن كنت رضيته فقد رضيناه، قال: "فإني قد رضيته". فزوجها، ثم فزع أهل المدينة، فركب جَلْبِيْب فوجدوه قد قتل، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم) رواه أحمد وكان ذلك في غزو أحد<sup>(2)</sup>.

فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية<sup>(3)</sup>.

وفي الحديث: (والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)<sup>(4)</sup>.

1- هو: جلبيب بضم الجيم، على وزن قنديل، وهو أنصاري. له ذكر في حديث أبي برزة الأسلمي في إنكاح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابنة رجل من الأنصار، وكان قصيراً دميماً، فكان الأنصاري أبا الجارية وامرأته كرها ذلك فسمعت الجارية بما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنلت قول الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ وقالت: رضيت وسلمت لما يرضى لي به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا لها رسول الله وقال: اللهم اصيب عليها الخير صباحاً، ولا تجعل عيشها كدا، فكانت من أكثر الأنصار نفقة ومالا. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (550/1).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (12393). (385/19).

3- سورة النساء، من الآية 65.

4- رواه البغوي في كتابه شرح السنة، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تح: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت ط2 1403هـ - 1983م. (213/1).

ولهذا شدد في خلاف ذلك، فقال: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ أي: أخطأ وظل عن طريق الصواب، خطأ عظيمًا ظاهرًا.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٣٧).

أخبر تعالى: عن نبيه - صلى الله عليه وسلم - إنه قال لمولاه زيد بن حارثة وهو الذي ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: بالإسلام، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: بالإعتاق، وكان سيدًا كبيرًا حبيبًا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يقال له: الحَبُّ، ويقال لابنه أسامة<sup>(1)</sup>: الحَبُّ ابن الحَبِّ، قالت عائشة: ما بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سرية إلا أمره عليهم ولو عاش بعده لاستخلفه. رواه أحمد<sup>(2)</sup>.

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد زوجه ابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية وأمها ميمونة بنت عبد المطلب<sup>(3)</sup> وأصدقها عشرة دنانير، وستين

1- هو: أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبية، أمه أم أيمن حاضنة النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو، وأيمن أخوان لأم، وكان يسمى: حب رسول الله. وكان أسامة أسود أفتس، وتوفي آخر أيام معاوية سنة ثمان، أو تسع وخمسين وقيل: توفي سنة أربع وخمسين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (194/1).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (25898). (74/43).

3- هي: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. وأمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وتزوجها في الجاهلية جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف حرب بن أمية بن عبد شمس. فولدت له عبد الله. شهد بدرًا. وعبيد الله وعبدًا. وهو أبو أحمد. وزينب بنت جحش زوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحملة بنت جحش. وأطعم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أميمة بنت عبد المطلب أربعين وسقا من تمر خبير. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (37/8).

درهما، وخمارا وملحفة، ودرعًا وخمسين مَدًا من طعام، وعشرة أمداد من تمر. قاله مقاتل بن حيان، فمكثت عنده قريبا من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما ما وقع فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "أمسك عليك زوجك واتق الله"، قال الله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾.

ذكر بعض السلف هاهنا آثارًا، أحببنا أن نعرض عنها ولا نوردتها<sup>(1)</sup>.

وقد روى البخاري بعض ذلك مختصراً: عن أنس إن هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي

نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش، وزيد بن حارثة، رضي الله عنهما<sup>(2)</sup>.

كما قال علي بن الحسين رضي الله عنهما<sup>(3)</sup>: كأن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال: اتق الله وأمسك عليك زوجك فقال: قد أخبرتك أنني مُزَوَّجُكها، وتخفي في نفسك ما الله مبدية. وعن السدي نحوه<sup>(4)</sup>.

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: لو كتم محمد - صلى الله عليه وسلم - شيئاً مما أوحى إليه من كتاب الله، لكتم ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾<sup>(5)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (378/6).

2- صحيح البخاري. باب: قول الله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ [الأحزاب: 37]. رقم الحديث (4787). (117/6).

3- هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو الحسين، ويقال: أبو الحسن، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله المدني زين العابدين، وأمّه فتاة يقال لها: سلامة، ويقال: غزاة. روى عن: عمه الحسن، وأبيه الحسين وغيرهم. روى عنه: حبيب بن أبي ثابت، والحكم بن عتيبة وغيرهم. توفي علي بن حسين سنة مئة، ويقال: سنة تسع وتسعين. ينظر: تهذيب الكمال، للمزي. (382/20).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (378/6).

5- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (303/10).

وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾، الوطر: هو الحاجة والأرب أي: لما فرغ منها، وفارقها زوّجناكها، وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله -عليه السلام- بمعنى: أنه أوحى إليه أن يدخلها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر.

وفي الصحيحين: عن أنس - رضي الله عنه - قال: (لما انقضت عدة زينب قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لزيد بن حارثة: " اذهب فاذا ذكرها عليّ" فانطلق حتى أتاها وهي تُخَمَّرُ عَجِينَهَا، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، وأقول لها: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي، وقلت: يا زينب أبشري أرسلني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل عليها بغير إذن، ولقد رأيتنا حين دَخَلْتُ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتبعته فجعل يتتبع حُجْر نساءه يسلم عليهن ويقولن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر، قال: فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه، فألقي الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ (1)، الآية (2). والسياق لأحمد (3).

1- سورة الأحزاب، الآية 53.

2- صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب، وإثبات وليمة العرس. رقم الحديث (1428). (2/1048). صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: 53]. رقم الحديث (4793). (6/119).

3- مسند أحمد. رقم الحديث (13025). (20/327).

وفي البخاري: (أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات)<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿لَكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ أي: إنما أبحننا لك تزويجها وفعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج المطلقات الأديعاء، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة، فكان يقال له: "زيد بن محمد"، فلما قطع الله هذه النسبة بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾، ثم زاد ذلك بيانا وتأكيدا بوقوع تزويج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بزینب بنت جحش لما طلقها زيد بن حارثة رضي الله عنه.

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله - تعالى - وحثمه، وهو كائن لا محالة، كانت زينب - رضي الله عنها - في علم الله ستصير من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾<sup>(٣٨)</sup>.

أي: فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب التي طلقها دعيه زيد بن حارثة. وقوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هذا حكم الله في الأنبياء قبله، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج، وهذا ردٌّ على مَنْ تَوَهَّم مِنَ الْمُنَافِقِينَ نَقْصًا فِي تَزْوِيجِهِ امْرَأَةَ زَيْدِ مَوْلَاهُ وَدَعِيهِ، الَّذِي كَانَ قَدْ تَبْنَاهُ. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ أي: وكان أمره الذي يقدره كائنًا لا محالة، وواقعا لا معدل عنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

﴿الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾<sup>(٣٩)</sup> مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا<sup>(٤٠)</sup>.

1- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب { وَكَانَ عَرَشُهُ عَلَى الْمَاءِ } [هود: 7]، { وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ }

[التوبة: 129]. رقم الحديث (7420). (9/ 124).

قد مدح الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾، إلى خلقه و يؤدونها بأمانتها.

﴿وَيَخْشَوْنَهُ﴾ أي: يخافونه ولا يخافون أحداً فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي: وكفى بالله ناصرًا ومعينًا، وسيد الناس في هذا المقام وفي كل مقام محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع؛ فإنه قد كان النبي قبله إنما يبعث على قومه خاصة، وأما هو - صلى الله عليه وسلم - فإنه بُعث إلى جميع الخلق عَرَبَهُمْ وَعَجْمَهُمْ، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾<sup>(1)</sup>، ثم ورث مقام البلاغ أُمته من بعده، فكان أعلى مَنْ قام بها بعده أصحابه - رضي الله عنهم - بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره وسره وعلانيته.

ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون وعلى منهجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم.

وقوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، نهى عن أن يقال بعد هذا: "زيد بن محمد" أي: لم يكن أباه وإن كان قد تبناه، فإنه - صلى الله عليه وسلم - لم يعيش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم بل ولد له القاسم، والطيب، والطاهر، من خديجة<sup>(2)</sup> فماتوا صغاراً، وولد له إبراهيم من مارية القبطية<sup>(3)</sup>، فمات أيضاً رضيعاً، وكان له من

1- سورة الأعراف، من الآية 158.

2- هي: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأَسَدِيَّة أم المؤمنين، زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أول امرأة تزوجها، وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين توفيت خديجة قبل الهجرة بخمس سنين. وقيل: بأربع سنين. وقال عروة وقتادة: توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين. وهذا هو الصواب. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (85-78/6).

3- هي: مارية القبطية: مولاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسريته، وهي أم ولده إبراهيم بن النبي - صلى الله عليه وسلم - أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين وخصيا يقال له =

خديجة أربع بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة- رضي الله عنهن أجمعين- فمات في حياته ثلاث وتأخرت فاطمة حتى أصيبت به - صلى الله عليه وسلم - ثم توفيت بعده بستة أشهر (1).

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، كقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (2) فهذه الآية نص على أنه لا نبي من بعده، وأولى أن لا يكون رسول بعده فإن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة.

كما روى أبي بن كعب (3)- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم - قال: (متلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه، ويقولون: لو تمّ موضع هذه اللبنة؟ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة). رواه أحمد والترمذي (4).

وفي الصحيح: عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (متلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه، و ترك منه موضع لبنة فطاف به النظارُ يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة فكنت أنا سدّدت

مأبور، وبغلة شهباء، وحلة من حرير. توفيت سنة ست عشرة في خلافة عمر. وكان عمر يجمع الناس بنفسه لشهود جنازتها، وصلى عليها عمر. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (261/6).

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (381/6).

2- سورة الأنعام، من الآية 124.

3- هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، واسمه تميم السلات وقيل: تميم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر الأنصاري الخزرجي المعاوي وله كنيستان: أبو المنذر كناه بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو الطفيل، كناه بها عمر بن الخطاب بابنه الطفيل، وشهد العقبة وبدرا، وكان عمر يقول: «أبي سيد المسلمين». روى عنه عبادة بن الصامت، وابن عباس، وعبد الله بن خباب، وابنه الطفيل بن أبي. وقيل: توفي سنة ثلاثين في خلافة عثمان. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (61/1).

4- مسند أحمد. رقم الحديث (21243). (167/35). سنن الترمذي. باب: منه. رقم الحديث (3613). (586/5).

موضع تلك اللبنة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل<sup>(1)</sup>، وفي رواية: (أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)<sup>(2)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لم يبق من النبوة بعدي إلا المبشرات) قالوا: وما المبشرات قال: "الرؤيا الصالحة). رواه البخاري<sup>(3)</sup>.

وفي مسند أحمد عن أبي الطفيل<sup>(4)</sup> قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا نبوة بعدي إلا المبشرات قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الحسنة - أو قال - الرؤيا الصالحة)<sup>(5)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ: أُعْطِيتُ جِوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخْتُمَ بِي النَّبِيُّونَ). رواه مسلم<sup>(6)</sup>.

وعن العرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ<sup>(7)</sup> قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته). رواه أحمد<sup>(8)</sup>.

1- لم أجد في الصحيحين بهذا اللفظ، وأخرجه الإمام البخاري في شرح السنة: (201/13).

2- صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم - رقم الحديث (3535). (186/4).

3- صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب المُبَشِّرَاتِ. رقم الحديث (6990). (31/9).

4- هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار. وله كنيستان: أبو المنذر، كناه بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو الطفيل، كناه بها عمر بن الخطاب بابنه الطفيل. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (61/1).

5- مسند أحمد. رقم الحديث (23795). (213/39).

6- صحيح مسلم. كتاب: المساجد ومواضع الصلاة. رقم الحديث (523). (371/1).

7- هو: العرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ، يكنى أبا نَجِيحٍ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّفَةِ سَكَنَ الشَّامَ، وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ خَمْسِ وَسَبْعِينَ. وقيل: بل مات في فتنة ابن الزبير. روى عنه من الصحابة أبو رهم وأبو أمامة. وروى عنه جماعة من تابعي أهل الشام. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. (3/1238-1239).

8- مسند أحمد. رقم الحديث (17163). (395/28).

وفي الصحيحين: عن جبير بن مطعم<sup>(1)</sup>، قال: (سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله - تعالى - بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي)<sup>(2)</sup>.

وفي هذا الباب أحاديث كثيرة، فمن رحمة الله - تعالى - بالعباد إرسال محمد - صلى الله عليه وسلم - إليهم، و ختم الأنبياء به، وإكمال الدين الحنيف له كما بين في كتابه الكريم، وأخبر به رسوله الأمين: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفك، دجال ضالّ مضلّ، ولو تخرق وشعبذ، وأتى بأنواع السحر، فكلها محال وضلال كما أجرى الله، على يد الأسود العنسي<sup>(3)</sup> ومسيلمة الكذاب<sup>(4)</sup>، من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، ما علم كل ذي لبّ وفهم أنهما كاذبان ضالان، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم قيام الساعة، وهذا من تمام لطفه بخلقه، فإنهم لا يعملون بشيء من أعمال الدين ولا يأمرن بأوامر الشرع المبين بل يكونون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم وهذا بخلاف حال الأنبياء، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة فيما كانوا يقولونه ويفعلونه ويأمرن به

1- هو: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي يكنى: أبا مُحَمَّد، وقيل: أبا عدي، أمه أم حبيب، كان من أكابر قريش وعلماء النَّسَب. وأسلم جبير بين الحديبية والفتح، وقيل في الفتح. وقال البغوي: أسلم قبل فتح مكة. ومات في خلافة معاوية. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة. (571/1).

2- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ تَعَالَى: {مَنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: 6]. رقم الحديث (4896). (151/6). صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في أَسْمَائِهِ - صلى الله عليه وسلم - . رقم الحديث (2354). (1828/4).

3- هو: عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، ذو الخمار: متنبئ مشعوذ، من أهل اليمن. أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان أول مرتد في الإسلام. وادعى النبوة، وكان مقتله قبل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - بشهر واحد. ينظر: الأعلام للزركلي (111/5).

4- هو: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبئ، من المعمرين. توفي النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الأمر لأبي بكر، انتدب له أعظم قواده خالد بن الوليد على رأس جيش قوي، هاجم ديار بني حنيفة وصمد هؤلاء، فكانت عدة من استشهد من المسلمين على قتلهم في ذلك الحين ألفا ومئتي رجل، منهم أربعمئة وخمسون صحابياً، وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مسيلمة (سنة 12). ينظر: الأعلام للزركلي (226/7).

وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة القاطعات، والبراهين الباهرات، وصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾.

أمر الله المؤمنين بكثرة الذكر له - تعالى - الذي أنعم عليهم بأنواع النعم و صنوف المنن، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب. عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل). رواه أحمد والترمذي وابن ماجه<sup>(1)</sup>.

وعن أنس بن مالك الجهني رضي الله عنه: أن رجلاً سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (أي المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله، فقال: "أكثرهم لله ذكراً"، قال فأبي الصائمين أكثر أجراً قال: "أكثرهم لله ذكراً"، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة، ذلك يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "أكثرهم لله ذكراً"، فقال أبوبكر لعمر - رضي الله عنهما - ذهب الذكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أجل")<sup>(2)</sup>.

وعن عبد الله بن بسر - رضي الله عنه -<sup>(3)</sup> قال: (جاء أعرابيان إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أحدهما: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: "من

1- مسند أحمد. رقم الحديث (21702). (34-33/36). سنن الترمذي، باب ... رقم الحديث (3377).

(459/5). سنن ابن ماجه، باب فضل الذكر. رقم الحديث (3790). (1245/2).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (15614). (381-380/24).

3- هو: عبد الله بن بسر المازني، من مازن بن منصور بن عكرمة، يكنى أبا بسر، وقيل: أبا صفوان. صلى

القبلتين. وضع النبي - صلى الله عليه وسلم - يده على رأسه ودعا له. صحب النبي - صلى الله عليه

=

طال عمره وحسن عمله". وقال الآخر: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فمروني بأمر أتشبهت به. قال: "لا يزال لسانك رطباً بذكر الله". رواه أحمد والترمذي (1).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة). رواه أحمد وأبو داود (2).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله لم يفرض فريضة إلا عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه، إلا مغلوباً على تركه فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ (3) بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والصحة والسقم، وعلى كل حال، وقال: ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته.

والأحاديث في الحث على ذكر الله وقد صنف الناس في الأذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار كتباً كثيرة، من أحسنها كتاب الأذكار (4) للشيخ محيي الدين النووي (5)، رحمه الله تعالى.

وسلم - هو وأبوه وأمه وأخوه عطية وأخته الصماء. روى عنه الشاميون منهم: خالد بن معدان، ويزيد بن خمير، وسليم بن عامر، وغيرهم. توفي سنة ثمان وثمانين، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة. ينظر: أسد الغاية في معرفة الصحابة (82/3).

1- مسند أحمد. رقم الحديث (17680). (226/29). سنن الترمذي، باب منه. رقم الحديث (3375). (457/5).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (10680). (400/16). سنن أبي داود، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله. رقم الحديث (4855). (264/4).

3- سورة النساء، من الآية 103.

4- كتاب الأذكار للنووي هو: "حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار".

5- هو: الشيخ يحيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الحزامي. كان محرراً للمذهب ومنقحاً ذا التصانيف المشهورة المفيدة المباركة ولد في العشر الأول من المحرم سنة 631 (بنوي) قرية من الشام وتوفي - رحمه الله - ليلة الأربعاء رابع عشر من شهر رجب المرجب سنة 676 ودفن ببلده. ينظر: طبقات =

وقوله: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ أي: عند الصباح والمساء، كقوله:

﴿ فَسُبِّحَنَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ الآية (1).

وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾، تهيبج إلى الذكر، أي: إنه يذكركم

فاذكروه أنتم، كما قال: ﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (2). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول

الله: مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ

منهم). هكذا في الصحيحين (3).

(والصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة). هكذا في البخاري (4).

وقيل: هي الرحمة ولا منافاة بينهما (5).

وأما الصلاة من الملائكة، فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار، كقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَجْلِسُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الآية (6).

وقوله: ﴿ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي: بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم

ودعاء ملائكته لكم، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين.

الفقيه إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، تح: خليل الميس، دار القلم، بيروت.  
(269-268/1).

1- سورة الروم، الآية 17.

2- سورة البقرة، من الآية 152.

3- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: 28]. رقم الحديث (7405). (9/121). صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى. رقم الحديث (2675). (4/2061).

4- صحيح البخاري، ولفظه (قال أبو العالية: "صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء" قال ابن عباس: "يصلون: يبركون {لنغربنك} [الأحزاب: 60]: لنسلطنك") كتاب تفسير القرآن، باب قول الله تعالى: { إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } [الأحزاب: 55]. رقم الحديث (.....). (120/6).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (386/6).

6- سورة غافر، من الآية 7.

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ أي: في الدارين، أما في الدنيا، فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبصّرهم الطريق الذي ضلّ عنه من سواهم من الدعوة إلى الكفر أو البدعة وأتباعهم من العوام، وأما في الآخرة: فأمنهم من الفرع الأكبر وأمر ملائكته ينلقونهم بالبشارة بالفوز والنجاة من النار، وما ذاك إلا لمحبتهم لهم ورأفته بهم.

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: (قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبيّ فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى إذا وجدت صبياً في السبي أخذته، فألصقته إلى بطنها وأرضعته فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: أترون هذه طارحة ولدها في النار فقلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه قال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها). هكذا في الصحيحين (1).

وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ أي: يوم يسلم عليهم كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ (2).

وزعم قتادة أنهم يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، يوم يلقون الله في الآخرة. واختاره ابن جرير مستدلاً بقوله: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَطْمَأْنُونَا﴾ الآية (3).

وقوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ يعني: الجنة وما فيها من النعمات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤٦) ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٤٧) ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٤٨).

1- صحيح البخاري، كتاب الأدب، بابُ رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. رقم الحديث (5999). (8/8). صحيح

مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه. رقم الحديث (2754). (2109/4).

2- سورة يس، الآية 58.

3- سورة يونس، من الآية 10.

عن عطاء بن يسار - رضي الله عنه - (1) قال: لقبت عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - فقلت: (أخبرني عن صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وحرزا للأمين، أنت عدي ورسولي سميتك المتوكل، لا بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبض حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عمياء، وآذانا صماء، وقلوباً غلفاً). رواه أحمد والبخاري والدارمي (2)(3).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما نزلت: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وقد كان أمر علياً و معاذاً - رضي الله عنهما - أن يسيرا إلى اليمن، فقال: (انطلقا فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، إنه قد أنزلت علي: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. رواه ابن أبي حاتم والطبراني (4).

1- هو: عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني القاص مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخو سليمان وعبد الملك وعبد الله بن يسار روى عن معاذ بن جبل وفي سماعه منه نظر وعن أبي ذر وأبي الدرداء وآخرون كان مولده سنة 19 ومات سنة 103 وكان موته بالإسكندرية. ينظر: تهذيب التهذيب (217/7-218).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (6622). (193/11). صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: 45]. رقم الحديث (4838). (6/135). مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ) المحقق: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني - الرياض، دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى 2000م. رقم الحديث (9). (159/1).

3- هو: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي التميمي أبو محمد السمرقندي. روى عن ابن عون ويزيد بن هارون وأبي عاصم وخلق. وعنه مسلم وأبو داود والترمذي وأبو زرعة ومطين وخلق. وقال ابن حبان كان من الحفاظ المتقنين، مات يوم التروية سنة خمس وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وسبعين سنة. ينظر: طبقات الحفاظ للسيوطي. (239/1).

4- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. (3141/10). المعجم الكبير للطبراني. رقم الحديث (11841). (312/11).

وقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أي: بشيرا للمؤمنين بجزيل الثواب، ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين من وبيبل العقاب.

وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أي: داعيا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: أمرك ظاهر فيما جئت به من الحق، كالشمس في إشراقها والقمر في إضاءتها، لا يجدها إلا معاند.

وقوله: ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَا أَذُنَهُمْ﴾ أي: لا تطعهم وتسمع منهم في الذي يقولونه ﴿وَدَعَا أَذُنَهُمْ﴾ أي: اصفح وتجاوز عنهم، وكل أمرهم إلى الله، فإن فيه كفاية لهم؛ ولهذا قال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٤١).

في هذه الآية أحكام كثيرة، منها إطلاق النكاح على العقد وحده، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها، وقد اختلفوا في النكاح، هل هو حقيقة في العقد وحده، أو في الوطء، أو فيهما؟ على ثلاثة أقوال<sup>(1)</sup>، واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده إلا في هذه الآية فإنه استعمل في العقد وحده؛ لقوله: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾، وفيها جواز طلاق المرأة قبل الدخول بها.

1- الرأي الأول: أن النكاح حقيقة في الوطء مجاز في العقد وهو ما ذهب إليه الحنفية في الصحيح والشافعية في وجه وبعض الحنابلة.

الرأي الثاني: أنه حقيقة في العقد مجاز في الوطء، وهو ما ذهب إليه المالكية والشافعية في الأصح والحنابلة على الصحيح، واستدلوا بأن لفظ النكاح عند الإطلاق ينصرف إلى العقد ما لم يصرفه دليل لأنه المشهور في القرآن والأخبار، ولأن النكاح أحد اللفظين اللذين ينعقد بهما عقد النكاح، فكان حقيقة فيه كاللفظ الآخر.

الرأي الثالث: أنه حقيقة في كل من العقد والوطء، وهو رأي عند الحنفية على أنه مشترك لفظي فيهما أو مشترك معنوي فيهما. ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (41/ 205-206).

وقوله: ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ خرج مخرج الغالب؛ إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية.

واستدل بعض الصحابة وجمهور السلف بهذه الآية أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح؛ لأن الله - تعالى - قال: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ فرتب الطلاق على النكاح، فلا يقع قبله، وهذا مذهب الشافعي وأحمد، وأكثر السلف والخلف<sup>(1)</sup>.

وذهب مالك وأبو حنيفة<sup>(2)</sup> - رحمهم الله - إلى صحة الطلاق قبل النكاح؛ فيما إذا قال: (إن تزوجت فلانة فهي طالق)، فعندهما متى تزوجها طلقت منه، واختلفا فيما إذا قال: (كل امرأة أتزوجها فهي طالق)، فقال مالك: لا تطلق حتى يعين المرأة وقال أبو حنيفة: كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه، وحجة الجمهور على عدم الطلاق بهذه الآية<sup>(3)</sup>.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: من قال: كل امرأة أتزوجها فهي طالق، قال: ليس بشيء من أجل أن يقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية، ألا ترى أن الطلاق بعد النكاح<sup>(4)</sup>.

1- ينظر: متن أبي شجاع المسمى الغاية والتقريب، لأحمد بن الحسين بن أحمد، أبو شجاع، شهاب الدين أبو الطيب الأصفهاني، عالم الكتب. (33/1). مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه: لإسحاق بن منصور المروزي دراسة وتحقيق: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1 1425هـ/2002م. (1629/4).

2- هو: النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. قيل: أصله من أبناء فارس. ولد ونشأ بالكوفة. توفي ببغداد. ينظر: الطبقات السنية في تراجم الحنفية. للتقي الغزي (1/1).

3- ينظر: الحجة على أهل المدينة، لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، تح: مهدي حسن الكيلاني القادري: عالم الكتب - بيروت ط3، 1403. (286-277/3). ينظر: المدونة، للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م (72-71/2).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (390/6).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك).  
رواه أحمد و أبو داود والترمذي، وحسنه<sup>(1)</sup>.

وفي رواية ابن ماجه رحمه الله: (لا طلاق قبل نكاح)<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾، هذا أمر مجمع عليه بين العلماء، أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها<sup>(3)</sup>، فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها، فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشرا، وإن لم يكن دخل بها بالإجماع.

وقوله: ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾، المتعة هاهنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى أو المتعة الخاصة إن لم يكن قد سمي لها ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ﴾ أي: وخلصوا سبيلهن بالمعروف من غير إضرار.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه<sup>(4)</sup>: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تزوج أميمة بنت شراحيل، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقين). رواه البخاري<sup>(5)</sup>.

1- مسند أحمد. رقم الحديث (6932). (525/11). سنن أبي داود، باب في الطلاق قبل النكاح. رقم الحديث (2190). (258/2). سنن الترمذي، باب في الطلاق قبل النكاح. رقم الحديث (1181). (477/2).

2- سنن ابن ماجه، باب لا طلاق قبل النكاح. رقم الحديث (2048). (660/1).

3- ينظر: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي تح: د محمد حجي وآخرون الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م. (389/5).

4- هو: سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الساعدي. من مشاهير الصحابة، يقال: كان اسمه حزنا فغيره النبي - صلى الله عليه وسلم -، وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن أبي، وعاصم بن عدي، وعمرو بن عيسى. وروى عن: مروان ومروان أصغر منه. روى عنه: ابنه العباس، وأبو حازم، والزهرى، وآخرون. مات سنة إحدى وتسعين. وقيل قبل ذلك. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (3/167).

5- صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب من طلق، وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق. رقم الحديث (5256). (41/7).

قال ابن عباس رضي الله عنه: إن كان سمي لها صداقاً، فليس لها إلا النصف، وإن لم يكن سمي لها صداقاً فأمتعها على قدر عسره ويسره، وهو السراح الجميل<sup>(1)</sup>.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾.

خاطب الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن وهي الأجور هاهنا، كما قاله مجاهد وغير واحد، وقد كان مهره لنسائه اثنتي عشرة أوقية<sup>(2)</sup> ونشاً وهو نصف أوقية، فالجميع خمسمئة درهم إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان فإنه أمهرها عنه النجاشي، أربعمئة دينار، وإلا صفية بنت حيي فإنه اصطفاها من سبي خيبر، ثم أعتقها وجعل عتقها صداقها. وكذلك جويرية بنت الحارث المصطلقية، أدى عنها كتابتها إلى ثابت بن قيس<sup>(3)</sup> وتزوجها.

وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أي: وأباح لك التسري مما أخذت من المغنم وقد ملك صفية و جويرية فأعتقهما وتزوجهما. وملك ريحانة بنت شمعون

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (391/6).

2- مادة: (أ و ق): أوقية مفرد وجمعها أواق وهي وزن من الأوزان يختلف مقداره من بلد عربي إلى آخر. واسم للعملة الوطنية في موريتانيا. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008 م. (139/1).

3- هو: ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي. خطيب الأنصار. روى ابن السكن من طريق ابن أبي عدي عن حميد عن أنس قال: خطب ثابت بن قيس مقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة فقال: نمنعك مما نمع منه أنفسنا وأولادنا، فما لنا؟ قال: «الجنة». قالوا: رضينا. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (511/1).

النضرية<sup>(1)</sup> ومارية القبطية، وكانتا من السراري.

وقوله: ﴿وَبَنَاتِ عِمَّكَ﴾: هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط؛ فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعداً، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته، فجاءت هذه الشريعة الكاملة بهدم إفراط هؤلاء، وتفريط هؤلاء، وإنما وَحَدَّ لفظ العم والخال لشرف الذكورة، وجمع الإناث كقوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾<sup>(2)</sup>، وقوله: ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ عن أم هانئ<sup>(3)</sup> قالت: خطبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاعتذرت إليه فعذرني، ثم أنزل الله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ إلى قوله: ﴿هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ قالت: (فلم أكن أحل له، لم أكن ممن هاجر معه، كنت من الطلقاء). رواه الترمذي وغيره<sup>(4)</sup>.

قال أبو رزين<sup>(5)</sup> وقتادة رحمهم الله: أي: من هاجر معه إلى المدينة، وقيل: أي أسلمن<sup>(6)</sup>.

1- هي: ريحانة بنت شمعون ابن زيد بن خنافة من بني قريظة. وقيل من بني النضير. والأكثر أنها من بني قريظة، ماتت قبل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -، يقال: إن وفاتها كانت سنة عشر مرجعه من حجة الوداع. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1847/4).

2- سورة النحل، من الآية 48.

3- هي: أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية، ابنة عم النبي - صلى الله عليه وسلم - قيل: اسمها فاختة، وقيل اسمها فاطمة، وقيل هند، والأول أشهر. ومن طريق السدي، عن أبي صالح مولى أم هانئ، قال: خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - أم هانئ، فقالت: إني مؤيمة، فلما أدرك بنوها عرضت نفسها عليه، فقال: «أما الآن فلا» لأن الله أنزل عليه في قوله: وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ [سورة الأحزاب آية 50]، ولم تكن من المهاجرات. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (485/8-486).

4- سنن الترمذي، باب ومن سورة الأحزاب. رقم الحديث (3214). (355/5). رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (309/10).

5- هو: لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة أبو رزين العقيلي له صحبة ووفادة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويقال: لقيط بن صبرة، قاله ابن منده. روى عنه: وكيع بن عدس، وابنه عاصم بن لقيط، وعمرو بن أوس، وغيرهم. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (491/4).

6- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (392/6).

وقوله: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أي: ويحل لك - يأيها النبي - المرأة المؤمنة إذا وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك. وهذه الآية توالى فيها شرطان، هبتها واراقتها.

وفي الصحيحين: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إني وهبت نفسي لك، فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال: يا رسول الله، زوجنيها إن لم يكن لك فيها حاجة، فقال: عندك من شيء تُصدقها فقال: ما عندي إلا إزاري هذا فقال: "قالتمس ولو خاتما من حديد" فالتمس فلم يجد شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل معك من القرآن شيء؟" قال: نعم؛ سورة كذا، وسورة كذا فقال قد: "زوجتكها بما معك من القرآن"(1).

وفي رواية فقال: (انطلق فقد زوجتكها فعلمها من القرآن)(2).

وعن ثابت البناني - رضي الله عنه - (3) قال: (كنت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - جالسا وعنده ابنة له فقال أنس رضي الله عنه: جاءت امرأة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا نبي الله، هل لك في حاجة؟ فقالت ابنته: ما كان أقل حياءها. فقال: "هي خير منك، رغبت في النبي - صلى الله عليه وسلم - فعرضت عليه نفسها". رواه البخاري وأحمد(4).

1- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب التزويج على القرآن وبغير صداق. رقم الحديث (5149). (20/7).

صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب الصداق، وجواز كونه تعليم قرآن، وخاتم حديد، وغير ذلك من قليل وكثير، واستحباب كونه خمسمائة درهم لمن لا يجحف به. رقم الحديث (1425). (1040/2).

2- صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب الصداق، وجواز كونه تعليم قرآن، وخاتم حديد، وغير ذلك من قليل وكثير واستحباب كونه خمسمائة درهم لمن لا يجحف به. رقم الحديث 77- (...). (1041/2).

3- هو: ثابت البناني بن أسلم أبو محمد البصري روى: عن أنس وعبد الله بن الزبير وأبي برزة الأسلمي وعمر بن أبي سلمة وغيرهم. وعنه حماد بن زيد وحماد بن سلمة وحميد الطويل وشعبة وكان محدثا من الثقات المأمونين صحيح الحديث قال أبو حاتم: أثبت أصحاب أنس الزهري ثم ثابت ثم قتادة وكان يقص. مات سنة سبع وعشرين ومائة عن ست وثمانين. ينظر: طبقات الحفاظ. للسيوطي. (57/1).

4- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح. رقم الحديث (5120). (13/7). مسند أحمد. رقم الحديث (13835). (333/21).

وكانت خولة بنت حكيم<sup>(1)</sup>، وميمونة بنت الحارث، وزينب أم المساكين<sup>(2)</sup> وهي التي اختارت الدنيا، وامرأة من بني الجون<sup>(3)</sup>، وهي التي استعادت منه هن اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله، صلى الله عليه وسلم.

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: (كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن من النبي - صلى الله عليه وسلم - وأقول: أتهب امرأة نفسها؟ فلما أنزل الله: ﴿تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوَىٰ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْنَعَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ قللت: ما أرى ربك يُسارع في هواك). رواه البخاري<sup>(4)</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يكن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - امرأة وهبت نفسها له.

1- هي: خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمية، امرأة عثمان بن مظعون. روت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - . روى عنها سعد بن أبي وقاص وسعيد بن المسيب، وبشر بن سعيد، وغيرهم، وقال هشام بن عروة عن أبيه: كنت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي - صلى الله عليه وسلم - . ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (116/8).

2- هي: زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - يقال لها: أم المساكين، لكثرة إطعامها المساكين وصدققتها عليهم. وتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد حفصة. قال أبو عمر: ولم تلبث عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا يسيرا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت، وكانت وفاتها في حياته. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (130/7).

3- هي: فاطمة بنت الضحاك الكلابية قال ابن إسحاق: تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد وفاة ابنته زينب، وخيرها حين نزلت آية التخيير، فاختارت الدنيا، ففارقها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول: أنا الشقية أخترت الدنيا. هكذا قال، وهذا باطل، لأن الحديث الصحيح عن عائشة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين خير أزواجه بدأ بها، فاختارت الله ورسوله وتتابع أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - كلهن على ذلك وقال قتادة وعكرمة: كان عنده تسع نسوة حين خيرهن، وهن اللاتي توفي عنهن. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (222/7).

4- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوَىٰ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْنَعَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ). رقم الحديث (4788). (117/6).

أي: إنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له، وإن كان ذلك مباحاً له ومخصوصاً به لأنه مردود إلى مشيئته، كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ أي: إن اختار ذلك.

وقوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾.

قال عكرمة رحمه الله: أي: لا تحل الموهوبة لغيرك، ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى عقد عليه بشيء من المهر<sup>(1)</sup>.

وقال مجاهد - رحمه الله - وغيره: أي: إنها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل، فإنه متى دخل بها وجب لها عليه مهر المثل، كما حكم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بروع بنت واشق<sup>(2)</sup> لما فوضت، و توفي عنها زوجها والموت والدخول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي - صلى الله عليه وسلم - فأما هو - صلى الله عليه وسلم - فلا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها لأن له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود كما في قصة زينب بنت جحش، وكان ذلك خاصاً للنبي صلى الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>.

﴿تُرْجَىٰ مِنْ نَشَاءٍ مِّنْهُنَّ وَتُؤَيَّىٰ إِلَيْكَ مِنْ نَّشَاءٍ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ (٥١).

سبق قول عائشة رضي الله عنها: في شأن اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونزول هذه الآية قريباً، فقله: ﴿تُرْجَىٰ﴾ أي: تؤخر ﴿مِنْ﴾

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (394/6).

2- هي: بروع بنت واشق الرواسية الكلابية وقيل الأشجعية زوج هلال بن مرة. أخبرنا يحيى بن محمود، إذنا بإسناده إلى ابن أبي عاصم، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الله، أخبرنا هشام بن عمار، عن صدقة بن خالد عن المثني، عن عمرو بن شعيب، عن سعيد بن المسيب، عن بروع بنت واشق، " أنها نكحت رجلاً فوضت إليه، فتوفي قبل أن يجامعها، ف قضى لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصداق نساءها ". ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (35/7).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (394/6).

تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴿ أَي: من الواهبات ﴾ ﴿ وَتُؤْوِي ﴾ أَي: وتظم ﴿ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ أَي: مَنْ شِئْتَ قَبْلَتَهَا، وَمَنْ شِئْتَ رَدَدْتَهَا، وَمَنْ رَدَدْتَهَا أَنْتَ بِالْخِيَارِ بَعْدَ ذَلِكَ، إِنْ شِئْتَ عُدْتَ فِيهَا فَأَوْبَيْتَهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ أَي: وَمَنْ طَلَبْتَ وَأَرَادْتَ أَنْ تُؤْوِيَ إِلَيْكَ امْرَأَةً مِمَّنْ عَزَلْتَهُنَّ مِنَ الْقِسْمِ.

وقيل: المراد بقوله: ﴿ تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ أَي: من أزواجك، لا حرج عليك أن تترك القسم لهن، فتقدم من شئت، وتؤخر من شئت، وتجامع من شئت، وتترك من شئت. هكذا روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد<sup>(1)</sup>.

ومع هذا كان - صلى الله عليه وسلم - يقسم لهن؛ ولهذا ذهب بعض الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجباً عليه - صلى الله عليه وسلم -<sup>(2)</sup>. وعن معاذة<sup>(3)</sup> عن عائشة - رضي الله عنها -: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية: ﴿ تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ الآية فقلت لها: ما كنت تقولين؟ فقالت: كنت أقول: إن كان ذلك إليّ فإني لا أريد يا رسول الله أن أؤثر عليك أحداً). رواه البخاري<sup>(4)</sup>.

فهذا عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجوب القسم، وحديثها الأول يدل أنها نزلت في الواهبات، ومن هاهنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء عنده، أنه مخير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم.

وهذا حسن قوي؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عِيَّتَهُنَّ ﴾ أَي: إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم، إن شئت قسمت، وإن شئت لم تقسم، لا

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (395/6).

2- ينظر: الحاوي في فقه الشافعي. للماوردي، دار الكتاب العلمية (25/9).

3- هي: معاذة بنت عبد الله العدوية امرأة صلة بن أشيم تروى عن عائشة وكانت من العابدات روى عنها يزيد الرشك وأهل البصرة وكانت تقول صحبت الدنيا سبعين سنة فما رأيت فيها قرّة عين قط. ينظر: الثقات لابن حبان (466/5).

4- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ). رقم الحديث (4789). (6/118).

جناح عليك أي: في أي ذلك فعلت، و مع هذا أنت تقسم لهن اختياراً منك لا أنه على سبيل الوجوب، فرحن بذلك واستبشرن به، واعترفن بمنتك عليهن في قسمك لهن وعدلك فيهن.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: من الميل إلى بعضهن دون بعض، مما لا يمكن دفعه، كما قالت عائشة: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: (اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك). رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة، وزاد أبو داود القلب<sup>(1)</sup>.

ولهذا عقب ذلك بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ أي: بضمائر السرائر ﴿حَلِيمًا﴾ أي: يحلم ويغفر.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وكثيرون: نزلت هذه الآية مجازاً لأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، كما سبق في آية التخيير. فكان جزاؤهن أن الله قصره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن غيرهن ولو أعجبه حسنهن إلا الإمام و السراي فلا حجر عليه فيهن<sup>(2)</sup>.

ثم رفع الله عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج ولكن لم يتزوج واحدة بعد ذلك لتدوم له المنة عليهن، حتى قالت عائشة رضي الله عنها:

1- مسند أحمد. رقم الحديث (25111). (46/42). سنن ابن ماجه، باب القسمة بين النساء. رقم الحديث (1971). (633/1). سنن الترمذي، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر. رقم الحديث (1140). (438/3). سنن أبي داود، باب في القسم بين النساء. رقم الحديث. (2134). (242/2). سنن النسائي باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض. رقم الحديث. (3943). (63/7).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (396/6).

(ما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أحل الله له النساء). رواه أحمد والترمذي والنسائي (1).

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: (لم يمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أحل الله له أن يتزوج ما شاء). رواه ابن أبي حاتم (2).

وقال آخرون: بل معنى الآية: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾ من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحلنا لك من النساء اللاتي آتيت مهورهن وما ملكت يمينك وبنات العم والعمات والخال والخالات والواهبة وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك (3).

كما قيل لأبي بن كعب: أرأيت لو أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - تُوفين، أما كان له أن يتزوج؟ فقال: وما يمنعه من ذلك؟ قال: قلت: قوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ فقال: إنما أحل الله له ضرباً من النساء، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ الآية ثم قيل له: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾. رواه ابن جرير (4).

وقال مجاهد رحمه الله: أي: لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد

المسلمات

﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَهُنَّ﴾ أي: ولا أن تتبدل بالمسلمات غيرهن، وعن الضحاك: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَهُنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ أي: ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي في حيالك أزواجاً غيرهن بأن تطلقهن فتتكح غيرهن، فحرم عليه طلاق النساء اللاتي كن عندهن، فأما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه (5).

1- مسند أحمد. رقم الحديث (25467). (294/42). سنن الترمذي، باب ومن سورة الأحزاب. رقم الحديث (3216). (356/5). سنن النسائي، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض. رقم الحديث (3204). (56/6).

2- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. (3145/10).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (396/6-397).

4- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/317).

5- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخوي (367/6).

وقال بعضهم: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ أي: التي سمي الله<sup>(1)</sup>.

واختار ابن جرير رحمه الله: أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسعاً، ولا منافاة، بين هذا ولا بين ما سبق عند التأمل<sup>(2)</sup>.

وأما ما روي في الصحيح: (أنه - صلى الله عليه وسلم - عزم على فراق سودة حتى وهبته نوبتها لعائشة)<sup>(3)</sup>.

وما روي: (أنه - صلى الله عليه وسلم - طلق حفصة ثم راجعها، فإن ذلك قبل نزول هذه الآية)<sup>(4)</sup>. والله أعلم.

وقد روى الحافظ أبو بكر البزار<sup>(5)</sup> - رحمه الله - بإسناده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (كان الإبدال في الجاهلية أن يقول: الرجل للرجل بادلني امرأتك وأبادلك بامرأتي، أي: تنزل عن امرأتك لي، وأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ قال: فدخل عيينة بن حصن الفزاري<sup>(6)</sup> على النبي - صلى الله عليه وسلم - وعنده عائشة، فدخل بغير إذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فأين الاستئذان؟" قال يا رسول الله، ما استأذنت

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (397/6).

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/318).

3- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب المرأة تهب يومها من زوجها لضررتها، وكيف يقسم ذلك. رقم الحديث (5212). (7/33).

4- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/320).

5- هو: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير المعطل، سمع هدية بن خالد وعبد الأعلى بن حماد وغيرهم. روى عنه عبد الباقي بن قانع ومحمد بن العباس بن نجيح وأبو بكر الختلي وعبد الله بن الحسن وأبو الشيخ وخلق كثير. توفي بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين. ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي. (166/2).

6- هو: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان الفزاري يكنى: أبا مالك. أسلم بعد الفتح، وقيل: أسلم قبل الفتح، وشهد الفتح مسلماً، وشهد حنيناً أو الطائف أيضاً. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (318/4).

على رجل من مُضَرٍ منذ أدركت، ثم قال: من هذه الحُمَيْرَاءِ على جنبك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذه عائشة أم المؤمنين"، قال: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق؟ قال: "يا عبينة إن الله قد حرم ذلك"، فلما أن خرج قالت عائشة: مَنْ هذا؟ قال: هذا أحمق مطاع، وإنه على ما ترين لسيد قومه". والحديث ضعيف معلول (1).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَبْظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خِيفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

في هذه الآية أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال: (وافقني ربي في ثلاث فقلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (2) وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو حجبتن؟ فأنزل الله آية الحجاب، وقلت لأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - لما تمالأن عليه في الغيرة: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ (3) فنزلت كذلك (4).

1- البحر الزاخر مسند البزار. رقم الحديث (8761). (275/15).

2- سورة البقرة، من الآية 125.

3- سورة التحريم، من الآية 5.

4- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]. رقم الحديث

(4483). (20/6). صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عمر

رضي الله تعالى عنه. رقم الحديث (2399). (1865/4).

وفي رواية لمسلم رحمه الله: ذكر (أسارى بدر)<sup>(1)</sup> وهي قضية رابعة.  
وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
بزينب بنت جحش - رضي الله عنها - في ذي القعدة من السنة الخامسة<sup>(2)</sup>.  
وقيل: سنة ثلاثٍ من الهجرة، والله أعلم<sup>(3)</sup>.

وفي الصحيحين: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (لما تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعا القوم فَطَعَمُوا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام مَنْ قام، وقعد ثلاثة نفر وجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - ليدخل، وهم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقت، فجئبت فأخبرت النبي - صلى الله عليه وسلم - أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقي الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ (الآية)<sup>(4)</sup>.

وفي البخاري: عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (بني على النبي - صلى الله عليه وسلم - بزينب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلتُ على الطعام داعياً فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوتُ حتى لا أجد أحداً أدعوه فقلت: يا رسول الله، ما أجد أحداً أدعوه قال: "ارفعوا طعامكم" وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - فانطلق إلى حجرة عائشة، فقال: "السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته" فقالت: وعليك

1- صحيح مسلم بلفظ (وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحَجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ)، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه. رقم الحديث (2399). (1865/4).

2 - صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [البقرة: 125]. رقم الحديث (4791). (118 /6).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (399/6).

4- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [البقرة: 125]. رقم الحديث (4791). (118/6). صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش، ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس. رقم الحديث (1428). (1050/2).

السلام ورحمة الله، وبركاته كيف وجدت أهلك، بارك الله لك؟ فتقرى حجر نسائه كلهن، يقول لهن كما قال لعائشة، ويقنن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي - صلى الله عليه وسلم - فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة - رضي الله عنها - فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا؟ فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله، وأخرى خارجه، أرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب<sup>(1)</sup>.

فقال: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ حَظَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوا مَنَازِلَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِغَيْرِ إِذْنٍ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَصْنَعُونَ فِي بُيُوتِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَابْتِدَاءَ الْإِسْلَامِ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، فَأَمَرَهُمْ بِذَلِكَ، إِكْرَاماً لِرَسُولِهِ وَأُمَّتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ" الْحَدِيثُ<sup>(2)</sup>.

ثم استثنى من ذلك فقال: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾. غير منتظرين نضجه، يقال: إناء الحميم إذا انتهى حره أي: لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن مما يكرهه الله ويذمه، وهذا دليل على تحريم التطفيل، وهو الذي يمشي إلى طعام لم يدع إليه.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾. كما جاء في الصحيح: عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا دعا أحدكم أخاه فليجب، عرساً كان أو غيره")<sup>(3)</sup>.

1- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب { لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ } [البقرة: 125]. رقم الحديث (4793). (6/ 119).

2- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة [البقرة: 125]. رقم الحديث (5232). (7/ 37).

3- صحيح مسلم، بلفظ «إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها» كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة. رقم الحديث (1429). (2/ 1053).

أي: فإذا فرغتم من الذي دُعيتُم إليه فخففوا عن أهل المنزل، وانتشروا في الأرض ولهذا قال: ﴿وَلَا مُسْتَعْسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ أي: لا كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث، ونسوا أنفسهم، حتى شقَّ ذلك على النبي - صلى الله عليه وسلم - كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ﴾. وقيل: أن المراد دخولكم منزله بغير إذنٍ كان يشق عليه ويتأذى به، ولكن كان يكره أن ينهاتهم عن ذلك من شدة حياته، حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ فنهاكم عن ذلك وزجركم عنه<sup>(1)</sup>.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي: من وراء سترٍ فبعد آية الحجاب لم يكن لأحدٍ أن ينظر إلى امرأةٍ من نساء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - متقببة كانت أو غير متقببة.

﴿ذَلِكَ لِيُطَهِّرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبَهُنَّ﴾ أي: هذا الذي شرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: ليس لكم أدأؤه في شيء من الأشياء ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾.

نزلت في رجلٍ من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: لئن قبيض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا ينكح عائشة، قيل: هو طلحة بن عبيد الله<sup>(2)</sup> فأخبر الله - تعالى - أن ذلك محرم. رواه ابن أبي حاتم<sup>(3)</sup> رحمه الله. ولهذا أجمع العلماء على أن من توفي عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أزواجه محرم على غيره تزويجها من بعده؛ لأنهن أمهات المؤمنين واختلفوا فيمن دخل بها

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (402/6).

2- هو: طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، أبو محمد، القرشي التيمي، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصحاب الشورى. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (84/3).

3- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (3150/10).

ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره تزوجها؟ على قولين فأما من طلقها قبل الدخول فلا نزاع في جوازه وقد عظم الله ذلك، وشدد فيه وتوعد عليه بقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ ثم قال: ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفُّوهُ﴾ أي: مهما تكنه ضمائركم وتتطوي عليه سرائركم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: فإنه - تعالى - بعلمه لا تخفى عليه خافية، فإنه يعلم خائنة الأعين وخافية الصدور.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أبنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَخَوَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَتَقِينَ اللَّهَ رَبَّكَ اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

لما أمر - تعالى - النساء بالحجاب من الأجنبي، بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم، كما استثناهم في سورة النور، عند قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ (1)، وإنما لم يذكر العم والخال في هذه الآية؟ والله أعلم؛ لأنهما قد يصفانها وينعتانها لأبنائهما.

وقوله: ﴿وَلَا نِسَائِهِمْ﴾: يعني بذلك: عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات بخلاف الكتابيات، فإنه لا يجوز لهن الدخول عليهن.

وقوله: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يعني: به أرقاؤهن من الذكور والإناث كما تقدم التنبيه عليه (2).

وقال ابن المسيب رحمه الله: إنما يعني به الإمام فقط (3).

وقوله: ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ رَبَّكَ اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ أي: واخشينه في الخلوة والعلانية، فإنه شهيد على كل شيء.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا﴾.

1- سورة النور، من الآية 31.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (44/6).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (404/6).

قال أبو العالية رحمه الله: (صلاة الله، ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (يصلون، يبركون). هكذا في البخاري تعليقا<sup>(1)</sup>).

وقال سفيان الثوري- رحمه الله- وغير واحد: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار<sup>(2)</sup>.

وقيل: صلاته - تعالى - سُبُوحٌ قُدُوسٌ، سبقت رحمتي غضبي، والغرض من هذه الآية: أنه- تعالى- أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، فإن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى: أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، فيجتمع الثناء عليه من أهل العالمين جميعا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل يصلي ربك؟ فناداه ربه تعالى: يا موسى، سألوكم "هل يصلي ربك؟" فقل: نعم إنما أصلي أنا وملائكتي على أنبيائي ورسلي<sup>(3)</sup>.

فأنزل الله -عليه السلام- على نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية.

وقد أخبر تعالى أنه، يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾<sup>(4)</sup> الآية، وقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾<sup>(5)</sup>.

1- صحيح البخاري، ولفظه (قال أبو العالية: "صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء" قال ابن عباس رضي الله عنه-: "يصلون: يبركون {لنغرينك} [الأحزاب: 60]: لنسلطنك") كتاب تفسير القرآن، باب قول الله تعالى: {إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب: 55]. رقم الحديث (.....). (6/120).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (404/6).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (405/6).

4- سورة الأحزاب، من الآية 43.

5- سورة البقرة، من الآية 157.

وفي الحديث: (إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف)<sup>(1)</sup>.  
وأيضاً: (اللهم صل على آل أبي أوفى)<sup>(2)</sup>.

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأمر بالصلاة عليه، وكيفيةها منها في البخاري، عن كعب بن عجرة - رضي الله عنه -<sup>(3)</sup> قال: قيل: (يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: "قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد")<sup>(4)</sup>.

وعن كعب - رضي الله عنه - أيضاً قال: (خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا: يا رسول الله قد علمنا و عرفنا كيف السلام عليك، فكيف الصلاة؟ فقال: "قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد")<sup>(5)</sup>.

1- سنن أبي داود، باب من يستحب أن يلي الإمام في الصف وكرهية التأخر. رقم الحديث (676). (181/1).

2- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام، ودعائه لصاحب الصدقة. رقم الحديث (1497). (129/2).

3- هو: كعب بن عجرة بن أمية بن عدي بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن عوف بن غنم بن سواد بن مري بن إراشة بن عامر بن عبيلة بن قسيميل بن فران بن بلي البلوي روى عنه: ابنه عمر، وجابر بن عبد الله وعبيد الله بن عمرو بن العاص، وابن عباس، وغيرهم، وسكن الكوفة. وتوفي كعب بالمدينة سنة إحدى وخمسين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (4/454).

4- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 55]. رقم الحديث (4797). (120/6).

5- صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - . رقم الحديث (6357). (77/8). صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد التشهد. رقم الحديث (406). (305/1). سنن النسائي، باب كيف الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - . رقم الحديث (1287) (47/3). سنن الترمذي، باب ما جاء في صفة الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - . رقم الحديث (483). (352/2). سنن ابن ماجه، باب الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ومعنى قوله: "أما السلام عليك فقد عرفناه"، هو الذي في التشهد الذي كان قد علمهم إياه، كما كان يعلمهم السورة من القرآن، وهو: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته"<sup>(1)</sup>.

وفي رواية أخرى للبخاري رحمه الله: (اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم)<sup>(2)</sup>. وفي رواية: (على إبراهيم و آل إبراهيم)<sup>(3)</sup>.

ولهذا الحديث روايات مختلفة، فلنكتف بما ذكرنا.

وقال ابن مسعود- رضي الله عنه- موقوفاً عليه: (إذا صليتم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فأحسنوا الصلاة عليه؛ فإنكم لا تدرون لعل ذلك يُعْرَضُ عليه، فقالوا له: فَعَلَّمْنَا فقال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك، إمام الخير وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعته مقاما محمودا يَغْبِطُهُ به الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد). رواه ابن ماجه<sup>(4)</sup>.

وعن عامر بن ربيعة- رضي الله عنه-<sup>(5)</sup> قال: سمعت النبي - صلى الله

- رقم الحديث. (904). (293/1). سنن أبي داود، باب الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم -.

رقم الحديث. (976). (257/1).

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (406/6).

2- صحيح البخاري. باب: ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 55]. رقم الحديث (4798). (6/121).

3- صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - رقم الحديث (6358). (77/8).

4- سنن ابن ماجه، باب الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - رقم الحديث. (906). (293/1).

5- هو: عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رفيدة بن عنز بن وائل العنزي. كان أحد السابقين الأولين، وشهد بدرًا وما بعدها، وله رواية عن النبي - صلى الله

عليه وسلم - يقول: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً لَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تَصَلِّيْ عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيَكْتُرْ). رواه أحمد وابن ماجه<sup>(1)</sup>.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة). رواه الترمذي وحسنه<sup>(2)</sup>.

عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: قلت: (يا رسول الله، إنني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: "ما شئت"، قلت: الربع؟ قال: "ما شئت، فإن زدت فهو خير لك"، قلت: فالتلثين؟ قال: "ما شئت، فإن زدت فهو خير لك"، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: "إن تكفى همك، ويغفر لك ذنبك"). رواه الترمذي وحسنه<sup>(3)</sup>.

وعن أبي طلحة رضي الله عنه<sup>(4)</sup>: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاء ذات يوم، والسرور يرى في وجهه فقالوا: يا رسول الله، إنا لنرى السرور في وجهك، فقال: "إنه أتاني الملك فقال: يا محمد أما يرضيك أن ربك - عليه السلام - يقول: إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صلّيت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً؟ قال: بلى). رواه أحمد والنسائي<sup>(5)</sup>.

عليه وسلم - من طريق أبيه عبد الله، ومن طريق عبد الله بن عمر وغيرهم. قال مصعب الزبيري: مات سنة اثنتين وثلاثين. وقيل في وفاته غير ذلك. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (3/469-470).

1- مسند أحمد. رقم الحديث (15680). (451/24). سنن ابن ماجه، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. رقم الحديث. (907). (294/1).

2- سنن الترمذي، باب ما جاء في صفة الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - . رقم الحديث. (484). (354/2).

3- سنن الترمذي، باب..... رقم الحديث. (2457). (636/4).

4- هو: زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمر بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، أبو طلحة الأنصاري الخزرجي النجاري عقبي، بدري، نقيب، وهو مشهور بكنيته، وهو الذي حفر قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولحده، وقال المدائني: مات سنة إحدى وخمسين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (2/361).

5- مسند أحمد. رقم الحديث (16363). (283/26). سنن النسائي، باب الفضل في الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - . رقم الحديث. (1295) (50/3).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صلى عليّ واحدةً، صلى الله عليه بها عشراً). رواه مسلم<sup>(1)</sup>.

وعن الحسين، بن علي رضي الله عنهما: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (البخيل من ذكرت عنده، فلم يصل عليه). رواه أحمد والترمذي<sup>(2)</sup>.

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان، ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة). رواه الترمذي وحسنه<sup>(3)</sup>. وفي البخاري نحوه<sup>(4)</sup>.

وفي الحديث دليل على وجوب الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- كما هو مذهب طائفةٍ من العلماء منهم الطحاوي<sup>(5)</sup> والحلي<sup>(6)</sup>.

وذهب آخرون إلى أنه تجب الصلاة في المجلس مرة واحدة، ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس، بل تستحب، نقله الترمذي عن بعضهم<sup>(7)</sup>.

- 
- 1- صحيح مسلم، كتاب الصلاة، بابُ الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - . رقم الحديث (408). (306/1).
  - 2- مسند أحمد. رقم الحديث (1736). (257/3-258). سنن الترمذي، باب..... رقم الحديث. (3546). (551/5).
  - 3- سنن الترمذي، باب..... رقم الحديث. (3545). (550/5).
  - 4- لم أفق على هذا الحديث في صحيح البخاري.
  - 5- هو: أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن سليم بن سليمان ابن حباب الأزدي الحجري المصري أبو جعفر، الطحاوي. الإمام، الفقيه، الحافظ، المحدث. وصنف الطحاوي كتاباً مفيدة، منها " أحكام القرآن " في نيف وعشرين جزءاً، و معاني الآثار، وهو أول تصانيفه، وغيرها. كانت ولادة الطحاوي سنة ثمان وثلاثين ومائتين. وقال السمعاني: سنة تسع. ووفاته سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. ينظر: الطبقات السننية في تراجم الحنفية للنتقي الغزي (1/136-137).
  - 6- هو: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم باللام الشيخ الإمام أبو عبد الله الحلي. أحد أئمة الدهر وشيخ الشافعيين بما وراء النهر وروى عنه الحاكم وعن أخيه أبي الفضل الحسن بن أبي محمد الحسن الحلي وفي ترجمة الشيخ أبي عبد الله ثم قال توفي الحاكم العالم أبو عبد الله الحلي في سنة ثلاث وأربعمائة. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (4/333-334).
  - 7- سنن الترمذي، باب في القوم يجلسون ولا يذكر الله. رقم الحديث. (3380). (461/5).

ويؤيد ذلك ما رواه ابن هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم). رواه أحمد والترمذي وحسنه<sup>(1)</sup>.

وقال: بعضهم أنه إنما تجب الصلاة عليه، في العمر مرة واحدة، امتثالاً لأمر الآية ثم هي مستحبة في كل حال، عليه القاضي عياض<sup>(2)</sup> بعدما حكى الإجماع على وجوب الصلاة عليه في الجملة. وقيل: غير ذلك<sup>(3)</sup>.

وقد ورد الأمر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة، فمنها واجب، ومنها مستحب. كما في آخر الأذان لما روي، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي؛ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة). رواه مسلم وأكثر أصحاب السنن<sup>(4)</sup>.

ومن ذلك: عند دخول المسجد والخروج منه<sup>(5)</sup>.

1- مسند أحمد. رقم الحديث (9843). (524/15). سنن الترمذي. باب: في القوم يجلسون ولا يذكرون الله. رقم الحديث. (3380). (461/5).

2- هو: القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض العلامة عالم المغرب أبو الفضل اليحصبي السبتي الحافظ. ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة. أجاز له أبو علي الغساني. وتفقه وصنف التصانيف التي سارت بها الركبان كالشفاء وطبقات المالكية وشرح مسلم والمشارك في الغريب وشرح حديث أم زرع والتاريخ وغير ذلك، وبعد صيته وكان إمام أهل الحديث في وقته وأعلم الناس بعلومه وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، وولي قضاء سبتة ثم غرناطة مات ليلة الجمعة سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمراكش. ينظر: طبقات الحفاظ للذهبي. (470/1).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (415/6).

4- صحيح مسلم، كتاب الصلاة، بابُ القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يسأل له الوسيلة. رقم الحديث (384). (288 /1). سنن الترمذي، باب.... رقم الحديث. (3614). (586/5). سنن أبي داود، باب ما يقول إذا سمع المؤذن. رقم الحديث. (523). (144/1).

5- مسند أحمد. رقم الحديث (26416). (13/44).

ومن ذلك: الصلاة عليه في صلاة الجنازة<sup>(1)</sup>.  
وكذا في صلاة العيد، وختم الدعاء وفي دعاء القنوت وكذا الإكثار منها في  
يوم الجمعة وليلتها<sup>(2)</sup>.  
وعند زيارة قبره - صلى الله عليه وسلم - وبعد التلبية للمحرم، ومع ذكر الله  
في أكثر المواطن؛ فإن في كل منها وردت أحاديث وأخبار<sup>(3)</sup>.

### [فصل]

وأما الصلاة على غير الأنبياء، فإن كانت على سبيل التبعية فهو جائز  
بالإجماع.

قال الإمام النووي: أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد - صلى الله  
عليه وسلم - وكذلك أجمع من يعتدُّ به على جوازها واستحبابها على سائر  
الأنبياء والملائكة استقلالاً، وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلى  
عليهم ابتداءً، فلا يقال: أبو بكر - صلى الله عليه وسلم - واختلف في هذا  
المنع فقال بعض أصحابنا: هو حرام، وقال أكثرهم: مكروه كراهة تنزيه،  
وذهب كثير منهم إلى أنه خلاف الأولى ليس مكروهاً والصحيح الذي عليه  
الأكثر أن مكروه كراهة تنزيه؛ لأنه شعار أهل البدع، وقد نهينا عن  
شعارهم، والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود.

قال أصحابنا: والمعتمد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في لسان  
السلف بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - كما أن قولنا: "عز وجل" مخصوص  
بالله - تعالى - وكما لا يقال: "محمد عز وجل"، وإن كان عزيزاً جليلاً لا يقال: "أبو  
بكر أو: علي صلى الله عليه"، وإن كان معناه صحيحاً، وانفقوا على جواز جعل

1- سنن الترمذي، باب ما جاء في القراءة على الجنازة بفاتحة الكتاب. رقم الحديث. (1027). (337/3).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (417/6).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (419/6).

غير الأنبياء تبعاً لهم في الصلاة، فيقال: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه. للأحاديث الصحيحة في ذلك<sup>(1)</sup>.

وقد أمرنا به في التشهد، ولم يزل السلف خارج الصلاة أيضاً، وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجويني<sup>(2)</sup> من أصحابنا: هو في معنى الصلاة، فلا يستعمل في الغائب، فلا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال: علي عليه السلام، سواءً في هذا الأحياء والأموات، وأما الحاضر فيخاطب به، فيقال: سلام عليك أو سلام عليكم، أو السلام عليك أو عليكم، وهذا مجمع عليه<sup>(3)</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾  
وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾.

هدد الله و توعد على مَنْ آذاه، بمخالفة أو امره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك وأذى رسوله بعيب أو تنقص.

قال عكرمة - رحمه الله - في قوله: نزلت في المصورين<sup>(4)</sup>.

وفي الصحيحين: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسبّ الدهر، وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره)<sup>(5)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (422/6).

2- هو: إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الجويني صدر الدين أبو المجمع ابن سعد الدين الشافعي الصوفي ولد سنة 44 وسمع من عثمان بن الموفق صاحب المؤيد الطوسي وأكثر عن جماعة بالعراق والشام والحجاز كان حسن الصحبة ذا اعتناء بهذا الشأن وعلى يده أسلم غازان ومات سنة 722 بالعراق. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (75/1).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (422/6).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (423/6).

5- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24] الآية. رقم الحديث (4826). (6/ 133). صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سبّ الدهر. رقم

الحديث (2246). (4/ 1762).

ومعنى هذا: أن أهل الجاهلية كانوا يقولون: يا خيبة الدهر، فعل بنا كذا وكذا. فيسندون أفعال الله إلى الدهر، ويسبونه، وإنما الفاعل لذلك هو الله، فنهى عن ذلك. هكذا قرره الشافعي وغيره من الأئمة<sup>(1)</sup>.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في الذين طعنوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - في تزويجه صفية بنت حيي بن أخطب<sup>(2)</sup>. والظاهر أن هذه الآية عامة في كل من آذاه بشيء، ومن آذاه فقد آذى الله كما أن من طاعه فقد أطاع الله.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: ينسبون إليهم ما هم برآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه، ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بِهِتَانًا وَإِثْمًا مَبِينًا﴾ وهذا هو البهت البين أن يحكى أو ينقل من المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه، على سبيل العيب والتقص لهم، ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: "أيُّ الربا أربى عند الله؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم"، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية). رواه ابن أبي حاتم<sup>(3)</sup> رحمه الله.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قيل: (يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال: "نكرُّك أخاك بما يكره" قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته"). رواه أبو داود والترمذي وصححه<sup>(4)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (423/6).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (424/6).

3- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (3153/10).

4- سنن أبي داود، باب في الغيبة. رقم الحديث. (4874). (269/4). سنن الترمذي، باب ما جاء في الغيبة.

رقم الحديث. (1934). (329/4).

﴿بَتَّيْهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْعَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أَخِذُوا وَوَقِلُوا تَفْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾.

أمر تعالى: رسوله صلى الله عليه وسلم- أن يأمر النساء المؤمنات وخاصة أزواجه وبناته لشرفهن بأن ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ﴾ أي: أن يغطين رؤوسهن ووجوههن ﴿مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾ جمع جلباب، وهو الرداء الذي يتستر وتشتمل به المرأة، فوق الدرع والخمار للخروج ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية والإماء.

قال ابن عباس رضي الله عنه: أمر الله نساء المؤمنات إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلباب، ويبيدين عيناً واحدة<sup>(1)</sup>.  
قالت أم سلمة رضي الله عنها: لما نزلت هذه الآية، خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْعَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ﴾ أي: إذا فعلن ذلك عرفن أنهن حرائر لسن بإماء ولا عواهر.

قال السدي- رحمه الله- وغيره: كان ناس من فساق المدينة يخرجون ظلام الليل إلى طرقها يتعرضون للنساء، وكانت مساكن ضيقة، فتخرج النساء لقضاء الحاجة، وكانوا يبتغون ذلك منهم، إن كن بلا جلباب، وثبوا عليها، ويكفون عن ذوات الجلباب، فأمرن أن يتجلبن فيعلم أنهن حرائر، فلا يتعرض لهن<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك.

1- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (332/10).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (425/6).

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (426-425/6).

ثم قال تعالى: متوعدًا للمنافقين، ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾  
قال عكرمة- رحمه الله- وغيره: هم الزناة هاهنا<sup>(1)</sup>.

﴿وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني: الذين يقولون: "جاء الأعداء" و"جاءت الحروب" وهو كذب وافتراء، لأن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: لنسلطنك عليهم، ونحرشك بهم.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾ أي: لا يسكنونك في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مَّלْعُونِينَ﴾  
حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين ﴿أَيُّنَمَا تَقُفُوا﴾ أي:  
وجدوا، ﴿أُخْذُوا﴾ لذلتهم وقتلهم، ﴿وَقَتَلُوا تَفْيِيلًا﴾ أي: هذا الحكم فيهم.

ثم قال: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هذه سنته في المنافقين إذا  
تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه، أن أهل الإيمان يسلطون عليهم  
ويقهرونهم ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي: سنة الله لا تبدل ولا تغير.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾<sup>(٦٣)</sup> <sup>٦٣</sup> <sup>٦٤</sup>  
اللَّهُ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيًا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ  
وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا  
فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾.

أخبر- تعالى- رسوله صلى الله عليه وسلم: أنه لا علم له بالساعة، وإن سأله  
الناس عن ذلك، وأرشده أن يرد علمها إلى الله، فاستمر الحال في ردّ علمها إلى من  
يقيمها لكن أخبره أنها قريبة بقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، كما قال:  
﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾<sup>(2)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (426/6).

2- سورة القمر، الآية 1.

ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ﴾ أي: أبعدهم عن رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ أي: في الدار الآخرة.

﴿خٰلِدِينَ﴾ أي: ماكثين فيها، لا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها ﴿لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه.

ثم قال: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ أي: يسحبون في النار على وجوههم، وتكوى وجوههم على جهنم، و﴿يَقُولُونَ﴾ وهم كذلك، يتمنون أي لو كانوا في الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول، كما أخبر عنهم في حال العرصات بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ الآية (1).

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا﴾ السادة الأمراء والأشراف والكبراء العلماء والمشيخة، أي: أتبعناهم وخالفنا الرسل وتصورنا أنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا رَبَّنَا إِنَّا أَهْمَ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي: بكفرهم وإغوائهم إيانا ﴿وَالْعَنَمُ لَنَا كَبِيرًا﴾ أي: عذاباً كبيراً مرة بعد أخرى.

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا<sup>٢٧</sup> وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ

وَجِيهًا ﴿٦١﴾.

عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن موسى كان رجلاً حياً، ستيراً، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أذرة وإما آفة، وإن الله- تعالى- أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده، فخلع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبرأه

1- سورة الفرقان، من الآية 27.

مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ﴾ (الآية). رواه البخاري (1).

وقال بعضهم: إذاؤهم إياه أنه لما مات هارون في التيه ادعوا على موسى أنه قتله فأمر الله الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل، فتكلمت بموته، فعرفوا أنه لم يقتله، ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ (2).

وقيل: المراد قصة قارون، ويحتمل أن يكون الكل مراداً (3).

وفي الصحيحين: عن عبد الله - رضي الله عنه - قال: (قسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم قسماً، فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، قال: فقلت: يا عدو الله، أنا لأخبرن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما قلت، قال: فذكرت ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فاحمرَّ وجهه، ثم قال: "رحمة الله على موسى، فقد أؤذي بأكثر من هذا فصبر" (4).

وقوله: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ أي: وله وجهة وجاه عند ربه - تعالى - لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه (5).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

1- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام. رقم الحديث (3404). (156/4).

2- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (379/6).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (429/6).

4- صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارعة والمناجاة. رقم الحديث (6291). (65/8). صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه. رقم الحديث (1062). (739/2).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (430/6).

أمر تعالى: عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة مَنْ كان يراه، وأن يقولوا ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي: مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم، أي: يوفقهم للأعمال الصالحة وأن يغفر لهم الذنوب الماضية، وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها.

ثم قال: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ وذلك أنه يجار من النار ويصير إلى النعيم المقيم.

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: (صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً صلاة الظهر فلما انصرف أومأ إلينا بيده فجلسنا، فقال: "إن الله أمرني أن أمركم، أن تتقوا الله وتقولوا قولاً سديداً"، ثم أتى النساء فقال: "إن الله أمرني أن أمركن: أن تتقين الله وتقلن قولاً سديداً"). رواه ابن أبي حاتم<sup>(1)</sup>.

قال عكرمة رحمه الله: القول السديد: لا إله إلا الله، وقيل: الصدق، وقيل: الصواب و السداد والكل حق<sup>(2)</sup>.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾<sup>(٧٢)</sup> لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا<sup>(٧٣)</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني بالأمانة، الطاعة، وعرضها عليهن قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها، فقال لآدم: إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال: يا رب، وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم فتحملها، فذلك قوله: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾<sup>(3)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (3158/10).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (430/6).

3- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (339/10).

وفي رواية أخرى عنه قال: الأمانة الفرائض، عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم، فكروا ذلك وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظيماً لدين الله ألا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، وهو قوله: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ يعني: غراً بأمر الله وفي رواية عنه: فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم، أي: تعد تحمله، حتى أصاب الخطيئة وقال قتادة: الأمانة، الدين والفرائض والحدود وقيل: أركان الإسلام كلياتها وجزئياتها ولا منافاة بينهما فإنها راجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفقه الله<sup>(1)</sup>.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ أي: لنفسه ﴿جَهُولًا﴾ أي: بأمر الله وما احتمل من الأمانة. وقيل: ظلوماً حين عصى ربه، جهولاً لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة. وقال بعض المأولين: إن الله ائتمن آدم وأولاده على شيء وائتمن السموات والأرض والجبال على شيء، فالأمانة في حق بني آدم ما ذكرنا من الطاعة والقيام على الفرائض، وسائر التكاليف والأمانة في حق السموات والأرض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقهن له<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا﴾ أي: أدين الأمانة، يقال: فلان لم يتحمل الأمانة أي: لم يخن فيها وحملها الإنسان أي: خان فيها، يقال: فلان حمل الأمانة، أي: أثم فيها بالخيانة، قال الله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾<sup>(3)</sup>.

وفي الصحيحين: عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: (حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا "أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم من السنة"، وحدثنا عن رفعها

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (431/6).

2- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخاري (381/6).

3- سورة العنكبوت، من الآية 13.

فقال: "ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك، فنفظ فتراه مُنتبراً وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، حتى يقال للرجل: ما أ عقله وما أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت، إن كان مسلماً ليردنه على دينه، وإن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه عليّ ساعيه، فأما اليوم ما كنت أباع منكم إلا فلاناً وفلاناً"<sup>(1)</sup>.

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة طعمة). رواه أحمد<sup>(2)</sup>.

وقد ورد النهي عن الحلف بالأمانة، أشد النهي، كما روى ابن بريده<sup>(3)</sup> رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من حلف بالأمانة فليس منا) رواه أبو داود<sup>(4)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿لِعَذَابِ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ أُشْرِكُوا﴾ أي: إنما حمل بني آدم الأمانة وهي التكليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفاً من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله، ﴿وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ وهم الذين ظاهراً وباطنهم على الشرك بالله، ومخالفة رسالهم، ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

1- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة. رقم الحديث (6497). (104/8). صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب. رقم الحديث (143). (126/1).

2- مسند أحمد. رقم الحديث (6652). (233/11).

3- هو: عبد الله ابن بريده ابن الخصيب الأسلمي أبو سهل المروزي قاضياً ثقة من الثالثة، مات سنة خمس ومائة وقيل بل خمس عشرة وله مائة سنة. ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني. (297/1)

4- سنن أبي داود، باب كراهية الحلف بالأمانة. رقم الحديث. (3253). (223/3).

وَأَلْمُؤْمِنَاتِ ﴿١٠﴾ أَي: يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الأمانة، ويعود عليهم بالرحمة  
والمغفرة إن قصرُوا في بعض الطاعات، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١﴾.  
تم والحمد لله رب العالمين.

## تفسير سورة سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١)  
 يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾  
 أخبر تعالى: عن نفسه الكريمة، أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة؛ لأنه المنعم المتفضل على أهل الدارين، المالك لجميع ذلك، الحاكم في جميع ذلك، كما قال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (1)؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الجميع ملكه وعبده وتحت قهره وتصرفه.

ثم قال: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾، فهو المعبود أبداً، المحمود على طول المدى.  
 وقوله: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ أي: في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، ﴿الْخَبِيرُ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية.  
 وقيل: حكيم بأمره، خبير بخلقه (2).

ولهذا قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أي: يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض، والحب المبدور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفيته وصفاته، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من قطر ورزق، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الأعمال الصالحة وغير ذلك، ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ أي: بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة الغفور لذنوب التائبين إليه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿صِرَاطَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

1- سورة القصص الآية 70.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (436/6).

هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن، مما أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أهل الكفر والعناد.

فإحداهن في سورة "يونس": ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرِيَّ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَوْ﴾ (1).

والثانية هذه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

والثالثة في "التغابن": ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ الآية (2).

فقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أي: الساعة، ثم وصفه بما يؤكد ذلك

ويقرره:

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ﴾ أي: لا يغيب عنه ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي: الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه منه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت، فهو عالم أين ذهبت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ أي: في الصد عن سبيل الله وتكذيب رسله يحسبون أنهم يعجزونا عن أخذهم ويفوتوننا، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ﴾ أي: عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ أي: لينعم السعداء من المؤمنين، ويعذب الأشقياء من الكافرين. وقوله: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾.

هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها، وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من

1- سورة يونس، الآية 53.

2- سورة التغابن، من الآية 7.

كتب الله في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين، ويقولون يومئذ: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ﴾<sup>(1)</sup> وغير ذلك من الآيات الموافقة لمعناه.

﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: المنيع الجنب، الذي لا يُمانع ولا يُغالب ﴿الْحَمِيدِ﴾ في جميع أقواله وأفعاله وشرعه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَى رَجُلٍ يَبْتَئِكُمُ إِذَا مَزَقْتُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ إِنَّكُمْ لَهِيَ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>(7)</sup> أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾

هذا إخبار من الله عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول - صلى الله عليه وسلم - في إخباره بذلك: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَى رَجُلٍ يَبْتَئِكُمُ﴾ أي: يخبركم يعنون محمداً - صلى الله عليه وسلم - ﴿إِذَا مَزَقْتُمْ﴾ أي: قطعتم كل تقطيع، وفرقتم كل تفريق في الأرض وذهبت أجزاءكم كل مذهب: ﴿إِنَّكُمْ﴾ أي: بعد هذه الحال ﴿لَهِيَ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: تعودون أحياء وترزقون، وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين: إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله أنه أوحى الله إليه ذلك، أو أنه لم يتعمد لكن لبس عليه كما يلبس على المعتوه والمجنون؛ ولهذا قالوا: ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾؟ قال الله - تعالى - راداً عليهم: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه، بل محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الصادق البار الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأشقياء، ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ أي: الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله، ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ من الحق في الدنيا.

1- سورة الأعراف، من الآية 43.

ثم قال منبهاً لهم على قدرته في خلق السموات والأرض، ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: حيثما توجهوا وذهبوا فالسمااء مُظلة لهم مُظلة عليهم، والأرض تحتهم.

وقوله: ﴿إِن نَّشَاءُ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِم كِسَفًا﴾ أي: قطعاً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: لو شئنا لفعلنا بهم ذلك لظلمهم وقدرتنا عليهم، ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا.

ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾.

قال قتادة رحمه الله: المنيب: المقبل على الله بالتوبة<sup>(1)</sup>.

أي: إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فطن رجاع إلى الله على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد؛ لأن من قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وطولها وعرضها إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾<sup>(2)</sup>.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبَىٰ مَعَهُ، وَالطَّيْرُ بِطِينِ الْأَحْيَادِ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

أخبر تعالى: عما أنعم به على نبيه داود -عليه السلام- مما آتاه من الفضل العظيم وجمع له بين النبوة والملك، والجنود الكثرة والعدة، ما منحه من الصوت الحسن، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات وتجاوبه بأنواع اللغات.

و التأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطيور أن ترجع بأصواتها<sup>(3)</sup>. أي: رجعي مُسبحة معه.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (438/6).

2- سورة غافر، من الآية 57.

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (439/6).

وقوله: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾، كان الحديد في يده كالشمع والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط؛ ولهذا قال: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ﴾ وهي: الدروع، وهو أول من عمل الحلقة، و كانت قبل ذلك صفائح.

قال ابن شوذب<sup>(1)</sup> رحمه الله: كان داود -عليه السلام- يرفع في كل يوم درعاً فيبيعهها بستة آلاف درهم ألفين له ولأهله، وأربعة آلاف درهم يطعم بها بني إسرائيل خبز الحواري.

﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾: هذا إرشاد من الله لداود -عليه السلام- في تعليمه صنعة الدروع.

قال مجاهد رحمه الله: أي: لا تدقّ المسمار فيقلق في الحلقة، ولا تغلظه فيفصمها، واجعله بقدر الحاجة، والسرد: حلق الحديد، يقال: درع مسرودة، إذا كانت مسمورة الحلق<sup>(2)</sup>.

قال الشاعر:

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغُ تَبَعُ<sup>(3)</sup>

وقال وهب رحمه الله: كان داود -عليه السلام- يخرج متتكرراً، فيسأل الركبان عنه وعن سيرته، فلا يسأل أحداً إلا أتى عليه خيراً في عبادته وسيرته ومعدلته، قال: حتى بعث الله ملكاً فلقبه داود -عليه السلام- فسأله كما كان يسأل غيره، فقال: هو خير الناس لنفسه وأتمه إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملاً قال: ما هي؟ قال: يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين، يعني: بيت المال، فعند ذلك نصب داود -عليه السلام- يديه إلى ربه بالدعاء أن يعلمه عملاً بيده يستغني به

1- هو: عبد الله ابن شوذب الخراساني أبو عبد الرحمن سكن البصرة ثم الشام صدوق عابد من السابعة مات سنة ست أو سبع وخمسين. ينظر: تقريب التهذيب (308/1).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (439/6).

3- البيت من الكامل وهو لخويلد بن خالد بن محرث في: سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تح: د. حسن هندواوي، دار القلم - دمشق، ط1، 1985 (385/2).

ويطعم منه عياله، فالأن له الحديد، وعلمه صنعة الدروع فعمل الدرع، وهو أول مَنْ عملها، وكان يعمل الدرع، فإذا ارتفع من عمله درع باعها فتصدق بثلاثها واشترى بثلاثها ما يكفيه وعياله، وأمسك الثلث فيتصدق به أيضاً يوماً بيوم إلى أن يعمل غيرها<sup>(1)</sup>.

وكان إذا قرأ الزبور يستمع الوحش إليه حتى يأخذ بأعناقها وما ينفر، وما صنعت الشياطين المزامير و البرابط و الصنوج إلا على أصناف صوته، وكان شديد الاجتهاد في العبادة.

وقوله: ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ أي: في الذي أعطاكم الله من النعم، ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ﴾ أي: مراقب لكم، بصير بأعمالكم، ولا يخفى علي من ذلك شيء.

﴿وَلِسَلِيمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرًا وَرَوَّاحها شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَل بَيْنَ

يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٣﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ

وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَل دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴿١٣﴾.

لما ذكر تعالى: ما أنعم به على داود -عليه السلام- عطف بذكر ما أعطى

ابنه سليمان بن داود- عليهما السلام- من تسخير الريح لتحمل بساطه، ﴿غَدُوها شَهْرًا

وَرَوَّاحها شَهْرًا﴾.

قال الحسن البصري رحمه الله: كان يغدو من دمشق<sup>(2)</sup> فينزل

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (440/6).

2- دمشق هي: أكبر مدن سورية وفلسطين وموقعها في أوسط سورية حيث الطول الشرقي (30 - 36)،

والعرض الشمالي (20 - 33)، وهي إلى الشرق بانحراف إلى الجنوب من مدينة بيروت، تبعد عنها

(145) كيلومتراً، وتبعد عن جنوبي حمص (4) مراحل، وتعلو عن سطح البحر (2400) قدم، ومحيطها

(9) أميال ونيف. وهي مدينة قديمة التاريخ، مضى على بنائها نحو (3145) سنة. ينظر: الرحلة الشامية

(1910)، الأمير محمد علي بن محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي، حررها وقدم لها:

علي أحمد كنعان، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-

لبنان - ط1، 2002 م. (63/1).

بإصطخر<sup>(1)</sup> يتغذى بها، ويذهب رائحاً من إصطخر فيبيت بكابل<sup>(2)</sup>، وبين دمشق و إصطخر شهر كامل للمسرع وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرع<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَاطِرِ﴾.

قال ابن عباس- رضي الله عنهما - وكثيرون: القطر: النحاس، وكانت باليمن، قال قتادة: فكل ما يصنع الناس مما أخرج الله لسليمان -عليه السلام- قال السدي: وإنما أسيلت له ثلاثة أيام<sup>(4)</sup>.

وقوله: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أي: وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن الله، أي: بقدرته، لهم وتسخيره ومشيبته ما يشاء من أنواع البناء وغيره.

﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ أي: ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة ﴿نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ وهو الحريق.

وعن أبي ثعلبة الخشني<sup>(5)</sup> - رحمه الله - مرفعاً قال: (الجن ثلاث أنواع: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون

1- إصطخر هي: مدينة بأرض فارس قديمة لا يدري من بناها، كان سليمان ﷺ يتغذى بأرض الشام ببعلبك ويتعشى بإصطخر. بها بيت نار عظيم للمجوس ويقولون إنه كان مسجد سليمان ﷺ قال المسعودي: إنه خارج المدينة، دخلته فرأيت بنياناً عجيباً وأساطين صخر عجيبة على أعلاها صور من الصخر عظيمة الأشكال. ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد. للقرظيني (147/1).

2- كابل هي: مدينة مشهورة بأرض الهند. بها ما يوجد من الجروم إلا النخل ويقع بنواحيها الثلج ولا يقع بها. وأهلها مسلمون وكفار. وزعمت الهند ان الشاهية لا تتعقد إلا بكابل، وإن كان غيرها فلا يصير واجب الطاعة حتى يصير إليها ويعقد له الملك هنا. يجلب منها النوق البخاتي وهي أحسن أنواع الإبل. ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد للقرظيني (234/1).

3- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبخوي (389/6).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (440/6).

5- هو: أبو ثعلبة الخشني اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً، فقيل: اسمه جرهم، وقيل: جرثوم بن ناشب، وقيل: ابن ناشم، وقيل: ابن ناشر، وقيل: عمرو بن جرثوم، وقيل: اسمه لاشر بن جرهم، وقيل: الأسود بن جرهم، وقيل: ابن جرثومة. وكان ممن بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان، ثم نزل الشام ومات بأيام معاوية. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. (43/6).

ويظعنون). رفعه غريب جداً. رواه ابن أبي حاتم رحمه الله (1).  
وقال بكر بن مضر (2) رحمه الله: الإنس ثلاثة أصناف يظلمهم الله بظل عرشه  
يوم القيامة وصنف كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، وصنف في صور الناس على قلوب  
الشياطين (3).

وقوله: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ﴾: أما المحاريب فهي البناء  
الحسن وهو أشرف شيء في المسكن، وقيل: هي المساجد والقصور، وأما التمثيل  
فهي الصور من نحاس وغيره.

وقوله: ﴿وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ الجواب: جمع جابية، وهي الحوض  
الذي يجبي فيه الماء.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كالجوبة من الأرض، والراسيات: أي  
الثابتات، في أماكنها لا تتحرك ولا تتحول من أماكنها لعظمتها. قال مجاهد - رحمه  
الله - وغيره (4).

وقوله: ﴿أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ مصدر من غير الفعل، أو أنه مفعول له، وفيه  
دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية. كما قال:

أَفَادَتُكُمْ النِّعْمَاءُ مِنِّْي ثَلَاثَةً  
يَدِي، وَلِسَانِي، وَالضَّمِيرُ الْمُحَجَّبَا (5)

1- المعجم الكبير للطبراني. (214/22).

2- هو: بكر بن مضر بن محمد بن حكيم بن سلمان المصري مولى شرحبيل بن حسنة القرشي أبو محمد، كناه  
لنا قتيبة وأثنى عليه خيرا، وقال ابن بكير يحيى: مات بكر يوم عرفة سنة أربع وسبعين ومائة، قال ابن  
بكير وكنيته أبو عبد الملك. ينظر: التاريخ الكبير. للبخاري (95/2).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (441/6).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (441/6).

5- البيت من الطويل وهو بلا نسبة في: المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين محمد بن  
أحمد أبي الفتح الأبيهي، تح: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1986  
(244).

قال بعضهم: الصلاة شكر، والصوم شكر، وكل خير تعمله لله شكر، وأفضل الشكر الحمد<sup>(1)</sup>.

وقد كان آل داود -عليه السلام- قائمين بشكر الله قولاً وعملاً. وقال ثابت البناني رحمه الله: كان داود -عليه السلام- قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي فغمرتهم هذه الآية: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾.

وفي الصحيحين: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفطر إذا لاقى)<sup>(2)</sup>.

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قلت أم سليمان بن داود لسليمان: يا بني لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة)<sup>(3)</sup>. رواه ابن ماجه.

ونقل أن داود -عليه السلام- قال: (يا رب، كيف أشكرك، والشكر نعمة منك؟ قال: " الآن شكرتني حين علمت أن النعمة مني")<sup>(4)</sup>.

وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ إخبار عن الواقع، أي: العامل بطاعتي شاكر لنعمتي.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾<sup>(١٤)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (442/6).

2- صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب من نام عند السحر. رقم الحديث (1131). (2/50). صحيح مسلم كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم. رقم الحديث (1159). (2/816).

3- سنن ابن ماجه، باب ما جاء في قيام الليل. رقم الحديث (1332). (1/422).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (442/6).

ذكر تعالى: كيفية موت سليمان -عليه السلام- وكيف عمى الله موته على الجن المسخرين له في الأعمال الشاقة، وإنه مكث متوكناً على عصاه - وهي منسأته - كما قال ابن عباس- رضي الله عنهما- وغير واحد: مدة طويلة نحواً من سنة فلما أكلتها دابة الأرض، وهي الأرضة<sup>(1)</sup>، فضعفت سقط إلى الأرض، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة تبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك<sup>(2)</sup>.

عن ابن عباس- رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (كان سليمان نبي الله -عليه السلام- إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها: ما اسمك؟ فنقول: كذا، فيقول: لأي شيء أنت؟ فإن كانت لغرس غرست، وإن كانت لدواء كتبت، فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب، قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان: اللهم، عم على الجن موتتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ففتحها عصاً، فتوكأ عليها حولاً ميتاً، والجن تعمل. فأكلتها الأرضة، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين)<sup>(3)</sup>.

قال ابن جرير رحمه الله: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال: فشكرت الجن الأرضة فكانت تأتيها بالماء<sup>(4)</sup>.

وهكذا رواه ابن أبي حاتم- رحمه الله- وفي رفعه غرابة ونكارة، والأقرب أن يكون موقوفاً، والله أعلم<sup>(5)</sup>.

1- الأرضة: هي دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع، قال أبو حنيفة: الأرضة ضربان: ضرب صغار مثل كبار الذرّ وهي آفة الخشب خاصة، وضربٌ مثل كبار النمل ذوات أجنحة وهي آفة كل شيء من خشب ونبات، غير أنها لا تعرض للرطب، وهي ذات قوائم. ينظر: لسان العرب، مادة: أرض. (111/7).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (443/6).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (443/6).

4- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (358 /10).

5- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (3165-3164/10).

والمנסاة بلسان الجن هي العصا.

وقال ابن زيد - رحمه الله - في هذه الآية: قال سليمان - صلى الله عليه وسلم - لملك الموت: إذا أمرت بي فأعلمني فأتاه فقال: يا سليمان، قد أمرت بك، قد بقيت لك سويعة، فدعا الشياطين فبنوا عليه قصرًا من قوارير، ليس له باب، فقام يصلي فاتكأ على عصاه، قال: فدخل عليه ملك الموت، فقبض روحه وهو متكئ على عصاه، ولم يصنع ذلك فرارًا من ملك الموت قال: والجن يعملون بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي، قال: فبعث الله، دابة الأرض وهي التي تأكل الحيدان يقال لها: القادح فدخلت فيها فأكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت ونقل عليها فخر ميتًا، فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا فذلك قوله: ﴿مَادَهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِمْ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُمْ﴾ (1).

وذكر أهل التاريخ: أن سليمان كان عمره ثلاثًا وخمسين سنة، ومدة ملكه أربعون سنة، وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضي من ملكه. (2) والله أعلم.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَزِي إِلَّا الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾﴾.

كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانت التبابعة منهم، وبلقيس - صاحبة سليمان - من جملتهم، وكانوا في نعمة وغبطة (3) في بلادهم، وعيشهم واتساع أرزاقهم وثمارهم. فبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (444/6).

2- ينظر: تاريخ ابن الوردي، لعمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص، زين العابدين بن الوردي المصري الكندي. دار الكتاب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1417هـ-1996م، (25-24/1).

3- مادة: (غ ب ط): الغبطة بالكسر أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد. تقول: غبطه بما نال من باب ضرب و غبطة أيضا فاغتبط هو. ومثله منعه فامتنع وحبسه فاحتبس. والمغتبط بكسر الباء المغبوط قال أبو سعيد: الاسم الغبطة وهي حسن الحال. ومنه قولهم: اللهم غبطا لا هبطا. أي نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالنا. ينظر: مختار الصحاح للرازي. (224/1).

بتوحيده وعبادته، وكانوا كذلك ما شاء الله ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل عليهم والتفرق في البلاد أيدي سبأ، شذر مذر<sup>(1)</sup>، كما يأتي تفصيله وبيانه.

قال ابن عباس رضي الله عنه: (إن رجلاً سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن سبأ: ما هو؟ رجل أم امرأة أم أرض؟ قال: "بل هو رجل، ولَدَ عَشْرَةَ فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة فأما اليمانيون: فَمَذْحِجٌ، وَكِنْدَةُ، وَالأَزْدُ والأشعريون، وأنمار وحمير، وأما الشامية فليخم وجزام، وعاملة، وغسان). رواه أحمد<sup>(2)</sup>.

وفي رواية له عن فروة بن مسيك - رضي الله عنه -<sup>(3)</sup> قال: قلت: (يا رسول الله، أرأيت سبأ؛ أوادٍ هو أو رجل، أم ما هو؟ قال: " لا، بل رجل من العرب، وُلِدَ له عشرة فَنَيَّامَنَ ستة وتشام أربعة، تيامن الأزدي، والأشعريون، وحمير وكندة، ومذحج، وأنمار الذين يقال لهم: بجيلة وخنعم، وتشام لخم، وجزام، وعاملة وغسان")<sup>(4)</sup>. وروى الترمذي مثله وحسنه<sup>(5)</sup>.

قال ابن إسحاق رحمه الله: اسم سبأ، عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب، وكان يقال له: الرائش؛ لأنه أول من غنم في الغزو فأعطى قومه، فسمي الرائش، والعرب تسمى المال: ريشاً ورياشاً<sup>(6)</sup>.

1- (شذر مذر) يقال تفرقوا شذر مذر ذهبوا مذاهب شتى مختلفين ولا يقال ذلك في الإقبال. ينظر: المعجم الوسيط. (477/1).

2- مسند أحمد رقم الحديث (2898). (75/5).

3- هو: فروة بن مسيك، ويقال فروة بن مسيكة - ومسيك أكثر - ابن الحارث بن سلمة بن الحارث بن كريب الغطيفي ثم المرادي. أصله من اليمن، قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سنة تسع فأسلم. قال أبو عمر: وانتقل فروة بن مسيك إلى الكوفة في زمن عمر، فسكنها. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. (1261/3).

4- مسند أحمد رقم الحديث (88). (529-528/39).

5- سنن الترمذي، باب ومن سورة سبأ. رقم الحديث. (3222). (361/5).

6- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (446/6).

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: "رجل من العرب" أي: العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل -عليه السلام- من سلالة سام بن نوح، وقيل: من سلالة الخليل -عليهما السلام- وقد جاء في البخاري: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرَّ بنفر من "أسلم" ينتضلون، فقال: "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً"، فأسلم قبيلة من الأنصار، والأنصار أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ، نزلوا بيثرب بعد تفرقهم في البلاد، حين بعث الله عليهم سيل العرم)<sup>(1)</sup>.

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: "ولد له عشرة من العرب" أي: كان من نسله هؤلاء العشرة الذين ترجع إليهم أصول القبائل من عرب اليمن، لا أنهم ولدوا من صلبه بل منهم من بينه وبينه الأبوان والثلاثة والأقل والأكثر.

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: "فتيامن منهم ستة، وتشعأم منهم أربعة" أي: بعد ما أرسل عليهم السيل، منهم من أقام ببلادهم، ومنهم من نزع عنها إلى غيرها، وكان من أمر السد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع إليه أيضا سيول أمطارهم وأوديتهم، فعمد ملوكهم الأقدام، فبنوا بينهما سدًا عظيمًا محكمًا حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذينك الجبلين، فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن كما ذكر غير واحد من السلف، منهم قتادة: أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكمل أو زنبيل<sup>(2)</sup>، فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملأه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قُطاف، لكثرتة ونضجه واستوائه، وكان هذا السد بمأرب: بلدة بينها وبين صنعاء<sup>(3)</sup> ثلاث مراحل.

1- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي. رقم الحديث (2899). (38/4).

2- زنبيل/ زنبيل مفرد: الجمع زنبيل: قفة كبيرة. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتاب، ط1، 1429هـ-2008م. (999/2).

3- صنعاء: موضعان أحدهما باليمن، وهي العظمى، وأخرى قرية بالغوطة من دمشق، ونذكر أولاً اليمانية ثم نذكر الدمشقية ونفرق بين من نسب إلى هذه وهذه، فأما اليمانية فقال أبو القاسم الزجاجي: كان اسم صنعاء في القديم أزال، قال ذلك الكلبي والشرقي وعبد المنعم، فلما افتتحتها الحبشة قالوا نعم نعم فسمي الجبل نعم =

وذكر آخرون: أنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث، ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم، ليوحده ولا يشركوا به، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾ ثم فسرها بقوله: ﴿جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أي: من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ أي: غفور لكم إن استمررتم على التوحيد<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿فَاعْرَضُوا﴾ أي: عن التوحيد وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم وعدلوا إلى عبادة الشمس، كما قال الهدد: ﴿وَجَدْتُنَّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(2)</sup>.

وقال وهب رحمه الله: بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبياً.

وقال السدي رحمه الله: أرسل الله إليهم اثني عشر ألف نبي، والله أعلم.

وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾.

قيل: المراد بالعرم المياه. وقيل: الوادي. وقيل: الجرد. وقيل: الماء الغزير

فيكون من باب إضافة الاسم إلى صفته.

وذكر ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد: أن الله - عز وجل - لما

أراد عقوبتهم بإرسال السيل عليهم بعث على السد دابة من الأرض، يقال لها:

"الجرد" و كانوا يرصدون عنده السنابير برهة من الزمان، فلما جاء القدر غلبت

الفأر السنابير وولجت إلى السد فنقبتة فانهار عليهم<sup>(3)</sup>.

أي انظر، فلما رأوا مدينتها وجدوها مبنية بالحجارة حصينة فقالوا هذه صنعة ومعناه حصينة فسميت

صنعاء بذلك. ينظر: معجم البلدان (426/3).

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (448/6).

2- سورة النمل، من الآية 24.

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (448/6).

وقال قتادة - رحمه الله - وغيره: الجُرْدُ، ثقب أسافل السد حتى إذا ضَعَفَ ووهيَ، وجاءت أيام السيول، صَدَمَ الماءُ البناءَ فسقط، فانساب الماء في أسفل الوادي، وخرَّبَ ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك، ونضب الماء عن الأشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال، فبيست وقحطت، وتبدلت تلك الأشجار المثمرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ حَمْطٍ﴾.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد: وهو الأراك، أكلة البرير.

﴿وَأَثَلٍ﴾ وهو شجر يشبه الطرفاء. وقيل: هو السمر<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾، فكان أجود هذه الأشجار المبدل بها هو السدر فهذا الذي صار أمر تلك الجنتين إليه، بعد الثمار النضيجة و المناظر الحسنة والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك و الطرفاء و السدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله، وتكذيبهم بالحق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ أَكْفُورٌ﴾ أي: ذلك عاقبتهم بكفرهم، ولا يعاقب إلا الكفور.

وعن علي - رضي الله عنه - قال: جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والتعسر في اللذة، قيل: وما التعسر في اللذة؟ قال: لا يصادف لذة حلالاً إلا جاءه من يُنغصه إياها<sup>(2)</sup>.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (١٨) فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآية لكل صبار شكور (١٩).

ذكر تعالى: ما كانوا فيه من النعمة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرحبية والأماكن الآمنة، والقرى المتقاربة، بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى زاد ولا ماء، بل حيث نزل يجد زاداً وماء، ويقبل

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/448).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/449).

في قرية وبييت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في مسيرهم ولهذا قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾.

قال وهب بن منبه رحمه الله: هي قرى بصنعاء، وقال مجاهد وغير واحد: قرى الشام يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي بيت المقدس (1)(2).

﴿ظَاهِرَةً﴾ أي: بينة واضحة، يعرفها المسافرون، يقولون في واحدة وبييتون في أخرى؛ ولهذا قال: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي: جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون ﴿سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ أي: الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلا ونهارا.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بكفرهم، وقرأ بعضهم (3): "بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا"، وذلك أنهم بطروا هذه النعمة - كما قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - وأتباعه وأحبوا مفاوزه ومهامه يحتاجون إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: جعلناهم حديثا للناس وسمرا يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم، وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد؛ ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا: "تفرقوا أيدي سبأ" (4).

﴿وَمَزَقْنَاهُمْ﴾ أي: فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق.

1- أي: البيت المقدس المطهر الذي يتطهر به من الذنوب. ينظر: معجم البلدان (166/5).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (449/6).

3- هذه قراءة ابن كثير وأبو عمرو وهشام. ينظر: العنوان في القراءات السبع، أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السرقسطي، تح: (الدكتور زهير زاهد - الدكتور خليل العطية)، عالم الكتب بيروت، 1405هـ. (156/1).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (450/6).

قال الشعبي رحمه الله: لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد أما غسان<sup>(1)</sup> فلحقوا بالشام، وأما الأزد<sup>(2)</sup> فلحقوا بعمان<sup>(3)</sup>، وخزاعة<sup>(4)</sup> إلى تهامة<sup>(5)</sup>، وآل جفانة<sup>(6)</sup> إلى العراق<sup>(7)</sup>، وعمرو بن عامر جد الأوس<sup>(8)</sup> والخزرج<sup>(9)</sup> إلى يثرب، فمزقهم الله كل ممزق<sup>(10)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: إن في هذا الذي حلَّ بهؤلاء من النعمة والعذاب، وتبديل النعمة وتحويل العافية، عقوبة على ما ارتكبوه

- 1- غَسَّانُ: شعب عظيم. اختلف في نسبه، فقالوا: غسان أبو قبيلة باليمن، وهو مازن بن الأزد بن الغوث. ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لكحالة. (884/3).
- 2- الأَزْدُ: من أعظم قبائل العرب وأشهرها، تنتسب إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من القحطانية. ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لكحالة (15/1).
- 3- عُمَانُ: اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند، وعمان في الإقليم الأول، طولها أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة، في شرقي هجر، تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع. ينظر: معجم البلدان (150/4).
- 4- خَزَاعَةُ: قبيلة من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو عمرو بن ربيعة، وهو لحي بن حارثة بن عمرو مزيقياء. ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لكحالة (338/1).
- 5- تهامة: مكة، والنازل متهم، والصحيح أن مكة من تهامة كما أن المدينة من نجد، وقيل أرض تهامة قطعة من اليمن وهي جبال مشتبكة أولها في البحر القلزمي ومشرفة عليه وحدودها في غربها بحر القلزم وفي شرقها جبال متصلة من الجنوب إلى الشمال وسميت تهامة لتغير هوائها من قولهم تهم الدهن وتمه إذا تغير ريحه. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري. (14/1).
- 6- لم أف أف عليه.
- 7- العراق هي: العراق المشهور فهي بلاد. والعراقان: الكوفة والبصرة، سميت بذلك من عراق القربة وهو الخرز المثني الذي في أسفلها أي أنها أسفل أرض العرب، وقال أبو القاسم الزجاجي: قال ابن الأعرابي سمي عراقا لأنه سفلى عن نجد ودنا من البحر، أخذ من عراق القربة وهو الخرز الذي في أسفلها. ينظر: معجم البلدان للحموي (93/4).
- 8- الأوس: بطن عظيم من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد وهم أهل عز ومنعة. ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لكحالة (50/1).
- 9- الخَزْرَجُ: بطن من بني النبيت، من الأوس، من الأزد، من القحطانية. ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لكحالة (342/1).
- 10- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (452/6).

من الكفر والآثام لعبرةً ودلالةً لكل عبد صَبَّارٍ على المصائب، شكورٍ على النعم. وفي الصحيحين: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له. وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن)<sup>(1)</sup>.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾.

لما ذكر الله: قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى، وخالف الرشاد والهدى، فقال:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد: هذا كقوله - تعالى - إخباراً عن إبليس حين امتنع عن السجود لآدم، ثم: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(2)(3)</sup>.

وقال الحسن البصري رحمه الله: لما أهبط الله آدم من الجنة ومعه حواء هبط إبليس فرحاً بما أصاب منهما، وقال: إذا أصبت من الأبوين ما أصبت، فالذرية أضعف وأضعف، وكان ذلك ظناً من إبليس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أي: ظنَّ فيهم ظناً فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم إياه وعلى قراءة التخفيف<sup>(4)</sup> معناه: صدق عليهم في ظنه بهم، أي: على أهل سبأ وقيل:

1- لم أفق عليه في صحيح البخاري، وفي صحيح مسلم، بلفظ «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَصَابَتُهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» كتاب الزهد والرفائق بآبِ الْمُؤْمِنِ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ. رقم الحديث (2999). (4/2295).

2- سورة الإسراء، الآية 62.

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (453/6).

4- هذه قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر {صدق} خفيفاً. ينظر: السبعة في القراءات لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، تح: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط2 1400هـ، (529/1).

على الناس كلهم إلا من عصمه الله ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: الذين يطيعون الله ولا يعصونه فقال عند ذلك إبليس: لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح أغوينه وأمنيّه وأخدعه فقال الله: وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما لم يُغرغر بالموت ولا يدعوني إلا أجبتّه، ولا يسألني إلا أعطيتّه، ولا يستغفرنني إلا غفرت له. رواه ابن أبي حاتم رحمه الله.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾ أي: من حجة.

قال الحسن رحمه الله: والله ما ضربهم بعصاً، ولا أكرههم على شيء، وما كان إلا غرورا وأماني دعاهم إليها فأجابوه<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ﴾ أي: إنما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء، فيحسن عبادة ربه في الدنيا، ممن هو منها في شك.

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ أي: مع حفظه ضلّ من ضلّ من اتباع إبليس وبحفظه و كلاته سلم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

بيّن الله أنه الواحد الأحد، الصمد، الذي لا نظير له ولا شريك له، هو المستقل بالأمر وحده، من غير مشارك ولا منازع، فقال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من الآلهة التي عبدت من دونه ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ كما قال: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِّن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾<sup>(2)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (453/6).

2- سورة فاطر، من الآية 13.

وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾ أي: لا يملكون شيئاً استقلالاً ولا على سبيل الشركة ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ أي: وليس لله في هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور بل الخلق كلهم فقراء إليه.

قال قتادة رحمه الله: أي: من عون يعينه بشيء<sup>(1)</sup>.

ثم قال: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ يعني: إلا بإذنه، أي: لعظمته وجلاله وكبريائه لا يقدر أحد أن يشفع عنده في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(2)</sup>.

وكما في حديث الشفاعة: (ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل تسمع وقل تُعطه واشفع تشفع) الحديث<sup>(3)</sup>.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾، وهذا أيضاً مقام رفيع في العظمة.

وهو أنه - تعالى - إذا تكلم بالوحي، سمع أهل السموات كلامه، أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي.

قاله ابن مسعود ومسروق<sup>(4)</sup> - رضي الله عنهم - وغيرهما: أي، إذا زال الفزع عنها، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - وكثيرون: أي جُلِّي عن قلوبهم<sup>(5)</sup>.

فإذا كان كذلك يسأل بعضهم بعضاً ماذا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (454/6).

2- سورة البقرة، من الآية 255.

3- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قول الله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]. رقم الحديث (4476). (17/6).

4- هو: مسروق ابن الأجدع ابن مالك الهمداني الوداعي أبو عائشة الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم من الثانية مات سنة اثنتين ويقال سنة ثلاث وستين. ينظر: تقريب التهذيب. (528/1).

5- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (454/6).

ولهذا قال: ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ أي، أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

وقال آخرون: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: المشركين عند الاحتضار إذا استيقظوا مما كانوا عنه غافلين في الدنيا وقال مجاهد: أي، حتى إذا كشف عنهم الغطاء يوم القيامة، وقال الحسن: يعني، ما فيها من الشك والتكذيب.

وقال ابن زيد رحمه الله: حتى إذا فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانهم وما كان يضلهم، وهذا في بني آدم، عند الموت، حتى لا ينفعهم الإقرار<sup>(1)</sup>. واختار ابن جرير - رحمه الله - القول الأول: أن الضمير عائد إلى الملائكة<sup>(2)</sup>.

هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، للأحاديث الصحيحة فيه.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - يقول: إن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الذي هو الحق، وهو العلي الكبير فيسمعها مُسْتَرَقَّ السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بيده فحرقها فبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقها إلى مَنْ تحته، ثم يلقها الآخر إلى مَنْ تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مئة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء). رواه البخاري و أبو داود، والترمذي<sup>(3)</sup>.

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالساً في نفر من أصحابه، فرمى بنجم فاستتار، قال: " ما كنتم تقولون إذا

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (455/6).

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (375/10).

3- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾. رقم الحديث (4800). (122/6). سنن أبي داود، لم أف عليه. سنن الترمذي، باب ومن سورة سبأ. رقم الحديث. (3223). (362/5).

كان مثلُ هذا في الجاهلية؟" قالوا: كنا نقول يُولدُ عظيم، ويموت عظيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا- تبارك وتعالى- إذا قضى أمراً سبَحَ حَمَلَةُ العرشِ ثم سبَحَ أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح هذه الدنيا، ثم يستخبر أهل السماء الذين يُلُون حَمَلَةَ العرشِ، فيقول: لحملة العرش ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ويخبر أهل السماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، ويخطف الجن السمع فيرمون، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون). رواه أحمد ومسلم والنسائي والترمذي (1).

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْشَأُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

يقرر تعالى: تفرُّده بالخلق والرزق، وانفراده بالإلهية أيضاً، فكما كانوا يعترفون بأنه يرزقهم من السموات والأرض، أي، بما ينزل من المطر وينبت من الزرع، فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره.

وقوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، من باب اللف والنشر أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحدٌ منا مصيب، ونحن أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله.

وقد قال ذلك الصحابة للمشركين: والله ما نحن وإياكم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد (2).

1- مسند أحمد رقم الحديث (1882). (372/3-373). صحيح مسلم، كتاب السلام، بابُ تحريم الكهانة وإتيان

الكهان. رقم الحديث (2229). (1750/4). سنن النسائي، باب سورة الحجر. رقم الحديث. (11272).

(374/6). سنن الترمذي، باب ومن سورة سبأ. رقم الحديث. (3224). (362/5).

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10 / 375).

وقال عِزْرَمَةَ رحمه الله: أي، إنا نحن على هدى، وإنكم لفي ضلال مبين<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ معناه التبري منهم أي: لستم منا ولا نحن منكم، بل ندعوكم إلى الله وإلى توحيده وإفراد العبادة له، فإن أجبتم فأنتم منا ونحن منكم، وإن كذبتهم فنحن برآء منكم وأنتم برآء منا كما قال: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ أي: يوم القيامة، يجمع بين الخلائق في صعيدٍ واحدٍ ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: يحكم بيننا بالعدل، فيجزئ كل عامل بعمله وستعلمون يومئذ لمن النصر والعهدة والسعادة الأبدية؛ ولهذا قال: ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ أي: الحاكم العالم بحقائق الأمور.

وقوله: ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ أي: أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أنداداً وصيرتموها له عدلاً.

﴿كَلَّا﴾ أي: ليس له نظير ولا نديد، ولا شريك ولا عديل؛ ولهذا قال: ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ﴾ أي: الواحد الأحد الذي لا شريك له.

﴿أَلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: ذو العزة التي قد قهر بها كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢٨)</sup> وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾.

أي: وما أرسلناك يا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا إلى جميع الخلق من المكلفين، كما قال: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِيَّيْكُمْ جَمِيعًا﴾<sup>(3)</sup>.

1- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/ 376).

2- سورة يونس، الآية 41.

3- سورة الأعراف، من الآية 158.

قال قتادة: أرسل الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - إلى العرب والعجم فأكرمهم على الله أطوعهم الله تعالى (1).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن الله فضل محمداً - صلى الله عليه وسلم - على أهل السماء وعلى الأنبياء، فإنه قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (2)، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾، فأرسله الله إلى الإنس والجن). رواه ابن أبي حاتم (3).

وقد ثبت في الصحيحين: عن جابر - رضي الله عنه - قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأیما رجل أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة" (4).

وفي الصحيح أيضاً: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "بعثت إلى الأحمر والأسود" (5).

ثم قال تعالى: مخبراً عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يعني: يوم القيامة.

ثم قال: ﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْرِفُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ أي: لكم ميعاد مؤجل معدود، لا يزداد ولا ينقص، فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم، كما قال

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (458/6).

2- سورة إبراهيم، من الآية 4.

3- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (2234/7).

4- صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة. رقم الحديث (521). (370/1). صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً". رقم الحديث (438). (95/1).

5- صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة. رقم الحديث (521). (370/1).

تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ (1).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

أخبر تعالى: عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم على عدم الإيمان بالقرآن وما أخبر به من أمر المعاد؛ ولهذا قال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعنون التوراة والإنجيل، فقال تعالى: متهدداً لهم ومخبراً عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجهم، ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ أي: يا محمد - صلى الله عليه وسلم - ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ أي: محبوسون ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا﴾، وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم قاداتهم وساداتهم.

﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لولا أنتم تصدونا، لكننا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاؤوا به، فقال لهم القادة والسادة، وهم الذين استكبروا: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ أي: نحن ما فعلنا بكم ذلك أكثر من أننا دعوناكم فاتبعتمونا بغير دليل ولا برهان وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الأنبياء، لشهوتكم واختياركم لذلك ولهذا قالوا: ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ أي: بترك الإيمان ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ﴾ أي: بل كنتم تمكرون بنا ليلاً

1- سورة نوح، من الآية 4.

ونهاراً، وتَغْرُونَا وَتَمَنُّونَا، وتخبرونا أنا على هدىً وعلى شيء، فإذا جميع ذلك باطلٌ وكذبٌ ومينٌ.

قال قتادة رحمه الله: أي: مكرهم بالليل (1).

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ أي: نظراء وآلهة معه، وتقيموا لنا شُبُهًا وأشياء من المحال تضلونا بها.

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أي: الجميع من السادة والأتباع، كلُّ ندم على ما سلف منه.

﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم.

﴿هَلْ يُجِزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إنما نجازيكم بأعمالكم، كلُّ بحسبه. عن أبي هريرة- رضي الله عنه - قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن جهنم لما سيق إليها أهلها تلقاهم لهابها ثم لفتحهم لفحة فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب"). رواه ابن أبي حاتم (2) رحمه الله.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ (٣٩).

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (459/6).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (460/6).

أمر تعالى: نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالتأسي بمن قبله بالرسول، وأخبره أنه ما بعث نبيا في قرية إلا كذبه مترفوها، واتبعه ضعفاؤهم، كما قال قوم نوح عليه السلام: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

فقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ أي: نبي أو رسول ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة.

قال قتادة رحمه الله: هم جبابرتهم وقادتهم ورؤوسهم في الشر<sup>(2)</sup>.

﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي: لا تؤمن به ولا تتبعه.

عن أبي رزين<sup>(3)</sup> - رحمه الله - قال: (كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الساحل وبقي الآخر فلما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - كتب إلى صاحبه يسأله: ما فعل؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش، إلا أتبعه رذالة الناس ومساكينهم قال: فتترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال: دلني عليه، قال: وكان يقرأ الكتب، أو بعض الكتب قال: فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إلام تدعو؟ قال: "إلى كذا وكذا"، قال: أشهد أنك رسول الله قال: "وما علمك بذلك؟" قال: إنه لم يبعث نبي إلا أتبعه رذالة الناس ومساكينهم، قال: فنزلت هذه الآيات ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾، قال: فأرسل إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - "إن الله قد أنزل تصديق ما قلت". رواه ابن أبي حاتم<sup>(4)</sup> رحمه الله.

وقال تعالى: مخبراً عن المشركين المكذابين، ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله لهم واعتناؤه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا، ثم يعذبهم في الآخرة

1- سورة الشعراء، الآية 111.

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (460/6).

3- هو: مسعود بن مالك الأسدي، مولاهم، مولى علي، اسمه عبيد. نزل الكوفة، وروى عن ابن أم مكتوم وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وأبي هريرة، وغيرهم. وعنه ابنه عبد الله، وإسماعيل بن أبي خالد، وآخرون. قيل قتله عبيد الله بن زياد بعد سنة ستين. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (126/7).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (461/6).

وهيئات لهم ذلك، قال الله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعُ جَاءَهُمْ فِي جَاءِ الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (1).

ثم قال - تعالى - ها هنا: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب، فيفقر من يشاء ويغني من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة القاطعة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: بأنها كذلك.

ثم قال: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ أي: ليست هذه دليلاً على محبتنا لكم، ولا اعتنائنا بكم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). رواه أحمد ومسلم (2).

ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: إنما يقربكم عندنا زلفى الإيمان والعمل الصالح، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: يضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفَتِ ءَامِنُونَ﴾ أي: في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف، ومن كل شر يُحذَر منه.

عن علي - رضي الله عنه - قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن في الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها"، فقال أعرابي: لمن هي؟ قال: " لمن طيب الكلام وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى الله بالليل والناس نيام"). رواه ابن أبي حاتم والترمذي (3).

1- سورة المؤمنون، الآيات 55-56.

2- مسند أحمد رقم الحديث (7827). (227/13). صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بابُ تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله. رقم الحديث (2564). (1987/4).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (462/6). سنن الترمذي، باب ما جاء في صفة غرف الجنة. رقم الحديث (2527) (673/4).

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ أي: يسعون في الصد عن سبيل الله و اتباع رسله والتصديق بآياته، ﴿مُعْجِزِينَ﴾ أي: معاندين يحسبون أنهم يعجزوننا عن تعذيبهم، ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أي: جميعهم مجزيون بأعمالهم فيها بحسبهم.

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ﴾ أي: بحسب ما له في ذلك من الحكمة، يبسط على هذا من المال كثيرا، ويضيق على هذا ويقتصر على هذا رزقه جدا، كما هم متفاوتون في الدنيا، في الفقر والغنى، فكذلك هم في الآخرة: هذا في الغرفات في أعلى الدرجات، وهذا في الغمرات في أسفل الدرجات. وأطيب الناس في الدنيا، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه). رواه مسلم<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: فيما أمركم به وأباحه لكم، ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الصحيحين: (يا ابن آدم أنفق أنفق عليك)<sup>(2)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: (فيما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: "اللهم أعط منفقاً خلفاً"، ويقول الآخر: "اللهم أعط ممسكاً تلفاً")<sup>(3)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنفق بلائاً ولا تخش من ذي العرش إقلالاً). رواه البيهقي في الشعب<sup>(4)</sup>.

1- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة. رقم الحديث (1054). (730/2).

2- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف. رقم الحديث (993). (690/2). صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل. رقم الحديث (5352). (62/7).

3- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: 6] «اللَّهُمَّ أَعْطِ مَنْفِقَ مَالٍ خَلْفًا». رقم الحديث (1442). (115/2).

4- شعب الإيمان للبيهقي. رقم الحديث (1283). (483/2).

قال مجاهد رحمه الله: لا يتأولن أحدكم هذه الآية، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقصد فيه، فإن الرزق مقسوم (1).

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

أخبر تعالى: إقراعه المشركين يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورة الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة: ﴿أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾؟ أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتهم؟ كما قال في سورة "الفرقان": ﴿ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (2)، فنقول للملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي: تقدست وتعاليت أن يكون معك إله ﴿أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ أي: الشياطين، هم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان وأضلّوهم ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي: لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان، التي ادخرتم عبادتها لكرهكم وشدائدكم، اليوم لا يملكون لكم ضراً ولا نفعاً، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم المشركون ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك، تقريعاً وتوبيخاً.

﴿إِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَيْنَمَا يَنْتَدِي قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ أَبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَاهُمْ

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (463/6).

2- سورة الفرقان، من الآية 17.

مَنْ كُتِبَ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ  
مَاءِ آيِنْتَهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾.

أخبر تعالى: عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة وأليم العذاب؛ لأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آياته بينات يسمعونها غصّةً طرية من لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ بَعْدَ آبَائِكُمْ﴾، يعنون أن دين آبائهم هو الحق، وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل عليهم وعلى آبائهم لعائن الله ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إفاكٌ مُفترى﴾ يعنون: القرآن، ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحرٌ مبينٌ وماء آينتهم﴾ أي: هؤلاء المشركين ﴿مَنْ كُتِبَ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ أي: ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبياً قبل محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - وقد كانوا يودّون ذلك يقولون: لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب، لكننا أهدى من غيرنا، فلما منّ الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه، ثم قال: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من الأمم ﴿ومَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَاءِ آيِنْتَهُمْ﴾.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد: أي من القوة في الدنيا<sup>(1)</sup>.  
كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً﴾<sup>(2)</sup>، أي: وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده، بل دمر الله عليهم كما كذبوا رسوله؛ ولهذا قال: ﴿فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: فكيف كان عقابي وانتصاري لرسلي؟.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَى وَفَرْدَى ثُمَّ نَنْفَكُوا مَا بِصَاحِحِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(٤٦)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (464/6).

2- سورة غافر، من الآية 82.

يعني: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿إِنَّمَا أَعْظَمَكُمْ﴾  
 أي: إنما أمركم بخصلة ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾، وهي: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفِرْدَىٰ ثُمَّ  
 تَنْفَكُرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ﴾ أي: تقوموا قياماً خالصاً لله، من غير هوى ولا  
 عصبية، فيسأل بعضكم بعضاً: هل بمحمد - صلى الله عليه وسلم - من جنون؟  
 فينصح بعضكم بعضاً، ﴿ثُمَّ تَنْفَكُرُوا﴾ أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد -  
 صلى الله عليه وسلم - ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في  
 ذلك؛ ولهذا قال: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفِرْدَىٰ ثُمَّ تَنْفَكُرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ﴾.  
 هذا معنى ما ذكره مجاهد - رحمه الله - وغير واحد، وهذا هو المراد من  
 الآية<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (صعد النبي - صلى الله عليه وسلم  
 - على الصفا ذات يوم، فقال: "يا صباحاه" فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟  
 فقال: "أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يُصَبِّحكم أو يُمَسِّيكم، أما كنتم تصدقوني؟" قالوا:  
 بلى، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد". فقال أبو لهب: تب لك! ألهذا  
 جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾<sup>(2)</sup>. رواه البخاري<sup>(3)</sup>.

وعن بريدة رضي الله عنه: (خرج إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
 يوماً فنادى ثلاث مرات، فقال: "أيها الناس أتدرون ما مثلي ومثلكم؟" قالوا: الله  
 ورسوله أعلم، قال: "إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً يأتهم، فبعثوا رجلاً  
 يترايا لهم، فبينما هم كذلك أبصر العدو، فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل  
 أن ينذر قومه فأهوى بثوبه أيها الناس، أوتيتم. ثلاث مرات". رواه أحمد وفي

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (464/6).

2- سورة المسد، الآية 1.

3- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46].

رقم الحديث (4801). (122/6).

السنن معناه<sup>(1)</sup>.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤٧) ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمَ الْغُيُوبِ﴾ (٤٨) ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ﴾ (٤٩) ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (٥٠).

أمر تعالى: رسوله- صلى الله عليه وسلم- أن يقول للمشركين: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: لا أريد منكم جعلاً ولا عطاءً على أداء رسالة الله إليكم، ونصحي إياكم، وأمركم بعبادة الله ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ إنما أطلب ثواب ذلك من عند الله ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: عالم بجميع الأمور، وبما أنا عليه من إخباري عنه بإرسالي إياي إليكم، وما أنتم عليه.

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمَ الْغُيُوبِ﴾ أي: يرسل الملك إلى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَهُوَ عَلَامُ الْغُيُوبِ، فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض.

وقوله: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: جاء الحق من الله من الهداية والشرع المتين، وزهق الباطل وذهب واضمحل، كقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ (2)؛ ولهذا (لما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد الحرام يوم الفتح، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة، جعل يطعن الصنم بسنينة قوسه، ويقراء: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (3) الآية). روياه في الصحيحين (4).

1- مسند أحمد. رقم الحديث (22948). (37/38). سنن الترمذي، باب ومن سورة تبت. رقم الحديث (3363) (451/5).

2- سورة الأنبياء، من الآية 18.

3- سورة الإسراء، من الآية 81.

4- صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، أو تخرق الزقاق، فإن كسر صنما، أو صليبا أو طنبوراً، أو ما لا ينتفع بخشبه. رقم الحديث (2478). (136/3). صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير باب: إزالة الأصنام من حول الكعبة. رقم الحديث (1781). (1408/3).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أي: لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة، وعن قتادة: أن المراد بالباطل هنا إبليس، إنه لا يخلق أحداً ولا يعيده، ولا يقدر على ذلك<sup>(1)</sup>.

وهذا وإن كان حقاً ولكن ليس هو المراد هاهنا والله أعلم. وقوله: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رِيتُ﴾ أي: الخير كله من عند الله، وفيما أنزله من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد، ومن ضل فإنما يضل من تلقاء نفسه.

وقوله: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ أي: سميع لأقوال عباده، قريب مجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

كما ورد في الصحيحين: من حديث أبي موسى - رضي الله عنه - (أيها الناس ارجعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً قريباً)<sup>(2)</sup>.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۗ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا ءَأَمَتْنَا بِهِ ۗ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَافُوسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۗ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ ۗ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۗ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ۗ ﴿٥٤﴾﴾

يعني: ولو ترى يا محمد - صلى الله عليه وسلم - إذ فرغ هؤلاء المكذبون يوم القيامة، ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ أي: فلا مفر لهم، ولا وزر ولا ملجأ ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: لم يكن أن يدبروا في الهرب بل أخذوا من أول وهلة.

قال الحسن: حين خرجوا من قبورهم، وقيل: من تحت أقدامهم، وقال ابن عباس رضي الله عنه: يعني: عذابهم في الدنيا، وقيل: قتلهم يوم بدر.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (466/6).

2- صحيح البخاري، كتاب القدر، باب لا حول ولا قوة إلا بالله. رقم الحديث (6610). (125/8). صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر. رقم الحديث (2704). (2076/4).

والصحيح: أن المراد بذلك يوم القيامة، وهو الطامة العظمى، وإن كان ما ذكر متصلاً بذلك.

وقوله: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ أي: يوم القيامة يقولون: آمنا بالله وبكتبه ورسله كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ الآية<sup>(1)</sup>؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَّى لَهُمُ اتِّتَاوُسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: وكيف لهم تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة، وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء، فلا سبيل لهم إلى قبول الإيمان، كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من مكان بعيد.

﴿وَاتِّتَاوُسُ﴾: التناول.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: طلبوا الرجعة إلى الدنيا والتوبة مما هم فيه وليس بحين رجعة ولا توبة.

وقوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: وكيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا بالرسول؟

﴿وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ قال: بالظن.

﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قال فتارة يقولون: شاعر، وتارة يقولون: كاهن، ساحر مجنون إلى غير ذلك، ويكذبون بالغيب والنشور والمعاد.

وقوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾.

قال الحسن البصري - رحمه الله - وغير واحد: يعني: الإيمان، وقيل: هي التوبة<sup>(2)</sup>. وهذا اختيار ابن جرير<sup>(3)</sup> رحمه الله.

وقيل: أي: من الدنيا، وزهوة الأهل فيها، وبه قال ابن عباس وابن عمر وكثيرون - رضي الله عنهم - والصحيح: أنه لا منافاة بين القولين؛ فإنه قد حيل

1- سورة السجدة، من الآية 12.

2- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (467/6).

3- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (389/10).

بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة، فمنعوا منه<sup>(1)</sup>.  
 وقوله: ﴿كَمَا فَعَلْ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسول لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾<sup>(2)</sup> الآية.  
 وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ﴾ أي: كانوا في الدنيا في شك وريبة، فلهذا لم يقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب.  
 قال قتادة رحمه الله: إياكم والشك والريبة، فإن من مات على شك بُعث عليه ومن مات على يقين بعث عليه<sup>(3)</sup>.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (468/6).

2- سورة غافر، الآيات 84-85.

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (470/6).

## تفسير سورة فاطر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

قال ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها، أنا بدأتها يعني مبدعها وخالقها(1).

وقوله: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِةِ رُسُلًا﴾ أي: بينه وبين أنبيائه، ﴿أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ﴾ أي: يطرون بها ليلبغوا ما أمروا به سريعاً ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ أي: منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، كما جاء في الحديث: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى جبريل ليلة الإسراء وله ستمئة جناح، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب)(2)؛ ولهذا قال: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال السدي رحمه الله: يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء، وقال الزهري: يعني: حسن الصوت(3).

كما روى عنه البخاري في الأدب(4).

وقرئ في الشاذ: "يَزِيدُ فِي الْحَلْقِ"، بالحاء المهملة(5).

1- شعب الإيمان للبيهقي. رقم الحديث (1682). (257/2).

2- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: 10]. رقم الحديث (4857). (141/6).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (471/6).

4- لم أقف عليه.

5- لم أقف عليه.

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾

أخبر تعالى: أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

وفي الصحيحين: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا انصرف من الصلاة قال: "لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد")<sup>(1)</sup>.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۗ﴾ الآية<sup>(2)</sup>. وكان أبو هريرة - رضي الله عنه - إذا مطروا يقول: (مُطِرْنَا بِنُوءِ الْفَتْحِ)<sup>(3)</sup>.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾

نبه تعالى: عباده وأرشدهم إلى الاستدلال على التوحيد في أفراد العبادة له كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرّد بالعبادة، ولا يشرك به غيره؛ ولهذا قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: يكذبون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان وأنتم بعد تعبدون الأوثان.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ۖ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾

1- صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة. رقم الحديث (844). (168/1). صحيح مسلم كتاب

المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبين صفته. رقم الحديث (593). (414/1).

2- سورة يونس، من الآية 107.

3- موطأ مالك، باب الاستمطار بالنجوم. رقم الحديث. (6) (192/1).

يعني: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد - صلى الله عليه وسلم - هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك فيما جئتهم به من التوحيد، فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة فإنهم كذلك جاؤوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم، ﴿وإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي: وسنجزئهم على ذلك أوفر الجزاء.

ثم قال: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: المعاد كائن لا محالة، ﴿فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: العيشة الدنيئة بالمشقة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تتلهوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية، ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ وهو الشيطان.

قاله ابن عباس رضي الله عنهما: أي، لا يفتننكم الشيطان عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فإنه غرّار كذاب أفاك<sup>(1)</sup>.

ثم بين تعالى: عداوة إبليس لابن آدم فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدو المبين.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ <sup>٧</sup> أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا نذهب نفسك عليهم حسرتاً إن الله عليم بما يصنعون <sup>٨</sup>.

لما ذكر الله تعالى: أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير، ذكر بعده أن الذين كفروا لهم عذاب شديد؛ لأنهم أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن، وأن الذين آمنوا بالله ورسله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أي: لما كان منهم من ذنب، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ على ما عملوه من خير.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (473/6).

ثم قال: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ يعني: كالكفار والفجار يعملون أعمالاً سيئة، وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، أي: أفمن كان هكذا قد أضله الله، ألك فيه حيلة؟ لا حيلة لك فيه، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: بقدره كان ذلك، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ أي: لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم في قدره، إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي، لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: (سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن الله خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول: جف القلم بعلم الله"). رواه أحمد والترمذي (1).

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (٩) من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو بئور (١٠) والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير (١١).

كثيراً ما يستدل - تعالى - على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها - كما في أول سورة الحج (2) - فينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك، فإن الأرض تكون ميتة يابسة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب يحمل الماء وأنزله عليها، ﴿أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (3)، كذلك الأجساد، إذا أراد الله بعثها ونشورها أنزل من تحت العرش مطراً فعم الأرض جميعاً وتنبت الأجساد في قبورها كما

1- مسند أحمد: رقم الحديث (6644). (219/11-220). سنن الترمذي، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.

رقم الحديث (2642) (26/5).

2- ينظر: اللوحة /311-ب/ من المخطوط.

3- سورة الحج، من الآية 5.

ينبت الحب في الأرض كما جاء في الصحيح: (كل ابن آدم يبلى إلا عَجْبَ الذَّنْبِ منه خلق وفيه يركب)<sup>(1)</sup> ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ الشُّورُ﴾.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَزِيزًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلْيَسْتَلْزِمِ طَاعَةَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ مَقْصُودُهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ مَالِكُ الدَّارَيْنِ وَلَهُ الْعِزَّةُ جَمِيعًا.

قال مجاهد رحمه الله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ بعبادة الأوثان، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، وَقَالَ قَتَادَةُ: فَلْيَتَعَزَّزْ بِطَاعَةِ اللَّهِ.

وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ يعني: الذِّكْرُ وَالتَّلَاوَةُ وَالدُّعَاءُ، قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ<sup>(2)</sup>.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إِذَا حَدَّثْتُمْ حَدِيثًا أَنْبَأْتُمْ تَصْدِيقَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ يَقُولُ إِذَا قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ تَبَارَكَ اللَّهُ أَخَذَهُنَّ مَلَكٌ فَجَعَلَهُنَّ تَحْتَ جَنَاحِهِ ثُمَّ يَصْعَدُ بِهِنَّ فَلَا يَمُرُّ بِهِنَّ عَلَى جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا اسْتَغْفَرُوا لِقَائِلِهِنَّ حَتَّى يَجِيءَ وَجْهَ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ<sup>(3)</sup>.

وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - <sup>(4)</sup> قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الذين يذكرون من جلال الله، من تسيبته وتحميده وتهليله وتكبيره

1- صحيح مسلم، كتاب الفتن و أشراط الساعة، باب ما بين النفختين. رقم الحديث (2955). (2271/4).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (475/6).

3- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/398-399).

4- هو: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، من بني كعب بن الحارث ابن الخزرج، وأمه عمرة بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة. ولد قبل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - بثمان سنين. وقيل بست سنين قُتِلَ النعمان بن بشير بحمص غيلة. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1500-1496/4).

يتعاطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل يذكرن لصاحبهن ألا يحب أحدكم  
ألا يزال له عند الله شيء يذكر به؟". رواه أحمد وابن ماجه<sup>(1)</sup>.

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

قال ابن عباس- رضي الله عنهما- وغير واحد: الكلم، ذكر الله، والعمل  
الصالح، أداء فرائضه، فمن ذكر الله في أداء فرائضه، حمل عمله ذكر الله، يصعد  
به إلى الله- عز وجل- ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان  
أولى به، وقال بعضهم: لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام، ولا يقبل قول إلا  
بعمل<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾.

قال مجاهد- رضي الله عنه- وغير واحد: هم المراؤون بأعمالهم، يعني:  
يمكرون بالناس يوهمون أنهم في طاعة الله، وهم بغضاء إلى الله يراؤون بأعمالهم  
﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(3)</sup>، وقيل: هم المشركون<sup>(4)</sup>.

والصحيح أنها عامة، وبالمشركين أولى؛ ولهذا قال: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ  
أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَرُ﴾ أي: يفسد ويبطل ويظهر زيفهم من قريب لأولي الألباب فإنه ما أسر  
أحد سريرة إلا كساه الله رداءها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي: ابتداء خلق أبيكم آدم من تراب  
ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: ذكراً وأنثى، لطفاً  
منه ورحمة أن جعل لكم أزواجاً من جنسكم، لتسكنوا إليها.

1- مسند أحمد: رقم الحديث (18362). (312/30). سنن ابن ماجه، باب فضل التسييح. رقم الحديث (3809)  
(1252/2).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (476/6).

3- سورة النساء، من الآية 142.

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (476/6).

وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي: هو عالم بذلك، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْمرُ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي: ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل يعلمه، ألا وهو عنده في الكتاب الأول، ﴿وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ وهذا الضمير عائد على الجنس، لا على العين؛ لأن العين الطويل للعمر في الكتاب وفي علم الله أنه لا ينقص من عمره، فعائد إلى الجنس، قال ابن جرير رحمه الله: وهذا كقوله: "عندي ثوب ونصفه" أي: ونصف آخر (1).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: ليس أحد قضيت له طول عمر وحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، وإنما ينتهي إلى الكتاب له لا يزداد عليه، وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ للعمر، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له، فذلك قوله: ﴿وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي: كل ذلك في كتاب عنده (2). وفي الصحيحين: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (مَنْ سرَّه أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (3).

وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: كتابة الآجال، والأعمار، وعلمه بذلك سهل عليه يسير لديه علمه بذلك، فإن علمه شامل للجميع لا يخفى منه عليه شيء. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَبَنَغُوءٍ مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

1- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10 / 401).

2- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/476-477).

3- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم. رقم الحديث (5985). (5/8).

صحيح مسلم، كتاب البر و الصلة و الأدب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها. رقم الحديث (2557). (1982/4).

نبه تعالى: على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة، وخلق البحرين العذب الزلال، وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس، من كبار وصغار، بحسب الحاجة إليها وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك، ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار، وإنما يكون مالحاً مُراً، والأجاج شديد الملوحة والمرارة.

ثم قال: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حَيْةً تَلْبَسُونَهَا﴾ أي: من المالح دون العذب ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني اللؤلؤ. وقيل: نسب اللؤلؤ إليهما، لأنه يكون في البحر الأجاج عيون عذبة تمتزج بالمالح فيكون اللؤلؤ من بين ذلك<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿وَتَرَى الْفُلَ فِيهِ مَوَازِرَ﴾ أي: جوارى مقبلة ومدبرة بريح واحدة، أي: تشقه بمقدمها المُسَنَّم الذي يشبه جَوْجُو الطير، وهو: صدره.

وقوله: ﴿لَتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: في أسفاركم بالتجارة، من قطر إلى قطر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لكي تشكروا ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم وهو البحر تتصرفون فيه كيف شئتم، وتذهبون أين أردتم، ولا يمتنع عليكم شيء منه.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣)  
 ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (١٤).

وهذا أيضاً من قدرته التامة، في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضياءه ويأخذ من طول هذا فيزيده على قصر هذا فيعتدلان، ثم يأخذ من هذا فيطول هذا ويقصر هذا، يتقارضان صيفاً وشتاءً، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي: والنجوم

1- ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (416/6-417).

السيارات، والثوابت الباقيات، الجميع يسرون بمقدار معين، في منهاج مبين، تقديرًا من عزيز عليم.

﴿لَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: الذي فعل هذا هو الرب العظيم، لا إله غيره

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من الأصنام والأنداد التي هي على صورة من

يزعمون من الملائكة المقربين، ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.

وقال ابن عباس- رضي الله عنهما - وغير واحد: القطمير هو اللفافة التي

تكون على نواة التمرة، أي: لا يملكون من السموات والأرض شيئاً، ولا بمقدار هذا القطمير (1).

ثم قال: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾ يعني: الآلهة التي تدعونها من دون الله

لا يسمعون دعاءكم؛ لأنها جماد لا أرواح فيها ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ أي: لا

يقدرّون على شيء مما تطلبون منها، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، أي:

يتبرؤون منكم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (2).

وقوله: ﴿وَلَا يَنْبِئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ أي: لا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما

يصير إليه مثلُ خبير بها.

قال قتادة رحمه الله: يعني نفسه - تبارك وتعالى - فإنه أخبر بالواقع لا

محالة (3).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ

بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٦) ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (١٧) ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يُحْمَلْ

1- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10/ 403).

2- سورة الأحقاف، الآية 6.

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/ 479).

مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۗ وَمَنْ تَرَكَ فَإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

أخبر تعالى: بغنائه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات وهو الغني عنهم بالذات؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أي: هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقول، ويقدره. وقوله: ﴿إِن يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم، وما هذا عليه صعب ولا ممتع؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا﴾ أي: وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها غيرها إلى أن يساعده على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه، ﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: ولو كان قريباً إليها، حتى ولو كان أباهاً أو ابنها، كل مشغول بنفسه وحاله.

قال عكرمة رحمه الله: هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة، فيقول: يا رب سل هذا لما كان يغلط بابه دوني، وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة، فيقول له: يا مؤمن، إن لي عندك يداً، قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا؟ وقد احتجت إليك اليوم، فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله، وهو في النار، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة، فيقول: يا بني، أي والد كنت لك؟ فينتهي خيراً فيقول له: يا بني إنني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول له ولده: يا أبت، ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف مثل ما تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً، ثم يتعلق بزوجه فيقول: يا فلانة، أو يا هذه أي: زوج كنت لك؟ فنتني خيراً فيقول لها: إنني أطلب إليك حسنة واحدة تهينها لي، لعلني أنجو بها مما ترين فتقول: ما أيسر ما طلبت، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً، إنني أتخوف مثل الذي تتخوف يقول الله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا﴾ الآية. رواه ابن أبي

حاتم<sup>(1)</sup>، ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: إنما يتعظ بما جئت به أولو البصائر والنهي، الخائفون من ربهم، الفاعلون ما أمرهم به. ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ أي: ومن عمل صالحاً فإنما يعود نفعه إلى نفسه.

﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: وإليه المرجع والمآب، وسيجزي كل عامل بعمله. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۝٢٢ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝٢٥ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٢٦﴾

يعني: كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة، كالأعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق وبون<sup>(2)</sup> كثير، وكما لا يستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور كذلك لا يستوي الأحياء ولا الأموات، فالمؤمنون هم الأحياء والكافرون هم الأموات كقوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ الآية<sup>(3)</sup>. فالؤمن بصير سميع في نور يمشي، على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات، والكافر أعمى أصم، في ظلمات يمشي، لا خروج له منها بل هو يتيه في غيّه وضلاله في الدارين، حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم.

1- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (3178/10).

2- مادة: [ب و ن] البان: شجر معروف الواحدة "بانة" ودهن البان منه و"البون" الفضل والمزية وهو مصدر "بانة يبونهُ بوناً" إذا فضله وبينهما "بون" أي بين درجتيهما أو بين اعتبارهما في الشرف وأما في التباعد الجسماني فتقول بينهما "بين" بالياء. ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت. (39/1).

3- سورة الأنعام، من الآية 122.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها.

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ أي: كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم، بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كُتِبَ عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم.

﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: إنما عليك البلاغ والإنذار، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين ﴿وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي: وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النذر وأزاح عنهم العلل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (1).

وقوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وهي: المعجزات الباهرات، والأدلة القاطعات، ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ وهي: الكتب. ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ أي: الواضح البين.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ومع هذا كله كذب أولئك رسلهم فيما جاؤوهم به فأخذتهم أي: بالعقاب والنكال، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: فكيف رأيت كيفية إنكاري عليهم، يعني: شديدًا بليغًا؟

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾.

نبه تعالى: على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذي ينزله من السماء، يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها من أصفر

1- سورة الرعد، من الآية 7.

وأحمر وأخضر وأبيض، إلى غير ذلك من ألوان الثمار، كما هو المشاهد من تنوع ألوانها و طعومها وروائحها.

وقوله: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ﴾ أي: وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان، كما هو المشاهد أيضاً من بيض وحمرة، وفي بعضها طرائق وخطوط وهو: الجُدَدُ، جمع جُدَّةٍ مختلفة الألوان أيضاً.

قال عكرمة رحمه الله: الغرابيب الجبال الطوال السود، وقال آخرون وقال ابن جرير رحمه الله: والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد، قالوا: أسود غريب و لهذا قال بعضهم: تقديره أسود غريب(1).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ﴾ أي: وكذلك الحيوانات من الأناسي والدواب وهو: كل ما دب على قوائم والأنعام من باب عطف الخاص على العام، كذلك هي مختلفة أيضاً، فالناس منهم بربرٌ وخبوش في غاية السواد، والروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك والهنود كذلك؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿وَأَخْيَلَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنُكُورُ﴾ (2) وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان، في الجنس الواحد، بل النوع الواحد منهم مختلف الألوان، بل الحيوان الواحد يكون، فيه من هذا اللون وذاك اللون، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ولهذا قال تعالى بعد هذا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة بالعظيم القدير أتمّ والعلم به أكمل كانت الخشية له أكمل وأكثر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير(3).

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (481/6).

2- سورة الروم، من الآية 22.

3- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (409 /10).

قال أيضاً: العالم بالرحمن من عباده مَنْ لم يشرك به شيئاً، وأحلّ حلاله وحرّم حرامه وحفظ أوامره وأيقن أنه ملاقيه ومحاسبٌ بعمله، وقال ابن جبير: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله:

وقال الحسن البصري رحمه الله: العالم مَنْ خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه وزهد فيما سخط الله فيه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم من الخشية.

قال مالك رحمه الله: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله في القلب.

قيل: معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وأما العلم الذي فرض الله أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة، وما جاء عن الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم من الأئمة، لا يدرك إلا بالرواية المراد بقوله: "نور" هو فهم العلم ومعرفة المعاني<sup>(1)</sup>.

قيل: العلماء ثلاثة: عالم بالله و بأمر الله، وعالم بالله، وعالم بأمر الله فالعالم بالله وبأمر الله: هو الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض، والعالم بالله: الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض، والعالم بأمر فقط: هو الذي يعلم الحدود والفرائض، ولا يخشى الله، تعالى<sup>(2)</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

أخبر تعالى: عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويعملون بما فيه، من إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلاً ونهاراً، سراً وعلانيةً

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (482/6).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (483/6).

﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ أي: يرجون ثواباً عند الله لا بد من حصوله، فإن كل تاجر من وراء تجارته. والبوار الفساد والهلاك.

وقوله: ﴿لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ أي: ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر ببالهم، ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ أي: لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل من أعمالهم.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه: (أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله تعالى إذا رضي عن العبد أتى عليه بسبعة أصناف من الخير لم يعملها، وإذا سخط عن العبد أتى عليه بسبعة أصناف من الشر لم يعملها). رواه أحمد، وهو غريب جداً<sup>(1)</sup>.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ

بَصِيرٌ﴾ (٣١)

يعني: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد - صلى الله عليه وسلم - من الكتاب يعني: القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المتقدمة، كما شهدت هي له بالصدق وأنه منزل من رب العالمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ﴾ أي: هو خبير بهم، ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يستحق ما يفضل به على من سواه؛ ولهذا فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر، وفضل النبيين بعضهم على بعض، وجعل منزلة محمد - صلى الله عليه وسلم - فوق جميعهم.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٢)

أي: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، وهم هذه الأمة الهادية، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال:

1- مسند أحمد: رقم الحديث (11338). (438/17).

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ وهو: المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات.

﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ وهو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد ترك بعض المستحبات أو يفعل بعض المكروهات.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يُغفر له و مقتصد هم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب<sup>(1)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي). رواه الترمذي وأبو داود<sup>(2)</sup>.

وقال ابن عباس - رضي الله عنه - أيضاً: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاععة محمد - صلى الله عليه وسلم - وقال بعضهم: الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة، ولا من المصطفين الوارثين الكتاب.

كما في رواية ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ قال: هو الكافر وقيل: هو المنافق<sup>(3)</sup>.

ثم روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره: أن هذه الأقسام الثلاثة كالأقسام الثلاثة المذكورة في أول سورة "الواقعة" وآخرها<sup>(4)</sup>.

1- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (411/10).

2- سنن الترمذي، باب منه. رقم الحديث (2436) (203/4). سنن أبي داود، باب في الشفاععة. رقم الحديث (4739) (236/4).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (484/6).

4- ينظر: اللوحة /490-أ/ و/493-أ/ من المخطوط.

والصحيح: أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقصير وهو اختيار ابن جرير وكما هو ظاهر الآية، وكما جاءت في الأحاديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - (عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾، قال: "هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة في الجنة"). حديث غريب رواه أحمد<sup>(1)</sup>.

و قوله: "بمنزلة واحدة" أي: في أنهم من هذه الأمة، وأنهم من أهل الجنة وإن كان بينهم فرق في منازل في الجنة.

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: (سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِ ابْتَدَأَ اللَّهُ ﴾، فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر، ثم هم الذين تلاقاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾<sup>(2)</sup>.

وعن عقبة بن صُهَيْبٍ - رضي الله عنه -<sup>(3)</sup> قال: (سألت عائشة - رضي الله عنها - عن هذه الآية فقالت لي: يا بني، هؤلاء في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شهد له رسول الله - صلى

1- مسند أحمد، رقم الحديث (11745). (18/270-271).

2- مسند أحمد: رقم الحديث (21727). (36/57-58).

3- هو: عقبة بن صُهَيْبٍ الحداني وقيل الراسبي وقيل الهنائي وهناة وحدان وراسب من الأزدي البصري روى عن عثمان وعياض بن حمار وعبد الله بن مغفل وأبي بكره الثقفي وعائشة، وعنه قتادة والصلت بن دينار وأبو الحسن العبدوي وغيرهم، وكان ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. ينظر: تهذيب التهذيب (7/242).

الله عليه وسلم - بالحياة والرزق، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم<sup>(1)</sup>، وهذا منها - رضي الله عنها - من باب التواضع، وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات.

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه<sup>(2)</sup>: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾، هي لأهل بدونا و مقتصدنا أهل حضرنا، وسابقنا أهل الجهاد. رواه ابن أبي حاتم<sup>(3)</sup>.

وروي أن ابن عباس - رضي الله عنهما - سأل كعباً - رضي الله عنه - عن هذه الآية فقال: تماسّت مناكبهم وربّ كعب، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

و قال محمد بن الحنفية رحمه الله: إنها أمة مرحومة، الظالم لنفسه مغفور له، والمقتصد في الجنان عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله، وقال محمد بن علي الباقر رحمه الله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾، هو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً<sup>(4)</sup>.

هذا وإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة من هذه الآية، والعلماء أغبط الناس بهذه النعمة، وأولاهم بهذه الرحمة.

وعن كثير بن قيس - رضي الله عنه -<sup>(5)</sup> قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء - رضي الله عنه - في مسجد دمشق فجاء رجل فقال: يا أبي الدرداء أني جئتك من

1- مسند أبي داود الطيالسي. رقم الحديث (1592) (92/3).

2- هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي يجتمع هو ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عبد مناف وتزوج رقية أم كلثوم بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما توفيت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أن لنا ثلاثة لزوجناك" وبويع عثمان بالخلافة يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين، بعد دفن عمر بن الخطاب، بثلاثة أيام. وقتل عثمان - رضي الله عنه - بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشرة، أو سبع عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة، قاله نافع. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (578/3).

3- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (3182/10).

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (487/6).

5- هو: كثير بن قيس روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "من سلك طريق العلم سهل الله له طريقاً إلى الجنة". قال ابن قانع، وهو واهم، وإنما هو عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء، والله أعلم. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (436/4).

مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم: لحديث بلغني أنك تحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال ما جئت لحاجة؟ قال: فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظٍ وافرٍ". رواه أحمد، وأبو داود والترمذي، وفي روايته ورواية أحمد، قيس بن كثير<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ يعني: إيراثهم الكتاب.

ثم أخبر بثوابهم فقال: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾<sup>(٢٣)</sup> وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ<sup>(٢٤)</sup> الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ<sup>(٢٥)</sup>.

أخبر تعالى: أن مأوى هؤلاء المصطفين من عباده، الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة ﴿جَنَّتْ﴾ إقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على ربهم ﴿يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾، كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء)<sup>(2)</sup>.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾، فأباحه الله لهم في الآخرة، عوضاً عما حرمه عليهم في الدنيا وثبت في الصحيح (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "من لبس

1- مسند أحمد: رقم الحديث (21714). (36/45-46). سنن أبي داود، باب الحث على طلب العلم. رقم

الحديث (3641) (3/317). سنن الترمذي، باب فضل طلب العلم. رقم الحديث (2646) (5/28).

2- صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء. رقم الحديث (250). (1/219).

الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة" (1).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس على أهل لا إله إلا الله" وحشة في قبورهم ولا في محشرهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾). رواه ابن أبي حاتم، ورواه الطبراني مبسوطاً (2).

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

قال ابن عباس - رضي الله عنه - وغيره: غفر لهم الكثير من السيئات وشكر لهم اليسير من الحسنات (3).

﴿الَّذِي أَلَّانَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يقولون: الذي أعطانا هذه المنزلة وهذا المقام من فضله ومنه ورحمته، لم تكن أعمالنا تساوي ذلك.

كما ثبت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لن يدخل أحدكم الجنة عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتخمدني الله برحمته منه وفضل) (4).

﴿لَا يَمَسُّنَّ فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَّ فِيهَا غُوبٌ﴾ أي: لا يمسن فيها عناء ولا عي ولا مشقة، والنصب و اللغوب كل منهما يستعمل في التعب، ولعل المراد بنفيهما عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم؛ لأنهم كانوا يُدْتَبُونَ أنفسهم في العبادة في الدنيا فلأجرهم صاروا في راحة دائمة مستمرة، في العقبى.

1- صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، بابُ تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل، وإباحته للنساء، وإباحة للرجل ما لم يزد على أربع أصابع. رقم الحديث (2074). (1646/3).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (489/6). المعجم الأوسط للطبراني. رقم الحديث (9478). (181/9).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (489/6).

4- صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بابُ لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى. رقم الحديث (2816). (2169/4). صحيح البخاري، كتاب المرضى والطب، بابُ تمنى المريض الموت. رقم الحديث (5673). (121/7).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۖ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾.

لما ذكر تعالى: حال السعداء، شرع في بيان مآل الأشقياء، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (1) وثبت في صحيح مسلم: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون" (2).

وقال الله تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِيَقْضِ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتٌ﴾ (3). فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك، ولا يخفف عنهم من عذاب النار، ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ أي: هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب بالحق.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾ أي: ينادون فيها، يجأرون إلى الله بأصواتهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي: يسألون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا غير عملهم الأول، وقد علم الرب - تعالى - أنه كما قال: لو ردوهم إلى الدار الدنيا ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (4)؛ فلهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم، وقد قال هاهنا: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ أي: أوما عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟ واختلفوا في مدة هذا العمر.

1- سورة طه، من الآية 74.

2- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار. رقم الحديث (306). (172/1).

3- سورة الزخرف، الآية 77.

4- سورة الأنعام، من الآية 28.

قال زين العابدين: مقدار سبع عشرة سنة، وقال قتادة: ثمان عشرة سنة وقيل: عشرين سنة<sup>(1)</sup>.

وقيل: أربعين سنة، وهذا عن ابن عباس- رضي الله عنهما - وهو اختيار ابن جرير<sup>(2)</sup>.

وكان مسروق- رحمه الله- يقول: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة، فليأخذ حذره من الله وعن مجاهد عن ابن عباس- رضي الله عنهم - أنه قال: العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم في هذه الآية ستون سنة<sup>(3)</sup>.

وهذه الرواية أصح عن ابن عباس- رضي الله عنهما- كما ثبت في ذلك من الحديث، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغه ستين سنة). رواه البخاري<sup>(4)</sup>.

وفي مسند أحمد عنه: (عن النبي- صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " لقد أعذر الله إلى عبدٍ أحياء حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه"<sup>(5)</sup>).

وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مئة وعشرون سنة فإن الإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين، ثم يشرع بعد هذا في النقص والهرم<sup>(6)</sup>.

كما قال الشاعر:

إِذَا بَلَغَ الْفَتَى سِتِينَ عَامًا      فَقَدْ ذَهَبَ الْمَسْرَّةُ وَالْفَتَاءُ<sup>(7)</sup>

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (490/6).

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10 / 418).

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (490/6).

4- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر. رقم الحديث (6419). (89/8).

5- مسند أحمد، رقم الحديث (7713) (13/139).

6- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (492/6).

7- البيت من الوافر للربيع بن ضبيع بن وهب ويروى بهذا اللفظ (إذا عاش الفتى مائتين عاماً... فقد ذهب اللذاذة والفتاء). ينظر: خزنة الأدب وغاية الأرب لتقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الإزرازي دار الهلال بيروت، ط1، 1987م. (354/7).

و كان هذا هو العمر الذي يعذر الله إلى عباده به، ويزيح به عنهم العلل كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك). رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا<sup>(1)</sup>.

وقد ثبت في الصحيح على المشهور (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاش ثلاث وستين سنة)<sup>(2)</sup>.

وقوله: ﴿وَجَاءَكُمْ التَّنْذِيرُ﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنه - وغير واحد: يعني، الشيب وقال ابن زيد - رحمه الله - وغيره: يعني به النبي - صلى الله عليه وسلم - وقرأ: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ التَّنْذِيرِ الْأُولَى﴾<sup>(3)</sup>، وهذا هو الصحيح عن قتادة، أنه قال: احتج عليهم بالعمر والرسول<sup>(4)</sup>. وهذا اختيار ابن جرير<sup>(5)</sup>. وهو الأظهر، وله شواهد من الآيات البيّنات.

وقوله: ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ أي: فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعماركم، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(٣٨)</sup> هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْنًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا<sup>(٣٩)</sup>.

1- سنن الترمذي، باب..... رقم الحديث (3550) (550/5). سنن ابن ماجه، باب الأمل والأجل. رقم الحديث (4236) (1415/2).

2- صحيح مسلم، بلفظ « توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة» كتاب الفضائل، باب كم سن النبي صلى الله عليه وسلم يوم قبض؟. رقم الحديث (2349). (1825/4).

3- سورة النجم، الآية 56.

4- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (493/6).

5- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (10 / 418-419).

أخبر تعالى: بعلمه غيب السموات والأرض، وأنه يعلم ما تكنه السرائر وتتطوي عليه الضمائر، وسيجازي كل عامل بعمله.

ثم قال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يخلف قوم لآخرين قبلهم، وجيل بجيل قبلهم، كما قال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ (1).

﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: إنما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره.

﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: كلما استمروا على كفرهم خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، بخلاف المؤمنين فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

يعني قل يا محمد - صلى الله عليه وسلم - للمشركين: ﴿أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من الأصنام والأنداد، ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: ليس لهم شيء من ذلك، ما يملكون من قطمير.

﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: أم أنزلنا عليهم كتابا بما يقولون من الشرك والكفر؟ ليس الأمر كذلك، ﴿بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيتهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور.

ثم أخبر تعالى: عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره وما جعل فيهما من القوة الماسكة لها، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (1).

وقوله: ﴿وَلَيْنَ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: لا يقدر على إدامتهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حلِيمٌ غفور، أي: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه وهو يحلم عنهم فيؤخر ويؤجل عقوبتهم ولا يعجل، ويستتر آخرين ويغفر ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولَىٰ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۚ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾.

أخبر تعالى: عن قريش والعرب أنهم ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ قبل إرسال الرسول إليهم: ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ أي: من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولَىٰ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (2).

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو: محمد - صلى الله عليه وسلم - بما أنزل معه من القرآن المبين

﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: ما ازدادوا إلا كفرًا إلى كفرهم، ثم بين ذلك بقوله: ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: استكبروا عن اتباع آيات الله ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ أي: ومكروا بالناس في صددهم إياهم عن سبيل الله، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم لأنفسهم دون غيرهم.

1- سورة الحج من الآية 65.

2- سورة الصافات الآيات 167-170.

وروى ابن أبي حاتم رحمه الله: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إياك ومكر السيئ، فإنه لا يحق المكر السيئ إلا بأهله، ولهم من الله طالب")<sup>(1)</sup>.

وقوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي: لا تغير ولا تبدل، بل هي جارية كذلك في كل مكذب، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾<sup>(2)</sup>، ولا يكشف ذلك عنهم، ويحوله عنهم أحد.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾<sup>(٤٤)</sup> ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَبَتْ اللَّهُ أَنْ يَعْجِزَهُ بِصِيرًا﴾<sup>(٤٥)</sup>.

يعني: قل يا محمد - صلى الله عليه وسلم - لهؤلاء المكذبين: سيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل؟ كيف أهلكهم الله، فخلت منهم منازلهم، وسلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة، وكثرة العدد والعُدَد، ووفود الأموال والأولاد والأتباع، فما أغنى ذلك، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك لأنه تعالى لا يعجزه شيء، إذا أراد كونه في السموات والأرض ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ أي: عليم بجميع الكائنات قدير على فناء مجموعها.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي: لو أخذهم بجميع ذنوبهم، لأهلك جميع أهل الأرض وما يملكونه من دواب وأرزاق.

1- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (496/6).

2- سورة الرعد من الآية 11.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: كَادَ الْجَعْلُ<sup>(1)</sup> أَنْ يَعْذِبَ فِي جُحْرِهِ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيُّ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ أَي: لَمَّا سَقَاهُمُ الْمَطْرَ، فَمَاتَ جَمِيعُ الدَّوَابِّ<sup>(2)</sup>.

﴿وَلَا كُنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أَي: وَلَكِنْ يُنْظِرُهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيَحَاسِبُهُمْ يَوْمَئِذٍ، وَيُوفِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، فَيَجَازِي بِالثَّوَابِ أَهْلَ طَاعَتِهِ، وَبِالعِقَابِ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَاتَّخَذَ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾.



1- مادة: [ الجعل ] الجعالة [ج] جعول، [ الجعل ] حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع الندية ومن الناس الأسود الدميم واللجوج [ج] جعلان، [ الجعلة ] الفسيلة والنخلة القصيرة لا تصل إليها اليد [ج] جعل، [ الجعيلة ] الجعل [ج] جعائل. ينظر: المعجم الوسيط (126/1).

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (497/6).

## الخاتمة

الحمد لله الذي يسر لي القيام بما كلفت به من دراسة وتحقيق في كتاب "البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير"، فقد كانت دراسة شيقة وممتعة، دعيتي إلى تدبر آيات القرآن الكريم والمطالعة في كتب التفسير والسنة وغير ذلك من كتبه كل ذلك فيه خير كثير والحمد لله.

وبعد هذه الجولة نصل إلى بيان أهم النتائج التي استنتجها من هذه الدراسة التحقيقية لهذا المخطوط وهي:

1. أن المؤلف اعتمد في تفسيره على النقل من كتب التفسير مثل: كتاب تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، وتوير المقباس لابن أبي عباس، وجامع البيان للطبري، ومعالم التنزيل للبغوي.
2. من خلال التتبع لمنهجية المؤلف نجد أن الكتاب من كتب التفسير بالمأثور حيث أنه التزم في نقله واستشهاده بالآيات والأحاديث وأقوال الصحابة وأقوال التابعين وأقوال الأئمة.
3. جاء هذا الكتاب مختصراً لما كان مطولاً في تفسير ابن كثير، حيث اعتمد على الصحيح من الأقوال ولم يستشهد بالأحاديث الضعيفة والغريبة.
4. ينقل أقرب المعاني للآيات.
5. يقوم بنقل أحاديث دون سند ووضع الحكم عليه إن كان غريباً أو ضعيفاً أو مرفوعاً.
6. يذكر الخلافات الفقهية في المسألة الواحدة إذا كانت المسألة مسألة خلاف بين الأئمة كما فعل في مسألة الطلاق في سورة الأحزاب.
7. يتعرض إلى النواحي النحوية أحياناً.
8. غالباً ما يستعمل كلمة "غيره" و"بعضهم" و"كثيرون" و"غير واحد" و"آخرون" عند ورود الأقوال كأن يقول: قال ابن عباس وغيره. وهنا قد لا يعرف القارئ المراد من هذا اللفظ وقد يشوش عليه لأن هذه الألفاظ تحتل عدة معاني.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أقول أن الإنسان ليس معصوم من الخطأ - إلا من عصمه الله - والكمال لله وحده فإن وفقت في هذا العمل فمن الله، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين





## فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
<b>سورة الفاتحة</b>		
5	198	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
<b>سورة البقرة</b>		
210	27	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾
258	62	﴿فَارِثَ اللَّهِ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾
6	80	﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
97	90	﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
121	172	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾
272	174	﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾
166	179	﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾
143	192	﴿إِلَّا لِيَعْلَمَ﴾
233	260	﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾
214	304	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾
89	311	﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾
238	321	﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾
152	335	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾
125	350	﴿وَأَخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾
157	355	﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾
255	391	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
<b>سورة آل عمران</b>		
58	145	﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾
44	168	﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾
198	178	﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ﴾
142	192	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾
<b>سورة النساء</b>		
136	12	﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾
110	51	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
165	169	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾
65	324-292-169	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾
120	270	﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾
103	334	﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيمًا وَوَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾
142	413	﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
<b>سورة المائدة</b>		
74-73	15	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ.....﴾
116	21	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
67	164	﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾
44	171	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾
82	172	﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ اقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
109	189	﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾
<b>سورة الأنعام</b>		
124	329-24-23	﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾
25	80	﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾
110	103	﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَئِكَ مَرَّةً وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾
115	104	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾
91-92	171	﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ..﴾
38	214	﴿وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾
54	248	﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾
82	260	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾
59	271	﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾
28	278-428	﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾
122	418	﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾
<b>سورة الأعراف</b>		
123	2	﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ﴾
158	394-329-13	﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
54	44	﴿يُعْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾
116	64	﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾
-118 122	65	﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ سَاجِدِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾
69	78	﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾
88	89	﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَعِيبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنًا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مَلَّتِنَا﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
157	214-92	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾
119	106	﴿ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴾
75	124	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْتَعَلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾
187	133	﴿ نَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً ﴾
137	149	﴿ وَأَوْرَثْنَا ﴾
38	201	﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾
41	217	﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾
172	239	﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾
57	248	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ..... ﴾
43	274	﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾
92	286	﴿ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾
<b>سورة الأنفال</b>		
50	25	﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾
2	53	﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾
32	217	﴿ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾
19	287	﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾
<b>سورة التوبة</b>		
104	51	﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾
125-124	53	﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا..... ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
114	73	﴿ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ اللَّهُ... ﴾
113	175	﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴾
<b>سورة يونس</b>		
10	336	﴿ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾
53	373	﴿ وَيَسْتَدِينُونَ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبٌ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقِّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾
41	394	﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾
107	409	﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾
<b>سورة هود</b>		
123	42	﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾
118	57	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾
53	80	﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ ﴾
94	89	﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾
87	89	﴿ أَصَلَوْتُمْ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾
89	157	﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾
6	219	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾
10	243	﴿ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾
11	243	﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾
<b>سورة الرعد</b>		
10	136-114	﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ﴾
40	145	﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
7	419	﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾
11	432	﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾
<b>سورة إبراهيم</b>		
18	26	﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾
41	73	﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾
28	222	﴿بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾
4	395	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾
<b>سورة النحل</b>		
16	132	﴿وَعَلَّمْتِ بِهَا التَّجْمِيمَ هُمْ يَسْتُدُونَ﴾
96	178	﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾
125	212	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾
48	342	﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾
<b>سورة الإسراء</b>		
1	12	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾
92	24	﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا﴾
17	34	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾
29	47	﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾
15	93	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾
101	106	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾
67	221-130	﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ﴾
52	236-143	﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ لِتَحْمَدُوهُ﴾
107	172	﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾
59	215	﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾
23	260	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَاهَهُ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنَّا﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
24	260	﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾
2	285	﴿وَأَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾
62	389	﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾
81	404	﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾
<b>سورة الكهف</b>		
1	12	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾
<b>سورة مريم</b>		
97	95	﴿لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾
34	136	﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾
49	203	﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾
<b>سورة طه</b>		
25-36	59	﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي.....﴾
49	61	﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾
65-66	64	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلِ الْقَوَا﴾
66-69	64	﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى﴾
71	65	﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾
77	69	﴿فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾
82	106	﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾
7	136	﴿يَعْلَمُ الْبُيُوتَ وَالْأَخْفَى﴾
39	149	﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾
17	162	﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾
20	162	﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَى﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
27	164	﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾
36	164	﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾
15	210	﴿لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾
74	428	﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾
<b>سورة الأنبياء</b>		
103	144-28	﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقَهُمُ الْمَلَائِكَةَ هَذَا يَوْمِكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾
41	35	﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾
18	404-63	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾
<b>سورة الحج</b>		
5	-236-233-37 411	﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ﴾
65	431-236	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾
<b>سورة المؤمنون</b>		
6	322	﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾
55-56	398	﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ جَاءَ وَبَيْنَ سُدُورِهِمْ جَاءَ لَهُمْ فِي جَاءِ الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾
<b>سورة النور</b>		
39	26	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾
31	354	﴿وَلَا يُمْدِدُ زِينَتُهُنَّ إِلَّا لِيُعُولَتِهِنَّ﴾
<b>سورة الفرقان</b>		
66	26	﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾
76	26	﴿حَتَّالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾
49	72	﴿وَشَقِيحُهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًّا كَثِيرًا﴾
72	173	﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
214	5	﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۚ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ ﴾
366	27	﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ۚ ﴾
401	17	﴿ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِيَ هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۚ ﴾
<b>سورة الشعراء</b>		
90	5	﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثًا ۚ ﴾
100	192	﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ ﴾
162	44	﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ۚ ﴾
166	23	﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۚ ﴾
287	118	﴿ فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ۚ ﴾
397	111	﴿ أَنْزَمْنُ لَكَ وَآتَبَعَكَ الْأَرْدُلُونَ ۚ ﴾
<b>سورة النمل</b>		
385	24	﴿ وَجَدْتُنَّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ ﴾
430	62	﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ ﴾
<b>سورة القصص</b>		
36	71	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ ﴾
60	38	﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ۚ ﴾
221	8	﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۚ ﴾
372	70	﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ ﴾
<b>سورة العنكبوت</b>		
73	27	﴿ وَءَايَاتِنَا أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۚ ﴾
93	29	﴿ أَتَيْنَا بِعَذَابٍ اللَّهُ ۚ ﴾
93	53	﴿ وَسَتَجْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ ۚ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
63	129	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾
24	192	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾
13	369	﴿وَلِيَحْمِلَتِ أُنْفُسَهُمْ﴾
<b>سورة الروم</b>		
44	259	﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُ يَمْهَدُونَ﴾
17	335	﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾
22	420	﴿وَأُخْتَلِفُ السِّنِّيَّاتِ وَالْوَزْنُ﴾
<b>سورة لقمان</b>		
18	44	﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾
<b>سورة السجدة</b>		
12	405	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾
<b>سورة الأحزاب</b>		
66-68	29	﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ لَعَلَّ...﴾
36	180	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾
40	289	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾
37	291	﴿لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزِجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾
53	327	﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾
43	355	﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾
<b>سورة سبأ</b>		
40	21	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾
<b>سورة فاطر</b>		
8	56-35	﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
34	45	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾
18	195	﴿وَإِنْ نَدَعُ ثِقْلَهَا إِلَىٰ جِئِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾
32	270	﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾
13	390	﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾
<b>سورة يس</b>		
69	100	﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾
2-1	173	﴿يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾
41	197	﴿وَأَيُّهُمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾
82	208	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
33	233	﴿وَأَيُّهُمُ أَلَمَّ الْأَرْضُ الْمَيْتَةَ أَحْيَيْنَاهَا﴾
58	236	﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾
<b>سورة الصافات</b>		
70-62	21	﴿أَذَلَّكَ حَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ.....﴾
126	88	﴿رَبِّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ﴾
22	141	﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَجَهُمْ﴾
57	179	﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾
97	200	﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾
-167 170	432	﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوَإِنِ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولَىٰ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾
<b>سورة ص</b>		
28	283	﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾
<b>سورة الزمر</b>		
9	129-45	﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِةِ آلِئِلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
184	49	﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾
217	16	﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾
315	65	﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾
<b>سورة غافر</b>		
20	8	﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾
75	47	﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾
335	7	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
375	57	﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾
402	82	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾
406	85-84	﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾
<b>سورة فصلت</b>		
92	44	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾
121	46	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾
146	53	﴿سَتْرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾
<b>سورة الشورى</b>		
238	11	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
<b>سورة الزخرف</b>		
16	53	﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾
166-60	54	﴿فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَطَاطَعُوهُ﴾
60	46	﴿إِنِّي رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
87	129	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾
77	228	﴿وَوَادُوا يَمْنَكُمْ لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكُوثُونَ﴾
<b>سورة الجاثية</b>		
34	278	﴿الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾
<b>سورة الأحقاف</b>		
25	81	﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾
15	260	﴿وَحَمَلُهُ، وَفِصْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾
6	416	﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾
<b>سورة محمد</b>		
31	307-195	﴿وَلَنَبَلِّغُنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبَلِّغُنَّكُمْ﴾
<b>سورة الحجرات</b>		
14	321	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾
<b>سورة الذاريات</b>		
17-18	45	﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾
<b>سورة الطور</b>		
48	97	﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾
9-10	144	﴿يَوْمَ السَّمَاءِ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾
<b>سورة الممتحنة</b>		
4	73	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾
<b>سورة النجم</b>		
37	204	﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾
56	430	﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَىٰ﴾
<b>سورة القمر</b>		
10-14	77	﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانصُرْ.....﴾
52	91	﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
29	125	﴿فَادَا صَاحِبِهِمْ فَعَاطَى فَعَمَّرَ﴾
17	214	﴿وَلَقَدْ بَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾
1	365	﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾
<b>سورة المجادلة</b>		
2	289	﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾
<b>سورة الحشر</b>		
20	26	﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾
<b>سورة الصف</b>		
6	91	﴿رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾
5	231	﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾
<b>سورة التغابن</b>		
7	373	﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾
<b>سورة الطلاق</b>		
12	269	﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾
<b>سورة التحريم</b>		
5	350	﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾
<b>سورة الملك</b>		
5	43	﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾
1	273	﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾
<b>سورة الحاقة</b>		
11-12	33	﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْبَارِيَةِ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾
<b>سورة المعارج</b>		
43	143	﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْنَادِ سِرَاعًا﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
<b>سورة نوح</b>		
4	395	﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾
<b>سورة المدثر</b>		
6	244	﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾
<b>سورة القيامة</b>		
31-32	141	﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾
<b>سورة الإنسان</b>		
1	273	﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾
<b>سورة النبأ</b>		
13	43	﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾
30	278	﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾
<b>سورة النازعات</b>		
46	93	﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَوْنَاهَا لَمْ يَلْبَتُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾
<b>سورة البروج</b>		
13	132	﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِيٌّ وَبَعِيدٌ﴾
<b>سورة الفجر</b>		
13	166	﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾
<b>سورة الليل</b>		
1	36	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾
<b>سورة قريش</b>		
3-4	145	﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي﴾
4	222	﴿وَأَمَانَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾
<b>سورة المسد</b>		
1	403	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

## فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	الحديث	ت
265	اتخذوا السودان أي من الحبش	1.
97	أتموا الصفوف فإني أراكم	2.
139	أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -	3.
318	أتيت فاطمة- رضي الله عنها- أسألها	4.
380	أحب الصلاة إلى الله صلاة داودَ كان ينام نصف الليل	5.
337	أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.	6.
272	إذا أراد الله قبض روح عبدٍ بأرضٍ	7.
323	إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل	8.
281	إذا جمع الله الأولين والآخرين	9.
360	إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثل ما يقول	10.
357	إذا صليتم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -	11.
392	إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة	12.
272	إذا قضى الله منية عبدٍ	13.
54	إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله	14.
350	أسارى بدر	15.
192	أشد الناس بلاء الأنبياء	16.
138	أشرف علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -	17.
322	اعبد الله كأنك تراه	18.
429	أعذر الله إلى امرئٍ آخرٍ أجله حتى بلغه ستين سنة	19.
429	أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين	20.
313	أقبل أبو بكر - رضي الله عنه - يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم	21.
233	ألا أخبركم لم سمى الله	22.
52	ألا انبئكم بأكبر الكبائر	23.
333	ألا أنبئكم بخير أعمالكم	24.

رقم الصفحة	الحديث	ت
191	إلا ما أريد به وجهه	25.
225	أما إنهم سيغلبون	26.
326	أمسك عليك زوجك	27.
141	إن إسرأفيل	28.
276	أن أعوانه ينتزعون الأرواح	29.
246	إنَّ الفاجر إذا مات تستريح	30.
422	إن الله تعالى إذا رضي عن العبد أثنى عليه بسبعة	31.
240	أن الله - تعالى - فطر خلقه	32.
202	أن الله - تعالى - يجمع الأولين	33.
234	إن الله خلق آدم من قبضة	34.
411	إن الله خلق خلقه في ظلمة	35.
395	إن الله فضل محمدًا - صلى الله عليه وسلم - على أهل السماء	36.
264	إن الله لا يحب كل مختال فخور	37.
105	إن الله لا ينام	38.
399	إن الله لا ينظر إلى صوركم	39.
199	إن الله لو عذب أهل	40.
355	إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف	41.
44	أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار	42.
101	إن الله، قد أنزل	43.
99	إن الملائكة تنزل في العنان	44.
114	أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى	45.
317	إن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مرَّ بباب فاطمة، رضي الله عنها.	46.
160	أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سئل	47.
138	إن أول الآيات خروجا	48.
383	إن رجلاً سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن سبأ	49.
253	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى بهم الصبح	50.

رقم الصفحة	الحديث	ت
340	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تزوج أميمة بنت شراحيل	.51
358	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاء ذات يوم، والسرور يرى	.52
312	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاءها حين أمره الله	.53
408	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى جبريل ليلة الإسراء	.54
38	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأصحابه	.55
432	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إياك ومكر السيئ"	.56
409	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا انصرف من الصلاة	.57
346	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يستأذن في يوم المرأة منا	.58
384	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرَّ بنفر من "أسلم"	.59
125	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى	.60
274	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ بيدي	.61
343	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاءته امرأة	.62
240	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن أولاد	.63
430	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاش ثلاث وستين سنة	.64
428	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "أما أهل النار"	.65
426	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "من لبس الحرير"	.66
186	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: بينا	.67
244	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: من تصدق	.68
272	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يوماً بارزاً للناس	.69
290	أن زيداً بن حارثة	.70
327	أن زينب بنت جحش كانت تفخر	.71
399	إن في الجنة لغرفاً يرى ظهورها	.72
46	أن في النار حيّات كأمثال البخت	.73
176	أن قائل هذا القول	.74

رقم الصفحة	الحديث	ت
264	إن لقمان الحكيم كان يقول	.75
159	إن موسى أجر نفسه	.76
366	إن موسى كان رجلاً حياً، ستيّراً	.77
308	الآن نغزوهم ولا يغزونا	.78
330	أنا اللبنة وأنا خاتم	.79
291	أنت أخونا ومولانا	.80
31	أنزل القرآن جملة إلى السماء	.81
343	انطلق فقد زوجتكها فعلمها من القرآن	.82
337	انطلقا فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا	.83
400	أنفق بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقلالاً	.84
349	أنه - صلى الله عليه وسلم - طلق حفصة ثم راجعها	.85
348	أنه - صلى الله عليه وسلم - عزم على فراق سودة حتى وهبته نومتها لعائشة	.86
246	أنه وجد في عهد زياد	.87
202	إنها ستكون هجرة بعد هجرة	.88
250	إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت	.89
115	إني أعلم آية لم تنزل	.90
331	إني عند الله لخاتم	.91
50	إني لا أعرف آخر أهل النار خروجاً	.92
23	إني مبتليك ومبتل بك	.93
101	اهجهم أو قال	.94
19	أول من يكسى حلة	.95
357	أولى الناس بي يوم القيامة	.96
323	أي العباد أفضل وأرفع	.97
333	أي المجاهدين أعظم أجراً	.98
48	أي: الذنب أكبر عند الله	.99
352	إياكم والدخول على النساء	.100

رقم الصفحة	الحديث	ت
404	أيها الناس ارجعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون	101.
138	بادروا بالأعمال ستاً	102.
217	البحر هو جهنم	103.
358	البخيل من ذُكرت عنده، فلم يصل عليه	104.
395-13	بعث إلى الأحمر والأسود	105.
351	بُني على النبي - صلى الله عليه وسلم - بزینب	106.
426	تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء	107.
139	تخرج دابة الأرض	108.
173	ثلاثة لهم أجران رجل	109.
312	ثم خير نساءه كلهن	110.
391	ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك	111.
334	جاء أعرابيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.	112.
285	جعل موسى هُدى لبني إسرائيل	113.
378	الجن ثلاث أنواع	114.
323	الحب ابن الحب	115.
369	حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثين	116.
99	خذوا الشيطان أو امسكوا	117.
318	خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - غداةً	118.
403	خرج إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً فنادى ثلاث مرات	119.
110	خرج سليمان بن داود	120.
356	خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا	121.
324	خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - على جَلْبِيب	122.
294	خيار ولد آدم خمسة نوح	123.
24	خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً	124.
34	خيركم قرني ثم الذين	125.
312	خيرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاخترناه	126.

رقم الصفحة	الحديث	ت
131	دخل عليّ طاوس	.127
413	الذين يذكرون من جلال الله	.128
285	رأيت ليلة أسري بي موسى	.129
359	رغم أنف رجل ذكرت عنده	.130
292	رفع عن أمتي الخطأ	.131
220	سافروا ترحوا، وصوموا تصحوا	.132
219	سافروا تصحوا وترزقوا	.133
219	سافروا تصحوا وتغنموا	.134
282	سأل موسى - عليه السلام - ربه تعالى	.135
99	سأل ناس رسول الله - صلى الله عليه وسلم -	.136
160	سألت جبريل	.137
424	سألت عائشة - رضي الله عنها - عن هذه الآية	.138
41	سبحانك اللهم ربنا وبحمدك	.139
48	السرف: النفقة في معصية الله	.140
332	سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إن لي أسماء	.141
424	سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ... ﴾	.142
423	شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي	.143
282	شهدت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجلساً	.144
245	صالح ملك أيلة	.145
403	صعد النبي - صلى الله عليه وسلم - على الصفا ذات يوم	.146
354	صلاة الله، ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء	.147
367	صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً صلاة الظهر	.148
306	طلحة ممن قضى نحبه	.149
280	عجب ربنا من رجلين	.150
389	عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء	.151
243	عجباً للمؤمن، لا يقضي الله	.152

رقم الصفحة	الحديث	ت
356	على إبراهيم و آل إبراهيم	.153
424	عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ لِلَّهِ .. ﴾	.154
306	غاب عمي أنس بن النضر	.155
183	فآت كل ذي حق حقه	.156
331	فُضلت على الأنبياء بست	.157
342	فلم أكن أحل له، لم أكن ممن هاجر معه	.158
160	فلما أراد موسى	.159
203	فينحاز أهل الأرض ألزمهم	.160
281	قال الله تعالى: أعددت	.161
294	قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ ... ﴾	.162
370	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أربع إذا كن فيك	.163
271	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مفاتيح الغيب خمس	.164
363	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: " أيُّ الربا أربى عند الله؟"	.165
427	قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "ليس على أهل لا إله إلا الله" وحشة	.166
362	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم	.167
397	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن جهنم لما سبق إليها أهلها	.168
352	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا دعا أحدكم أخاه فليجب	.169
322	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالصدق	.170
395	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد	.171
264	قال لقمان: لابنه وهو يعظه	.172
380	قالت أم سليمان بن داود	.173
290	قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً يصلي	.174
319	قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بماء يدعى خُمًا	.175

رقم الصفحة	الحديث	ت
400	قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه	176.
336	قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبياً فإذا امرأة	177.
291	قدمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أغيلمة	178.
141	قرن ينفخ فيه	179.
367	قسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم قسماً	180.
349	كان الابدال في الجاهلية أن يقول	181.
273	كان النبي - صلى الله عليه وسلم - لا ينام حتى يقرأ	182.
273	كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في الفجر يوم الجمعة	183.
398	كان رجلان شريكان خرج أحدهما	184.
393	كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالساً في نفر من أصحابه	185.
381	كان سليمان نبي الله - عليه السلام - إذا صلى رأى شجرة نابتة	186.
237	كذبني ابن آدم ولم يكن له	187.
412	كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب	188.
237	كل حرف في القرآن يُذكر	189.
240	كل مولود يولد على الفطرة	190.
344	كنت أغار على اللاتي وهين أنفسهن من النبي - صلى الله عليه وسلم -	191.
426	كنت جالساً مع أبي الدرداء - رضي الله عنه - في مسجد	192.
343	كنت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - جالساً وعنده ابنة	193.
280	كنت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر	194.
213	كيف تسألون أهل الكتاب	195.
267	لا أحصي ثناء عليك	196.
308	لا إله إلا الله وحده، صدق وعده	197.
212	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم	198.
316	لا تمنعوا إماء الله مساجد	199.
245	لا تيأسا من الرزق ما تهزرت	200.

رقم الصفحة	الحديث	ت
340	لا طلاق قبل نكاح	201.
339	لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك	202.
331	لا نبوة بعدي إلا المبشرات	203.
255	لا يحل بيع المغنيات	204.
46	لا يدخل النار إلا شقي	205.
321	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	206.
246	لَحَدٌّ يَقَامُ فِي الْأَرْضِ	207.
189	لرادك إلى مكة	208.
53	لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريماً	209.
429	لقد أعذر الله إلى عبدٍ أحياء حتى بلغ ستين أو سبعين سنةً	210.
41	لقى سلمان - رضي الله عنه -	211.
330	لم يبق من النبوة بعدي	212.
348	لم يمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أحلَّ الله له أن يتزوج ما شاء	213.
95	لما أنزل الله	214.
327	لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم	215.
351	لما تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعا القوم	216.
404	لما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد الحرام	217.
229	لما كان يوم بدر ظهرت الروم	218.
96	لما نزلت هذه الآية	219.
226	لما نزلت، ﴿الْمَغْلِبَةِ الرُّومِ﴾	220.
260	لما نزلت، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا حُجَّتَنَا...﴾	221.
308	لن تغزوكم قريش بعد	222.
427	لن يدخل أحدكم الجنة عمله	223.
140	لها ثلاث خراجات من الدهر	224.
72	اللهم الرفيق الأعلى	225.
355	اللهم صل على آل أبي أوفى	226.

رقم الصفحة	الحديث	ت
356	اللهم صل على محمد عبدك ورسولك	.227
308	اللهم منزل الكتاب، سريع	.228
346	اللهم هذا قسمي فيما أملك	.229
298	لو أدركتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاتلتُ معه	.230
262	لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء	.231
23	لو شئت لأجرى الله معي	.232
105	لو كشفها لأحرقتُ	.233
264	ليس لنا مثل السوء	.234
47	ما أحسن القصد في الغنى	.235
242	ما أنا عليه اليوم وأصحابي	.236
167	ما أهلك قوم	.237
359	ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه	.238
47	ما عال من اقتصد	.239
196	ما قتلت نفس ظلماً	.240
321	ما لنا لا نُذَكِّرُ في القرآن	.241
347	ما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أحل الله له النساء	.242
251	ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم	.243
215	ما من الأنبياء من نبي	.244
48	ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله	.245
334	ما من قوم يقومون من مجلس	.246
293	ما من مؤمن إلا وأنا أولى	.247
248	ما من مسلم يرُدُّ	.248
240	ما من مولود يولد إلا على الفطرة	.249
400	ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان	.250
152	مثل الذي يعمل	.251
330	مثلي في النبيين كمثل	.252

رقم الصفحة	الحديث	ت
330	مثلي ومثل الأنبياء	.253
409	مُطِرْنَا بِنَوْءِ الْفَتْحِ	.254
292	من ادعى لغير أبيه	.255
370	من حلف بالأمانة فليس منا	.256
195	من دعا إلى هدى	.257
414	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ	.258
301	من سمى المدينة يثرب	.259
357	مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً	.260
358	من صلى عليّ واحدة، صلى	.261
47	من فقه الرجل رفقته في معيشته	.262
233	من قال حين يصبح	.263
210	مَنْ لَمْ تَنْتَههِ صَلَاتُهُ	.264
108	نحن معشر الأنبياء	.265
305	نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر	.266
66	نزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -	.267
298	نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور	.268
277	نظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ملك	.269
301	نهى أن تسمى المدينة يثرب	.270
169	نودوا يا أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -	.271
227	هذا التخييب	.272
39	هو الطهور ماؤه الحل ميتته	.273
350	وافقت ربي في ثلاث	.274
95	والذي نفس محمد بيده	.275
29	والذي نفسي بيده أنه لخفف	.276
292	والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم	.277
324	والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا	.278
250	والذي نفسي بيده، ما أنتم	.279

رقم الصفحة	الحديث	ت
335	والصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة	.280
322	والصوم زكاة البدن	.281
178	والله ما الدنيا في الآخرة	.282
316	وبيوتهن خير لهن	.283
161	ولدت كل شاه	.284
262	ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق	.285
93	يؤتى بالكافر فيغمس في النار	.286
268	يا أبا ذر، هل تدري أين تذهب	.287
400	يا ابن آدم أنفق أنفق عليك	.288
146	يا أيها الناس	.289
264	يا بني، إن الحكمة أجلس	.290
380	يا رب، كيف أشكرك، والشكر نعمة منك	.291
356	يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أما السلام عليك فقد عرفناه	.292
51	يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجل غدر وفجر	.293
100	يا رسول الله قد علم	.294
383	يا رسول الله، أرأيت سباً	.295
358	يا رسول الله، إني أكثر الصلاة	.296
363	يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال	.297
299	يا رسول الله، هل من شيء	.298
96	يا عباس بن عبد المطلب	.299
175	يا عم، قل: لا إله إلا الله	.300
175	يا عماء، قل: لا إله إلا الله	.301
196	يا معاذ، إن المؤمن	.302
205	يحذفون أهل الطريق	.303
142	يخرج الدجال فيمكث	.304
51	يدخل الجنة أهل الجنة	.305

رقم الصفحة	الحديث	ت
121		.306 يقول الله تعالى
335		.307 يقول الله: مَنْ ذكّرني في نفسه
74		.308 يلقي إبراهيم أباه أزر يوم القيامة

## فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	البيت
<b>قافية الهمزة</b>	
429	إِذَا بَلَغَ الْفَتَى سَتِينَ عَامَا فَقَدْ ذَهَبَ الْمَسْرَةُ وَالْفَتَاءُ
<b>قافية الألف</b>	
118	ورأيت زوجك في الوغى مقلداً سيفاً ورمحاً
263	وكنا إذا الجبار صعر خده أفمناً له من ميله فنقوماً
263	وكنا قديماً لا نقر ظلامه إذا ما ثنوا صعر الرؤوس نقيمها
379	أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي، ولساني، والضمير المحجبا
<b>قافية الباء</b>	
146	إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
146	ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفي عليه يغيب
<b>قافية الراء</b>	
22	يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور
22	إذ أجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور
83	فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر
188	سألتاني الطلاق أن رأتاني قل مالي، وقد جئتماني بنكر
188	ويكأن من يكن له نشب يح بب ومن يفنقر يعيش عيش ضر
232	الحمد لله الذي أعطى الحبر موالي الحق إن المولى شكر
270	وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يدك من غدر وخر
<b>قافية العين</b>	
279	وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا أنشق معروف من الفجر ساطع
279	أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع

الصفحة	البيت
279	بَيْتٌ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ
376	وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغُ تَبَّعُ
<b>قافية الكاف</b>	
303	أَفِي السَّلْمِ أَعْيَارًا جَفَاءً وَغَلْظَةً وَفِي الْحَرْبِ أَمْثَالَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ
<b>قافية اللام</b>	
191	أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ الْعِبَادِ، إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ
<b>قافية الميم</b>	
238	إِذَا سَكَنَ الْغَدِيرُ عَلَى صَفَاءٍ وَجُنُبٌ أَنْ يُحْرَكَهُ النَّسِيمُ
238	تَرَى فِيهِ السَّمَاءَ بَلَا امْتِرَاءٍ كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْدُو وَالنَّجُومُ
238	كَذَلِكَ قُلُوبُ أَرْبَابِ التَّجَلِّي يُرَى فِي صَفْوِهَا اللَّهُ الْعَظِيمُ
<b>قافية الياء</b>	
45	إِنْ يَعَذِبُ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يَعِطُ جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يِبَالِي
170	فَمَا أُدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهَا يَلِينِي

## فهرس الأمثال والحكم وأقوال العرب

رقم الصفحة	المثل	ت
195	افعل هذا وخطيئتاك عليّ	.1
383	شذر مذر	.2
387	تفرقوا أيدي سبأ	.3

## فهرس الأديان والملل والنحل

رقم الصفحة	الاسم	ت
86	عبادة الأيكة	.1
180	المعتزلة	.2
227	دين اليونان	.3
240	النصرانية	.4
240	المجوسية	.5
240	اليهودية	.6
243	عبادة الأوثان	.7

## فهرس الأعلام<sup>(1)</sup>

الصفحة	اسم العلم	ت
226	أبا فضيل	.1
329	إبراهيم	.2
4	إبراهيم بن محمد بن كافي الدين الخنجي الشيرازي	.3
28	ابن أبي الحاتم	.4
48	ابن أبي الدنيا	.5
91	ابن أبي حاتم	.6
23	ابن اسحاق	.7
4	ابن الخباز	.8
22	ابن الزبيري	.9
139	ابن الزبير	.10
37	ابن المسيب	.11
115	ابن بُرَيْدَة	.12
17	ابن جبير	.13
25	ابن جريج	.14
263	ابن حُني التَّغَلبي	.15
100	ابن رَوَاحَة	.16
246	ابن زياد	.17
113	ابن زيد	.18
74	ابن سيرين	.19
376	ابن شوذب	.20
18	ابن عباس	.21
251	ابن عمر	.22
4	ابن غالي	.23
4	ابن كثير	.24

(1) تمت الإشارة إلى رقم الصفحة موضع الترجمة فقط.

الصفحة	اسم العلم	ت
46	ابن ماجه	.25
27	ابن مسعود	.26
116	ابن مِهْرَان	.27
121	ابن يزيد	.28
4	ابنة الكمال	.29
313	ابنة زيد	.30
211	أبو العالية	.31
255	أبو إمامة	.32
101	أبو بكر بن أبي قُحَافَة	.33
174	أبو جهل	.34
20	أبو حازم	.35
339	أبو حنيفة	.36
3	أبو حيان	.37
114	أبو داود	.38
50	أبو زر	.39
291	أبو عبيد	.40
300	أبو عبيدة	.41
239	أبو مجلّز	.42
361	أبو محمد الجويني	.43
47	أبي الدرداء	.44
109	أبي الصديق الناجي	.45
331	أبي الطفيل	.46
52	أبي بكرة	.47
226	أبي بن خَاف	.48
294	أبي بن كعب	.49
378	أبي ثعلبة الخُشَنِيّ	.50
342	أبي رَزِين	.51

الصفحة	اسم العلم	ت
253	أبي روح	.52
29	أبي سعيد الخدري	.53
175	أبي طالب	.54
358	أبي طلحة	.55
66	أبي موسى	.56
46	أبي هريرة	.57
19	أحمد	.58
4	أحمد بن فخر الدين الكازروني البلياني	.59
57	الأخفش	.60
325	أسامة بن زيد	.61
281	أسماء بنت يزيد	.62
332	الأسود العنسي	.63
70	آسية امرأة فرعون	.64
309	أم سلمة	.65
201	أم هانئ	.66
344	امرأة من بني الجون	.67
30	أمية بن خلف	.68
19	أنس	.69
305	أنس بن النضر	.70
233	أنس بن مالك الجهني	.71
301	أوس بن قَيْظِيّ	.72
74	البخاري	.73
227	البراء	.74
3	البرزالي	.75
370	بريدة	.76
379	بكر بن مضر	.77
112	بلقيس بنت شَرَّاحِيل	.78

الصفحة	اسم العلم	ت
345	بنت واشق	.79
219	البيهقي	.80
205	الترمذي	.81
343	ثابت البناني	.82
263	ثابت بن قيس	.83
157	ثبرون	.84
128	الثوري	.85
212	جابر	.86
130	جابر بن سليم	.87
332	جبير بن مطعم	.88
19	جرير	.89
277	جعفر بن محمد	.90
323	جلبيب	.91
314	جويرية بنت الحارث المصطلقية	.92
176	الحارث بن عامر بن نوفل	.93
349	الحافظ أبو بكر البزار	.94
47	الحافظ البزار	.95
242	الحاكم	.96
47	حذيفة	.97
137	حذيفة بن أسيد الغفاري	.98
298	حذيفة بن اليمان	.99
100	حسان بن ثابت	.100
15	الحسن البصري	.101
317	الحسن بن علي بن أبي طالب	.102
318	الحسين	.103
313	حفصة	.104
359	الحليمي	.105

الصفحة	اسم العلم	ت
184	حيوة بن شريح المصري	.106
297	حبي بن أخطب النضري	.107
17	خثيمه	.108
329	خديجة	.109
70	خربيل المؤمن	.110
343	خولة بنت حكيم	.111
337	الدرامي	.112
3	الذهبي	.113
306	الربيع ابنة النضر	.114
267	الربيع بن أنس	.115
172	رفاعة القرظي	.116
229	الزبير الكلابي	.117
77	الزجاج	.118
177	الزمرخري	.119
120	الزهري	.120
408	الزهري	.121
319	زيد بن أرقم	.122
289	زيد بن حارثة	.123
245	زيد بن رفيع	.124
144	زين العابدين	.125
329	زينب	.126
343	زينب أم المساكين	.127
290	زينب بنت جحش	.128
224	سابور	.129
148	سارة	.130
183	السامري	.131
49	السدي	.132

الصفحة	اسم العلم	ت
306	سعد بن معاذ	.133
261	سعد بن وقاص	.134
160	سعيد بن جبير	.135
91	سفيان الثوري	.136
296	سفيان صخر بن حرب	.137
295	سلام بن أبي الحقيق	.138
295	سلام بن مشكم	.139
213	سلمان الفارسي	.140
41	سليمان	.141
226	سنيذ بن داود	.142
281	سهل بن سعد	.143
314	سودة	.144
219	الشافعي	.145
53	الشعبي	.146
58	الشعبي	.147
41	شهر بن حوشب	.148
314	صفية بنت حيي النضرية	.149
72	الضحاك	.150
329	الطاهر	.151
131	طاوس	.152
210	الطبراني	.153
359	الطحاوي	.154
353	طلحة بن عبيد الله	.155
288	طلق بن حبيب	.156
139	الطيالسي	.157
329	الطيب	.158
98	عائشة	.159

الصفحة	اسم العلم	ت
357	عامر بن ربيعة	.160
96	عباس بن عبد المطلب	.161
4	عبد الرحيم القرشي البكري الجبائي الجرهي	.162
299	عبد الله بن أبي	.163
46	عبد الله بن الحرث	.164
175	عبد الله بن المغيرة	.165
333	عبد الله بن بُسْرٍ	.166
92	عبد الله بن سلام	.167
138	عبد الله بن عمرو	.168
131	عبيد الله بن أبي صالح	.169
18	عبيد بن عمر	.170
159	عُتْبَةُ بن المنذر	.171
425	عثمان بن عفان	.172
232	العجاج	.173
331	العرباض بن سارية	.174
142	عروة بن مسعود	.175
273	عطاء	.176
336	عطاء بن يسار	.177
29	عقبة بن أبي معيط	.178
424	عقبة بن صُهَيْبَان	.179
33	عكرمة	.180
3	العلائقي	.181
26	علي (رضي الله عنه)	.182
326	علي بن الحسين	.183
158	عمر (رضي الله عنه)	.184
102	عُمَر بن الخطاب	.185
107	عمر بن عبد العزيز	.186

الصفحة	اسم العلم	ت
297	عمرو بن عبد ودّ العامري	.187
210	عمرو بن مرة	.188
270	عمرو بن معد يكرب	.189
296	عُيَيْنة بن حصن	.190
349	عُيَيْنة بن حصن الغراري	.191
97	فاطمة بنت محمد	.192
71	الفراء	.193
383	فروة بن مُسيك	.194
283	فُضَيْل بن عياض	.195
182	قارون	.196
329	القاسم	.197
360	القاضي عياض	.198
49	قتادة	.199
20	القرطبي	.200
227	قسطنطين	.201
426	قيس بن كثير	.202
227	قيصر	.203
425	كثير بن قيس	.204
228	كسرى	.205
277	كعب الأحبار	.206
309	كعب بن أسد	.207
213	كعب بن سلام	.208
355	كعب بن عُجْرَة	.209
100	كعب بن مالك	.210
57	الكلبي	.211
296	كنانة بن الربيع	.212
68	مؤمن آل فرعون	.213

الصفحة	اسم العلم	ت
329	مارية القبطية	.214
56	مالك	.215
17	مجاهد	.216
54	محمد الباقر	.217
125	محمد بن إسحاق	.218
52	محمد بن الحنفية	.219
89	محمد بن كعب القُرظي	.220
334	محيي الدين النووي	.221
82	مرة	.222
70	مريم بنت ناموسا	.223
391	مسروق	.224
105	المسعودي	.225
23	مسلم	.226
175	المسيب بن حزن	.227
332	مسيلمة الكذاب	.228
50	معاذ بن جبل	.229
346	مُعَاذَة	.230
306	معاوية	.231
300	معتب بن قشير	.232
282	المغيرة بن شعبة	.233
126	مقاتل	.234
169	مُقَاتِل بن حَيَّان	.235
51	مكحول	.236
4	الميدومي	.237
314	ميمونة بنت الحارث الهاللية	.238
325	ميمونة بنت عبد المطلب	.239
218	النجاشي	.240

الصفحة	اسم العلم	ت
31	النسائي	.241
412	النعمان بن بشير	.242
109	نوف البكالي	.243
224	هرقل	.244
318	وائلة بن الأسقع	.245
314	وأم حبيبة	.246
329	وأم كلثوم	.247
329	ورقية	.248
120	وهب بن منبه	.249
18	يحي بن اسيد	.250
119	يزيد بن رومان	.251
217	يعلى	.252
68	يوشع بن نون	.253

## فهرس القبائل

رقم الصفحة	اسم القبيلة	ت
387	الأزْد	.1
33	أصحاب الأخدود	.2
33	أصحاب الرس	.3
33	أصحاب ياسين	.4
388	الأوس	.5
59	بنو إسرائيل	.6
227	بنو الأصفر	.7
87	بنو الرومية	.8
96	بنو المطلب	.9
301	بنو حارثة	.10
297	بنو قريظة	.11
96	بنو هاشم	.12
96	بنو كعب	.13
387	خزاعة	.14
388	الخرزج	.15
227	الروم	.16
387	غسان	.17
224	فارس	.18
33	فلج	.19
148	القبط	.20
81	قوم ثمود	.21
157	قوم شعيب	.22
157	قوم لوط	.23
170	قوم نوح	.24
79	قوم هود	.25
96	معشر قريش	.26

## فهرس البلدان والأماكن

رقم الصفحة	اسم المدينة أو المكان	ت
207	الأحقاف	.1
33	أذربيجان	.2
228	أذرعَاتُ	.3
378	إصطخر	.4
228	بُصْرَى	.5
378	بكابِل	.6
224	بلاد الجزيرة	.7
224	بلاد الروم	.8
190	بيت المقدس	.9
387	تهامة	.10
81	الحجر	.11
78	حضر موت	.12
111	حمير	.13
160	حيرة	.14
377	دمشق	.15
111	سبأ	.16
85	سدُوم	.17
81	الشام	.18
85	الشَوَيْكُ	.19
112	صنعاء	.20
176	الطائفُ	.21
59	الطور	.22
388	العراق	.23
387	عمان	.24
85	الغور	.25

رقم الصفحة	اسم المدينة أو المكان	ت
33	قرى اليمامة	.26
33	قرى ثمود	.27
34	قرية قوم لوط	.28
224	قسطنطينية	.29
3	كازرون	.30
85	كَرْكُ	.31
112	مَأْرِبُ	.32
227	المدائن	.33
153	مَدْيَنُ	.34
59	مصر	.35
177	مكة	.36
81	وادي القرى	.37
300	يثرب	.38
208	اليمن	.39

## فهرس الكتب المذكورة

رقم الصفحة	اسم الكتاب	ت
12	القرآن الكريم	.1
408	الأدب المفرد للبخاري	.2
31	الإنجيل	.3
31	التوراة	.4
31	الزبور	.5
159	سنن ابن ماجه	.6
125	سنن أبي داود	.7
205	سنن الترمذي	.8
74	صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه)	.9
23	صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)	.10
334	كتاب الأذكار للنووي	.11
310	كتاب السيرة (كتاب المغازي)	.12
23	مسند أحمد	.13

## فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود.
1. الاتقان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي شهرته: السيوطي تح: مركز الدراسات القرآنية، دار النشر: مجمع الملك فهد.
  2. آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت682هـ) الناشر: دار صادر – بيروت.
  3. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت354هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت739هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ط1، 1408هـ – 1988 م.
  4. أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم – وآدابه. لأبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت369هـ) تح: صالح بن محمد الونيان. دار المسلم للنشر والتوزيع. ط1، 1998.
  5. أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت468هـ) تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان الناشر: دار الإصلاح – الدمام – ط2، 1412هـ – 1992 م.
  6. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت463هـ) تح: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت ط1، 1412هـ – 1992 م.

7. أسد الغابة في معرفة الصحابة. عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، سنة الولادة / سنة الوفاة 630هـ. تح: عادل أحمد الرفاعي، الناشر دار إحياء التراث العربي. سنة النشر 1417 هـ - 1996 م. مكان النشر بيروت / لبنان.
8. الاشتقاق: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد دار النشر: مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر - ط3 تح: عبد السلام محمد هارون.
9. الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ) تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ط1 - 1415هـ.
10. الأصمعيات اختيار الأصمعي: الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت216هـ) تح: احمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون الناشر: دار المعارف - مصر، ط7، 1993م.
11. إعراب القرآن الكريم: أحمد عبيد الدعاس - أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم الناشر: دار المنير ودار الفارابي - دمشق ط1، 1425هـ.
12. الأعلام،: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت1396هـ) الناشر: دار العلم للملايين، ط15، أيار/مايو 2002م.
13. الأغاني أبو الفرج الأصبهاني سنة الولادة 284هـ/ سنة الوفاة 356هـ تح: علي مهنا وسمير جابر، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر، مكان النشر لبنان.
14. الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن مأكولا (ت475هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط1، 1411هـ - 1990م.

15. ألقاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين. لأبو علي الحسين بن محمد الغساني وكان يكره أن يقال له الجياني (ت498هـ) تح: د محمد زينهم محمد عزب ومحمود نصار. دار الفضيلة - القاهرة - مصر.
16. الأم: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت204هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت - الطبعة: بدون طبعة سنة النشر: 1410هـ/1990م.
17. الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت562هـ) تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1382هـ - 1962م.
18. الأنساب. أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني سنة الولادة 506هـ/ سنة الوفاة 562هـ تح: عبد الله عمر البارودي الناشر دار الفكر.
19. أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داوود البلاذري، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر بيروت، ط1.
20. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت685هـ) تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ط1 - 1418 هـ.
21. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ) تح: علي شيري الناشر: دار إحياء التراث العربي ط1 1408، هـ - 1988 م.
22. البرهان في علوم القرآن محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله سنة الولادة 745/ سنة الوفاة 794 تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر دار المعرفة سنة النشر 1391هـ مكان النشر بيروت.

23. بلغة السالك لأقرب المسالك أحمد الصاوي، تحقيق ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر 1415هـ — 1995م، مكان النشر لبنان/ بيروت.
24. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة المؤلف / محمد بن يعقوب الفيروزآبادي دار النشر / جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - 1407 ط1 تح: محمد المصري.
25. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت520هـ) حققه: د محمد حجي وآخرون الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان ط2، 1408هـ - 1988م.
26. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية.
27. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. دار النشر: دار الكتاب العربي. مكان النشر: لبنان/ بيروت. سنة النشر: 1407هـ - 1987م. ط1. تح: د. عمر عبد السلام تدمري.
28. التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله (ت256هـ) الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن - طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.
29. تاريخ دمشق لابن القلانسي: حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، المعروف بابن القلانسي (ت555هـ) تح: د سهيل زكار الناشر: دار حسان للطباعة والنشر، لصاحبها عبد الهادي حرصوني - دمشق ط1 1403هـ - 1983م.

30. تاريخ دمشق: تأليف ابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي: دار الفكر.
31. تاريخ ابن الوردي، لعمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص، زين العابدين بن الوردي المصري الكندي. دار الكتاب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1417هـ-1996م.
32. تالي تلخيص المتشابه: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت463هـ) تح: مشهور بن حسن آل سلمان ، أحمد الشقيرات الناشر: دار الصميعي - الرياض ط1، 1417.
33. التحف الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية،: يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله، أبو زكرياء الشاوي الملياني الجزائري المالكي (ت1096هـ) الطبعة: مطبعة السعادة بمصر.
34. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت902هـ) الناشر: الكتب العلمية، بيروت -لبنان ط1 1414هـ/1993م.
35. تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت748هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان - ط1، 1419هـ - 1998م.
36. التعريفات،: علي بن محمد بن علي الجرجاني. الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ط1، 1405هـ تح: إبراهيم الأبياري.
37. تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة 310هـ. دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط3، 1420 هـ - 1999 م.

38. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ) تح: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت - ط1 - 1419 هـ.
39. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم -: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت327هـ) تح: أسعد محمد الطيب. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ط3 - 1419 هـ.
40. تقريب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ) تح: محمد عوامة الناشر: دار الرشيد - سوريا - ط1، 1406 - 1986.
41. التتبيه والإشراف: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ) تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي الناشر: دار الصاوي القاهرة مجهولة التاريخ.
42. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (ت68هـ) جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان.
43. تهذيب التهذيب،: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ط1، 1326هـ.
44. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت742هـ) تح: د. بشار عواد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ط1، 1400 - 1980.

45. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (ت842هـ) تح: محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط1، 1993م.
46. الثقات: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي الناشر: دار الفكر ط1، 1395 - 1975. تح: السيد شرف الدين أحمد.
47. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي  
تح: محمد زهير بن ناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط1، 1422هـ.
48. جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت463هـ) تح: أبي الأشبال الزهيري الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ط1، 1414 هـ - 1994 م.
49. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت671هـ) تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة - ط2، 1384هـ - 1964 م.
50. جمل من أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت279هـ) تح: سهيل زكار ورياض الزركلي الناشر: دار الفكر - بيروت ط1، 1417 هـ - 1996 م.
51. جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين: عبد الحميد بن علي فقيهي الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

52. جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين: عبد الحميد بن علي فقيهي الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة
53. حجة القراءات: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة. دار النشر / مؤسسة الرسالة - بيروت.
54. الحجة على أهل المدينة: أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (ت189هـ) تح: مهدي حسن الكيلاني القادري، الناشر: عالم الكتب - بيروت ط3، 1403.
55. حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار. للإمام الحافظ المحدث الفقيه أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، (631 - 676 هـ).
56. خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ط4، 1418 هـ - 1997 م.
57. الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت.
58. الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي (ت1332هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ط1، 1312 هـ.
59. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ) تح: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند ط2، 1392هـ / 1972م.

60. الرحلة الشامية (1910): الأمير محمد علي بن محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي (ت1374هـ) حررها وقدم لها: علي أحمد كنعان الناشر: دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان ط1، 2002م.
61. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت581هـ) تح: عمر عبد السلام السلامي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1، 1421هـ/ 2000م.
62. الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد بن عبد المنعم الحميري تح: إحسان عباس الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج ط2، 1980 م.
63. السبعة في القراءات لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبوبكر بن مجاهد البغدادي، تح: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط2، 1400هـ.
64. سر صناعة الإعراب: أبي الفتح عثمان بن جني الناشر: دار القلم - دمشق ط1، 1985 تح: د.حسن هندراوي.
65. سنن ابن ماجه: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت273هـ) تح: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
66. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت275هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

67. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت279هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ط2، 1395 هـ - 1975 م.
68. السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت303هـ) تح: حسن عبد المنعم شلبي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط1، 1421هـ - 2001م.
69. السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُو جردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت458هـ) تح: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات ط3، 1424 هـ - 2003 م.
70. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (ت748هـ) تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة ط3، 1405 هـ / 1985 م.
71. السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد سنة الولادة / سنة الوفاة 213هـ تح: طه عبد الرؤوف سعد. الناشر دار الجيل. سنة النشر 1411هـ مكان النشر بيروت.
72. شرح السنة: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت516هـ) تح: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت ط2، 1403هـ - 1983م.
73. شرح صحيح البخاري: ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت449هـ) تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض ط2، 1423هـ - 2003م.
74. شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ط1، 1410 تح: محمد السعيد بسيوني زغلول.

75. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. لأبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت393هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين - بيروت - ط4، 1407هـ - 1987 م.
76. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت902هـ) الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
77. طبقات الحنابلة: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (ت526هـ) تح: محمد حامد الفقي الناشر: دار المعرفة - بيروت.
78. الطبقات السننية في تراجم الحنفية: النقي الغزي.
79. طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت771هـ) تح: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط2، 1413هـ.
80. طبقات الفقهاء إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق سنة الولادة 393/ سنة الوفاة 476هـ تح: خليل الميس، الناشر دار القلم. مكان النشر بيروت.
81. طبقات المفسرين،: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة. ط1، 1396هـ. تح: علي محمد عمر
82. الطبقات،: خليفة بن خياط أبو عمر الليثي العصفري الناشر: دار طيبة - الرياض - ط2، 1402 - 1982 تح: د. أكرم ضياء العمري.
83. العنوان في القراءات السبع: أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السرقسطي (ت455هـ) تح: (الدكتور زهير زاهد - الدكتور خليل العطية)(كلية الآداب - جامعة البصرة) الناشر: عالم الكتب، بيروت عام النشر: 1405هـ.

84. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1416 هـ - 1996 م ط1.
85. غريب الحديث: القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ط1، 1396 تح: د. محمد عبد المعيد خان.
86. الفائق في غريب الحديث: محمود بن عمر الزمخشري، الناشر: دار المعرفة - لبنان ط2، تح: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم.
87. فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت1307هـ) عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت - عام النشر: 1412 هـ - 1992 م.
88. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا: سعدي أبو جيب الناشر: دار الفكر. دمشق - سورية الطبعة: تصوير 1993 م، ط2، 1408هـ-1988م.
89. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ) تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ط8، 1426 هـ-2005م.
90. كتاب السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت324هـ) تح: شوقي ضيف الناشر: دار المعارف - مصر - ط2، 1400هـ.
91. كتاب المغازي للواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (ت207هـ) تح: مارسدن جونس الناشر: بيروت-عالم الكتب.

92. كشف الأستار عن زوائد البزار: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت807هـ) تح: حبيب الرحمن الأعظمي  
الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ط1، 1399 هـ - 1979 م.
93. لب اللباب في تحرير الأنساب: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ) الناشر: دار صادر - بيروت.
94. لباب النقول في أسباب النزول.: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل سنة الولادة 849/ سنة الوفاة 911هـ. الناشر دار إحياء العلوم سنة النشر مكان النشر بيروت.
95. المبسوط في القراءات العشر: أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر (ت381هـ) تح: سبيع حمزة حاكيمي  
الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق - عام النشر: 1981 م.
96. متن أبي شجاع المسمى الغاية والتقريب: أحمد بن الحسين بن أحمد، أبو شجاع، شهاب الدين أبو الطيب الأصفهاني (ت593هـ) الناشر: عالم الكتب.
97. المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية - صلى الله عليه وسلم - من صحيح الإمام البخاري  
المؤلف: شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (ت956هـ) حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط1، 1425 هـ - 2004 م.
98. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت303هـ) تح: عبد الفتاح أبو غدة  
الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ط2، 1406 - 1986.
99. المجتبى من مشكل إعراب القرآن: أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام النشر: 1426 هـ.

100. المحبر: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (ت245هـ) تح: إيلزة ليختن شتيتز الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
101. مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي. تح: محمود خاطر. الناشر مكتبة لبنان ناشرون سنة النشر 1415 - 1995. مكان النشر بيروت.
102. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الإفريقي (ت711هـ) تح: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا ط1، 1402 هـ - 1984م.
103. المدونة: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت179هـ) الناشر: دار الكتب العلمية ط1، 1415هـ - 1994م.
104. المزهري في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ) تح: فؤاد علي منصور. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ط1، 1418هـ - 1998م.
105. مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه تأليف: إسحاق بن منصور المروزي دراسة وتحقيق، الناشر: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الأولى، 1425هـ/2002م.
106. المستدرک علی الصحیحین: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت405هـ) تح: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ط1، 1411 - 1990

107. المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبيشيبي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ط2، 1986  
تح: د. مفيد محمد قميحة.
108. مسند أبي داود الطيالسي - المشكول: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت204هـ) المتوفى سنة 204 هـ  
تح: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر الناشر: هجر للطباعة والنشر ط1 سنة الطبع: 1419 هـ - 1999 م.
109. مسند أبي يعلى: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت307هـ) تح: حسين سليم أسد. الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق - ط1، 1404 - 1984.
110. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ) تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة ط1، 1421 هـ - 2001 م.
111. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت292هـ) تح: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18) الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ط1، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).
112. مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت255هـ) تح: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني - الرياض، دار ابن حزم - بيروت ط1 2000م.

113. مسند الشاميين: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت360هـ) تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط1، 1405 - 1984.
114. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت261هـ) تح: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
115. المصباح المنير تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ دراسة وتح: الناشر: المكتبة العصرية.
116. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
117. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة: محمد بن محمد حسن شراب الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت ط1 1411هـ.
118. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت510هـ) تح: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ط4، 1417 هـ - 1997 م.
119. معاني القرآن: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت338هـ) تح: محمد علي الصابوني الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة ط1، 1409.
120. معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت207هـ) تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر - ط1.

121. معترك الأقران في إعجاز القرآن ويُسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)،: الإمام الحافظ / جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى 911 هـ) ( دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط1: 1408 هـ - 1988 م.
122. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ) تح: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1414 هـ - 1993 م.
123. معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، الناشر: دار الفكر - بيروت.
124. معجم الشعراء: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت384 هـ) بتصحیح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط2، 1402 هـ - 1982 م.
125. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الناشر: مكتبة العلوم والحكم - الموصل ط2، 1404 - 1983 تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
126. معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت1424هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب ط1، 1429 هـ - 2008 م.
127. معجم المؤلفين: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت1408هـ) الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
128. المعجم المختص بالمحدثين: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت748هـ) تح: د. محمد الحبيب الهيئة الناشر: مكتبة الصديق، الطائف ط1، 1408 هـ - 1988 م.

129. المعجم الوسيط المؤلف / إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار دار النشر: دار الدعوة تح: مجمع اللغة العربية.
130. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة دمشق (ت1408هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ط7، 1414 هـ - 1994 م.
131. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت487هـ) الناشر: عالم الكتب، بيروت ط3، 1403 هـ.
132. المغرب،: ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المَطَرَزِيّ (ت610هـ) الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
133. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ) تح: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت ط1-1412هـ.
134. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ) تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية- بيروت- ط1، 1412 هـ - 1992 م.
135. الموسوعة الفقهية الكويتية صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت عدد الأجزاء: 45 جزءا الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ) ..الأجزاء 1 - 23: ط2، دار السلاسل - الكويت..الأجزاء 24 - 38: ط1، مطابع دار الصفاة - مصر..الأجزاء 39 - 45: ط2، طبع الوزارة.
136. الموسوعة القرآنية: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت1414هـ) الناشر: مؤسسة سجل العرب الطبعة: 1405 هـ.

137. نثر الدر في المحاضرات: منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الأبى (ت421هـ) تح: خالد عبد الغني محفوظ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ط1، 1424هـ - 2004م.
138. نزهة الألباب في الألقاب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ) تح: عبد العزيز محمد بن صالح السديري الناشر: مكتبة الرشد - الرياض ط1، 1409هـ - 1989م.
139. نسب عدنان وقحطان: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت285هـ) تح: عبد العزيز الميمنى الراجكوتى الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - الهند عام النشر: 1354 هـ - 1936 م.
140. نسب قريش: مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله الزبيري (ت236هـ) تح: ليفي بروفنسال، الناشر: دار المعارف، القاهرة ط3.
141. النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت833هـ) تح: علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ) الناشر: المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]
142. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت821هـ) تح: إبراهيم الإبياري الناشر: دار الكتاب اللبنانيين، بيروت ط2، 1400 هـ - 1980 م.
143. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت764هـ) تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. الناشر: دار إحياء التراث - بيروت - عام النشر: 1420هـ - 2000م.
144. الورع: عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي البغدادي، الناشر: الدار السلفية - الكويت، ط1، 1408 - 1988. تح: أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود.

145. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت681هـ) تح: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت.

## فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع	ت
د	المقدمة	1.
هـ	أهمية الموضوع	2.
و	أسباب اختيار الموضوع	3.
و	خطة البحث	4.
6-1	دراسة لحياة المؤلف	5.
9-7	دراسة للمؤلف	6.
10	وصف المخطوط	7.
11	تحقيق الجزء المختار من المخطوط	8.
55-12	سورة الفرقان	9.
102-56	سورة الشعراء	10.
146-103	سورة النمل	11.
191-147	سورة القصص	12.
223-192	سورة العنكبوت	13.
253-224	سورة الروم	14.
272-254	سورة لقمان	15.
287-273	سورة السجدة	16.
371-288	سورة الأحزاب	17.
407-372	سورة سبأ	18.
434-408	سورة فاطر	19.
435	الخاتمة	20.
452-438	فهرس الآيات	21.
465-453	فهرس الأحاديث	22.

رقم الصفحة	الموضوع	ت
467-466	فهرس الأبيات الشعرية	.23
468	فهرس الأمثال	.24
469	فهرس الأديان والملل والنحل	.25
479-470	فهرس الأعلام	.26
480	فهرس القبائل	.27
482-481	فهرس البلدان والأماكن	.28
483	فهرس الكتب المذكورة	.29
503-484	فهرس المصادر والمراجع	.30